د. بهاء الأمير

اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية



مكتبة مدبولي

اليهود والحركات السرية فى الحروب الصليبية

يخبرنا الله - عز وجل - في بيانه إلى الناس أن نيران الحروب لا يوقدها إلا اليهود. فالغرب حديثاً والصليبيون قديماً يعلنون الحروب أو يشنونها ويقاتلون ويَقتلون ويُقتلون. ولكن الحروب لا تشتعل نارها ولا يتقد أوارها ابتداءً إلا باليهود. والحروب الصليبية هي أطول حرب عرفها الإنسان في تاريخه المكتوب. فكيف ينص عز وجل على أن اليهود هم موقدو نيران الحروب ووقودها. ثم لا يكونون هم من خلف أطولها وأعظمها؟!

اليهود يقدحون الشرارة. وتتقد بهم النار. وتتحرك بهم الأحداث. ويسير التاريخ في المسار الذي قدحوا الشرارة وأوقدوا النار من أجل أن يُسَيِّروه فيه ثم يختفون. فلا يرصدهم في الأحداث راصد. ولا ينتبه لوجودهم في بداية المسار وأنهم من رسموه أحد.

فَهْم أثر اليهود في التاريخ. وإدراك دورهم في صناعة أحداثه ومساره. يحتاج إلى من يتعامل معهم كعامل من عوامل المعادلات الكيميائية أو الفيزيائية. يفترض وجوده وإن لم يره. لأنه لا اتزان للمعادلة ولا تفسير لتفاعلاتها ونواتجها إلا بافتراض وجوده.

عالم السر والخفاء هو العالم الذي تتصل فيه أحداث العالم وتترابط حوادثه ليستبين باتصالها وترابطها المسار الذي يسير فيه تاريخ العالم والوجهة التي يتجه إليها. ولتسفر بهذا الاتصال والترابط وبظهور مسار العالم الحقيقي غاية من صنعها ورسمها.

وعالم سر السر وأخفى الخفاء هو عالم الظلام الدامس الذي لا وجود له إلا في قراره المكين في أذهان أهله ونفوسهم ولا دليل عليه إلا ما تسرب منها.





6 Talat harb SQ. Tel:25756421 — ٦ ميدان طلعت حرب- القاهرة - ت : ٢٥٧٥٦٤٢١

www.madboulybooks.com - info@madboulybooks.com



اليهود والحركات السرية

في الحروب الصليبية

الأمير، بهاء
اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية
المؤلف: د. بهاء الأمير
ط١ .- القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠١٣م.
٣٢٦ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم.
تدمك: 977-208-974-1
١ - الحروب الصليبية.
٢- اليهود.
أ- العنوان.
ديوي ٩٥٣,٠٧٣٩٣
رقم الإيداع : ٢٠٨٨٤/ ٢٠١٢م

مكتبة مدبولي
٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة
ت: ٢٥٧٥٦٤٢١ ف: ٢٥٧٥٢٨٥٤
الموقع الإلكتروني: www.madboulybooks.com
البريد الإلكتروني: info@madboulybooks.com

الإخراج الداخلي : سالي حسانين (مكتبة مدبولي)
تصميم الغلاف : محمد عطيه

د. بهاء الأمير

اليهود والحركات السرية

في الحروب الصليبية

- منظمة فرسان الهيكل أم الماسونية والحركات السرية.
- مهد الماسونية ونشأتها.
- الحملة الصليبية يهودية.
- الجمعية الملكية البريطانية محفل ماسوني.
- من مشاهير الماسون ورجال الحركات السرية: فرنسيس بيكون، إسحق نيوتن، ليوناردو دافنشي، كرستوفر كولمبس، نابليون، ماتزيني، بسمارك، بوش، برلسكوني.

مكتبة مدبولي

٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله العليم بمن خلق وهو اللطيف الخبير، والصلاة والسلام على مبلغ الوحي والأمين على الرسالة، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

إذا عدت إلى فصل: الهدف أورشليم من كتابنا: الوحي ونقيضه، فستجد هذه العبارة:

"الحملات الصليبية القديمة كانت حملات صليبية كاثوليكية العمق والمحتوى هدفها الأرض المقدسة مسيحياً، المهد والقبر. أما الحملات الصليبية الجديدة فهي حملات بروتستانتية عمقها ومحتواها يهودي وهدفها الأرض المقدسة يهودياً، الهيكل وجبله".

في كتابنا: الوحي ونقيضه بينًا أن الحملات الصليبية الجديدة على أفغانستان والعراق والسودان ومن المحيط إلى المحيط هي حملات بروتستانتية الظاهر يهودية الفحوى والمحتوى والتدبير والهدف.

وبعد أن كتبنا العبارة التي نقلنا لك نصها ثار في نفسي سؤال: الحملات الصليبية الجديدة تبدو في ظاهرها استعماراً من أجل البترول والثروة والطاقة، أو من أجل التوسع والهيمنة، أو من أجل العولمة والأمركة.

وغاية ما يبلغه الفطن، ويوصف عند بلوغه له بالعمق والإحاطة والنفاذ من ظواهر الأمور إلى بواطن حقائقها أن ينتبه إلى أنها حملات بروتستانتية صليبية، ولكنًّا أثبتنا أنها حملات يهودية، أرادها اليهود، ويحرك أحداثها اليهود، ودبر لها ونص على تدبيره لها اليهود.

والحملات الصليبية الجديدة هي صورة طبق الأصل من أمها القديمة، فالحملات الصليبية القديمة دُونت في كتب التاريخ على أنها حملات كاثوليكية شنتها الكنيسة الكاثوليكية وملوك أوروبا الخاضعون لها والمتحالفون معها، ومن يعزلون العقائد عن تفسير كل شئ يقولون إنها كانت حملات استعمارية أوقدها ما شهدته أوروبا من ظروف اجتماعية وتقلبات سياسية وأزمات اقتصادية حركتها نحو الشرق وثرواته.

والسؤال الذي ثار في نفسي هو: إذا كانت الحملات الصليبية الجديدة في حقيقتها يهودية، وهي صورة طبق الأصل من أمها القديمة، فلماذا لا تكون أمها هي الأخرى في حقيقتها يهودية؟!

وكلما أوغلت في كتاب: الوحي ونقيضه وتكشف مع الإيغال فيه عمق تغلغل اليهود في تكوين الغرب وسريانهم في نسيجه ورسوخهم في وعيه وسيطرتهم على أفكاره وإمساكهم بزمامه وتدبيرهم لأحداثه الكبرى وثوراته دون أن يبدو فيها ولا عليها من آثارهم ما يدعو عالَم التاريخ ومؤرخيه إلى رصدهم وتسجيل وجودهم في تلافيفها، كلما أوغلت عدت إلى هذه العبارة أقف أمامها وأتأملها طويلاً وهامس يهمس في أذني أنها خطأ ونفسي تحدثني أن الحملات الصليبية الأم هي كابنتها يهودية الفحوى والتدبير والغاية، وكلما أمسكت القلم لأعدل العبارة وأكتب ما تخبرني به نفسي عدت وأعدته إلى غمده، فلا دليل.

وفي فصل: يهود القرآن ويهود العصر الحديث من الوحي ونقيضه كشفنا اختراق اليهود للكنيسة الكاثوليكية من رأسها، وعبثهم بها وبعقائدها، وسعيهم ونصهم على هذا السعي إلى ركوبها وتسخيرها في صنع مسار العالم الذي يريدونه والوصول به إلى غايتهم منه.

ويثور في نفس سؤال آخر: اليهود صنعوا الغرب وصبغوه وامتطوا قادته ونخبه واخترقوا الكنيسة الكاثوليكية واستقروا في رأسها في عصر العلم والتقنية وثورة الاتصال والمعلومات دون أن يراهم أحد أو يفطن إلى آثارهم فيما شهده العالم من أحداث ويشهده، فلماذا لا يكون اليهود هم أيضاً من صنعوا الغرب القديم وامتطوا قادته ونخبه، واخترقوا الكنيسة الكاثوليكية من رأسها فى عصر الحروب الصليبية لتكون هذه هي إحدى آثارهم، كما أن الحرب الصليبية الجديدة من صنعهم وتدبيرهم؟

إن القرآن هو وحي الله عز وجل الخاتم، وخطابه المحفوظ وبيانه النهائي إلى خلقه في كل زمان وفي كل مكان، وهو تاريخ العالم كله من الخلق إلى القيامة.

والله عز وجل يخبر خلقه في بيانه أن اليهود هم من يوقدون الحروب وليس النصارى:

﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

الله عز وجل يخبر في بيانه وخطابه أن نيران الحروب لا يوقدها إلا اليهود، فالنصارى أو الصليبيون أو البروتستانت يعلنون الحروب أو يشنونها ويقاتلون ويَقتلون ويُقتلون، ولكن الحروب لا تشتعل نارها ولا يتقد أوراها ابتداءًا إلا باليهود.

والحروب الصليبية هي أطول حرب عرفها الإنسان في تاريخه المكتوب، فكيف ينص عز وجل على أن اليهود هم موقدو نيران الحروب ووقودها ثم لا يكونون هم من خلف أطولها وأعظمها؟!

وفي ما أخبر به عز وجل خلقه في خطابه الخاتم إليهم تفسير عدم رصد اليهود في الأحداث، وعدم الوعي بآثارهم في التاريخ ودورهم في صناعة مساره.

اليهود يقدحون الشرارة وتتقد بهم النار وتتحرك بهم الأحداث ويسير التاريخ في المسار الذي قدحوا الشرارة وأوقدوا النار من أجل أن يُسيِّروه فيه ثم يختفون، فلا يرصدهم في الأحداث راصد، ولا ينتبه لوجودهم في بداية المسار وأنهم من رسموه أحد.

ثم كيف يفطن أحد إلى وجود قوم، أو يرى آثارهم في التاريخ وهم يتحركون فيه حركة من يعي أن ثَمة من قد يتعقبه أو يبحث عنه أو ينقب خلفه، ليكون جزء من حركتهم إخفاء فعلهم، وبعضٌ من آثارهم طمس آثارهم فيما يحدث، وتدبير آثار غيرهم ليضل بها من يفترضون اقتفاءه لآثارهم!

إذاً كيف يمكن العثور على اليهود في التاريخ وكيف تُعرف آثارهم في الأحداث والحروب؟

إليك الإجابة من فصل: اليهود والحرب في كتابنا: الوحي ونقيضه:

"إذا أردت أن تبحث عن اليهود في الحرب فلا تبحث عنهم بين جندها وقادتها ومن يتصدرون صفحاتها وشاشاتها، ولكن ابحث عنهم في رؤوسهم وخلف آذانهم وفي ثنايا كلماتهم، ولا تجهد نفسك في التنقيب عنهم فيمن أصدروا القرارات والبيانات ومن تحمل الوثائق أسماءهم وأختامهم، ولكن فتش عنهم في صياغاتها وبين سطورها. وأبعد ما يمكن أن تعثر على اليهود فيه من الحروب التي يوقدون نيرانها أحداثها الصاخبة وحوادثها المثيرة. فإذا أردت أن تتعقبهم، فتعقبهم لا في الأحداث والحوادث ولكن في مسارها الذي سارت فيه، تعقبهم في ما سبقها من أزمات وقلاقل أفضت إليها، وفي ما تلاها من نتائج أسفرت

عنها. ولا تمقق عينيك في البحث عن اليهود في خرائط الحرب الطبوغرافية وانتبه إلى ما تفرزه الحروب التي يوقدون نيرانها ويرسمون في أدمغه الساسة والقادة مسارها من الخرائط التوراتية".

لن يعثر على آثار اليهود في التاريخ ولن يفطن إلى دورهم فيه وآثارهم في صناعة أحداثه إلا من يدرك عظم دورهم فيه وآثارهم في مساره من خارجه أو من يفترض وجودهم وتدبيرهم افتراضاً ثم يبحث عن براهين صحة فرضيته في التاريخ وأحداثه ومساره.

فَهم أثر اليهود في التاريخ وإدراك دورهم في صناعة أحداثه ومساره يحتاج إلى من يتعامل معهم كعامل من عوامل المعادلات الكيميائية أو الفيزيائية، يفترض وجوده وإن لم يره، لأنه لا اتزان للمعادلة ولا تفسير لتفاعلاتها ونواتجها إلا بافتراض وجوده.

وفي فصل: يهود القرآن ويهود العصر الحديث نفسه بينًا أن الله عز وجل في خطابه وبيانه إلى خلقه قد أخبرهم أنه عز وجل عاقب بني إسرائيل على جحودهم ونكرانهم وإعراضهم عن الوحي الذي أنزل إليهم ليكونوا هداة به للأمم، وعلى طمسهم له وتحريفه وبث نقيضه يضلون به البشر، فبعثرهم عز وجل ونثرهم في الأرض كلها.

﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨].

ولكن الله عز وجل يخبر خلقه في بيانه إليهم أن بني إسرائيل الذين بعثرهم عز وجل في الأرض كلها حاضرون في الزمان موجودون في التاريخ، لا يذوبون ولا يختفون، ولا تتغير أذهانهم ونفوسهم ولا يتزحزحون عما فيها من غاية نص عليها الإله عز وجل في بيانه وبينًاها في الوحي ونقيضه، وأنه عز وجل سيجمع بني إسرائيل في آخر الزمان مرة أخرى ليكون في جمعهم هلاكهم.

﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤].

وعنوان الفصل الذي بينًا فيه ذلك: يهود القرآن ويهود العصر الحديث، ومرة أخرى كنت أعود إلى عنوان الفصل وأنظر إليه وتقول لي نفسي: الله عز وجل يخبر عن بني إسرائيل وليس عن اليهود، واليهود ليسوا بني إسرائيل.

بنو إسرائيل هم النواة التي تكون منها اليهود ويدورون في طبقات حولها، ومن نص

الله عز وجل أنه بعثرهم ثم يجمعهم بنو إسرائيل، النواة نفسها وليس الطبقات التي حولها.

ثم إن الله عز وجل في بيانه إلى خلقه خاطب بني إسرائيل مباشرة:

"يا بني إسرائيل"

وخطاب الله عز وجل يعني أن بني إسرائيل موجودون، فهو خطابه وبيانه عز وجل إلى كل زمان وإلى كل مكان، وإذا وجه عز وجل خطابه أو نداءه إلى خلقه جميعاً: **"يا أيها الناس"**، أو إلى فئة أو طائفة منهم: **"يا أيها الذين أمنوا"**، **"يا بني إسرائيل"**، **"يا أيها الذين أوتوا الكتاب"** فخطابه ونداؤه لهم إلى يوم القيامة.

بنو إسرائيل موجودون لا يغيبون لأن من يخاطبه عز وجل في بيانه النهائي إلى البشرية كلها موجود في الزمان حاضر في التاريخ إلى يوم القيامة.

فهذه واحدة.

وأما الثانية فهي أن خطاب الله عز وجل لبني إسرائيل وتوجيه ندائه إليهم يعني أنهم يعرفون أنهم بنو إسرائيل، وإلا لما كان لتوجيه للخطاب إليهم معنى.

فتوجيه الخطاب إلى من لا يعرف أنه المراد به إما أن يكون لأن المخاطَب يجهل أن ما يُخاطَب به هو اسمه، أو لأن من يخاطبه هو الذي يجهل جهله، وكلاهما لغو، تعالى الله عز وجل عنه علواً كبيراً.

خطاب الله عز وجل إلى بني إسرائيل لا معنى له سوى وجود بني إسرائيل، وأن وجودهم لا ينقطع إلى يوم القيامة، وأنهم يعرفون أنهم بنو إسرائيل.

والسؤال الذي ثار في نفسي وأنا أكتب عن اليهود بينها بيان الإله عز وجل يخبر عن بني إسرائيل هو: من هم بنو إسرائيل، وأين هم ؟

ليت شعري! أهم موجودون بأنسابهم وأسماء أسباطهم وهم يعرفون ذلك ؟!

القرآن يقول: نعم، ونفسي تحدثني: نعم، ولكن لا دليل.

وما إن قرأت رواية شفرة دافنشي، ثم شرعت في سبر أغوارها وكشف ما خلفها من خفايا، وكلما عثرت على باب مستور يدخلني إلى دهليز يفضي بي إلى مغارة تنحدر بي إلى سرداب أصل إلى نهايته لأجد نفسي في خلاء لا شئ فيه، عاودت الكرة مرة أخرى ويقين يقودني أني سأصل إلى جواب ما في ذهني وبرهان ما في نفسي.

فما سوف تقرأه برهان صحته عندنا ليس فيما يتضمنه من معلومات قد يكون بعضها

صحيحاً وبعضها غير دقيق أو يبدو أقرب إلى الأساطير، ولكن في أنه الشئ الذي لا يكون ثَمة اتزان لمعادلة التاريخ، ولا تفسير لأحداثها ونواتجها إلا به، وفي مطابقته لما أوحى به عز وجل إلينا قبل عثورنا عليه بسنين عدداً، وقبل ذلك لمطابقته لما في بيان الله عز وجل الخاتم وخطابه الكاشف إلى خلقه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د. بهاء الأمير

يونيو ٢٠١٢م

في عالم التاريخ

فرسان الهيكل:

- البداية
- الصعود
- الرهبان المقاتلون
- البنوك والشركات العابرة للقارات
- البناؤون الأحرار
- الأفول
- الحل والتدمير
- الأساتذة العظام
- التهم
- مصير فرسان الهيكل
- آثار فرسان الهيكل

البـدايـة

فرسان الهيكل هو اختصار لاسم أول منظمة عسكرية وأشهرها في تاريخ أوروبا، والمنظمة الأم التي كانت كل المنظمات العسكرية في تاريخ أوروبا فرعاً منها أو تقليداً لها، واسم المنظمة الكامل هو:

الجنود الفقراء من أتباع المسيح وهيكل سليمان

The Poor Fellow Soldiers of Christ and of Temple of Solomon

ولا توجد معلومات موثقة عن نشأة المنظمة ولا بداية تكوينها، وكل من أرخوا لفرسان الهيكل اغترفوا معلوماتهم عن نشأتها وتكوينها من مصدر واحد وحيد كُتب بعد سبعين عاماً من إنشائها، وهو التاريخ الذي كتبه وليم الصورى Guillaume de Tyre

بدأ تكوين فرسان الهيكل بهوج دي بايان Hugh de payens(•)، وهو أحد أتباع الكونت الإقطاعي هوج دي شامبان، ومعه أندريه دي مونتبار Andre de Montbard، وهو عم برنارد دي كليرفو Bernard de Clair Voux، الأب الروحي لمنظمة فرسان الهيكل والرجل الذي تولى، بسلطته ونفوذه داخل الكنيسة الكاثوليكية، حمايتها والسعي لإكسابها الشرعية.

في سنة ١١١٨م سافر هوج دي بايان وأندريه دي مونتبارد إلى أورشليم مع سبعة فرسان آخرين وسعوا إلى لقاء الملك بلدوين الثاني Baldwin II، الأخ الأصغر لجودفروا دي بويون أول ملوك مملكة أورشليم اللاتينية الصليبية، وخلفه عليها.

وانتهى اللقاء بتكوين فرسان الهيكل من هؤلاء الفرسان التسعة، وهم:

١	هوج دي بايان، وهو رئيسها وأستاذها الأعظم	Hugh de payens
٢	أندريه دي مونتبارد	Andre de Montbard
٣	جودفروا دي سان أومر	Godfroi de Saint Omer

(•) انظر صورته في ملحق الصور.

٤	بايان دي مونت ديديه	Payen de Mant Didier
٥	أشامبان دي سان أرماند	Achamband de saint Armand
٦	جودفروا بيسال	Godfroi Bisal
٧	جونديهار	Gondemar
٨	روسال	Rosal
٩	جودفروا	GodFroi

ويجمع بين الفرسان التسعة الذين تكونت بهم فرسان الهيكل روابط القرابة والمصاهرة، فهم جميعاً يقعون في دائرة عائلية واحدة.

ورغم خلو قائمة مؤسسي فرسان الهيكل من اسم الكونت هوج دي شامبان إلا أنه يبدو وكأنه اليد التي تحرك الفرسان التسعة من وراء ستار وتسعى إلى تكوين المنظمة وتوجيهها دون الظهور فيها.

وإحدى الغرائب التي أثارت الشكوك حوله وحول دوره في فرسان الهيكل أنه انضم إلى عضوية المنظمة سنة ١١٢٤م بعد ست سنوات من تكوينها، وانضمامه إلى فرسان الهيكل يقضي عليه أن يقسم على الخضوع لأستاذها الأعظم والطاعة المطلقة لأوامره، والأستاذ الأعظم لفرسان الهيكل الذي ينبغي أن يخضع له ويطيع أوامره هوج دى بايان، وهو في الأصل أحد أتباعه في نظام أوروبا القرون الوسطى الإقطاعي شديد الصرامة في مسألة التراتب الاجتماعى!

ويبدو برنار دي كليرفو شخصية أخرى مريبة في تكوين فرسان الهيكل ويداً خفية ثانية تسعى لإيجادها وإن اتخذ مظهر العاطف عليها والمدافع عنها.

في أورشليم قدم الفرسان التسعة أنفسهم لملكها بلدوين الثاني على أنهم يبتغون من خلال المنظمة التي يسعون لتكوينها إلى حراسة طرق الحج من سواحل يافا إلى أورشليم، وحماية الحجاج المسيحيين القادمين من أوروبا ويتعرضون للإغارة ونهب أموالهم وأمتعتهم.

وهو هدف يبدو في وقت تكوين فرسان الهيكل مهمة مستحيلة وغير معقولة، وذهب بعض الباحثين في تاريخ فرسان الهيكل إلى أن هذا الهدف المعلن لم يكن سوى غطاء أو ستار لأهدافهم الحقيقية، وذلك لسببين:

الأول، هو أن تأمين الحجاج وطرق الحج المسيحية الطويلة المحفوفة بالمخاطر عبر الأرض المقدسة من يافا إلى أورشليم مهمة يستحيل أن يفكر فيها أو أن يقوم بها تسعة فرسان في الأربعينيات من العمر.

والسبب الثاني والأهم هو أن مقر قيادة فرسان الهيكل وميدان عملهم، وهذه هي مهمتهم التي أعلنوا تكوين منظمتهم من أجلها، كان يجب أن يكون في طريق الحج، والذي حدث كان على خلاف ذلك، فقد كان مقر قيادة فرسان الهيكل بناءًا على طلبهم وبعد موافقة بلدوين الثاني في المسجد الأقصى!!

فبعد استيلاء الصليبيين على القدس وتحويلها إلى مملكة أورشليم اللاتينية، حولت مملكة أورشليم الصليبية المسجد الأقصى إلى هيكل الرب Templum Domini

وفي السنوات العشر الأولى من عمر منظمة فرسان الهيكل لم يكن فرسانها يفعلون شيئاً له علاقة بالمهمة التي ادعوها، الشئ الوحيد الذي كانوا يقومون به في هذه السنوات العشر هو الحفر والتنقيب تحت المسجد الأقصى!

وفي سنة ١٨٦٧م اكتشف الكابتن وارين Warren من صندوق استكشاف آثار فلسطين Palestine Exploration Fund الذي أنشأته بريطانيا لاستكشاف الأرض المقدسة، وهو الصندوق الذي تولى إعادة رسم خريطة فلسطين وتسمية بلداتها ومواقعها بأسمائها العبرية المذكورة في التوراة، اكتشف وارين الأنفاق التي حفرها فرسان الهيكل تحت المسجد الأقصى(•) وعثر فيها على بعض آثارهم من تروس وصلبان وحراب وشارات(•)، ثم نقلت هذه الآثار والمكتشفات إلى اسكتلندا لتُحفظ في أرشيف فرسان الهيكل الذي تقوم عليه خلفاً عن سلف أسرة روبرت بريدون في إدنبره Robert Brydon of Edinburgh

لماذا كان فرسان الهيكل يحفرون الأنفاق وينقبون تحت المسجد الأقصى، وما الذي كانوا

(•) انظر مخطط للأنفاق التي حفرها الفرسان واكتشفها الكابتن وارين في ملحق الصور.

(•) انظر شعار فرسان الهيكل في ملحق الصور.

يبحثون عنه ؟

لا أحد يعرف بالضبط!

الصعـود

في مجمع طروادة Troyes سنة ١١٢٩م تمكن برنار دي كليرفو، الأب الروحي لفرسان الهيكل وراعيها، وقد صار أحد أقوى رجال الكنيسة الكاثوليكية وكبير مستشاري البابا وناصحة الأول، من الحصول على اعتراف الكنيسة بمنظمة فرسان الهيكل.

وكانت مهمة كليرفو العسيرة داخل الكنيسة هي إقناع أحبارها وقساوستها بامتزاج الرهبنة مع القتال في منظمة فرسان الهيكل، إذ لم تكن الكنيسة ورهبانها يستسيغون فكرة أن يكون الرهبان مقاتلين ولا أن يكون القتل باسم المسيح، فالقتال والقتل مهمة الجيوش، أما الرهبان فرسالتهم الخلاص الروحي.

ومن أجل تغيير فكر الكنيسة أو المزج في تقاليدها بين القتال والخلاص الروحي وبين القتل والرهبنة، ومن أجل تزكية منظمة فرسان الهيكل وبيان مهمتها وفلسفة تكوينها، كتب دي كليرفو عدة رسائل ومقالات، كان أشهرها الرسالة التي كتبها سنة ١١٣٥م بعنوان: في مدح فرسان الهيكل De Land Novae Militae.

في رسالته التي قدم فيها فرسان الهيكل للكنيسة ولملوك أوروبا وصف دي كليرفو فارس الهيكل بأنه:

"فارس لا يعرف الخوف الطريق إلى قلبه، وما يحرسه ويقوم على حمايته آمن ومصون، قوة الإيمان تحرس روحه، كما أن الحديد يحمي جسده، ولأن سلاحه في جسده وفي روحه معاً، فلاخوف يعتريه ولا إنسان يتمكن منه".

وفي سنة ١١٣٩م أصدر البابا الجديد إنوسنت الثاني Innocent II، بتزكية من دي كليرفو، وقد كان أحد أعوانه وأبرز مناصريه في الصعود إلى السدة البابوية، مرسوماً بابوياً: Omni Datum Optimum منح فيه فرسان الهيكل حق المرور عبر حدود الممالك والإمارات والمقاطعات الأوروبية كافة بحرية تامة ودون دفع ضرائب عبور، ونص فيه على استثناء فرسان الهيكل من الالتزام بالقوانين المحلية في كافة أنحاء أوروبا، وعلى أن المنظمة وفرسانها لا يخضعون لأي سلطة سوى سلطة أستاذها الأعظم، وأن ليس لأحد أن يُساءل الأستاذ الأعظم أو يحاسبه سوى البابا نفسه.

وهذه الامتيازات التي منحها البابا إنوسنت الثاني في مرسومه لفرسان الهيكل لم يكن يمتلكها في حينه أحد فى أوروبا كلها، لا الجيوش ولا الرهبان ولا النبلاء ولا حتى ملوك دول أوروبا وأمراؤها.

بالامتيازات التي حازها فرسان الهيكل صاروا فعلياً القوة الأولى في أوروبا والطرف الوحيد فيها القادر على الحركة والتنقل عبر الحدود وممارسة مختلف أنواع الأنشطة بحرية وخارج سيطرة الدول والسلطات والملوك وفي حماية البابا.

وبعد حصول فرسان الهيكل على الشرعية ونوالها رضا الكنيسة وبركتها انهالت على المنظمة العطايا والهبات من كل حدب وصوب في أوروبا، ومن كل لون وصنف، أموال وأراض وخيول وعقارات وأبناء النبلاء والأسر العريقة ممن وهبتهم أسرهم للقتال في الأرض المقدسة.

وأول هبة لفرسان الهيكل كانت من آل سنكلير Sinclair في اسكتلندا.

فبعد أن انتهى الفرسان التسعة من حفرياتهم وتنقيبهم تحت المسجد الأقصى، وبعد أن حصلوا على الشرعية عادوا إلى فرنسا سنة ١١٢٩م، ثم واصل أستاذ المنظمة الأعظم هوج دي بايان، ومعه أندريه دي مونتبارد الرحلة إلى انجلترا، ومنها إلى اسكتلندا ليكونا في ضيافة آل سنكلير في إدنبره.

وحال وصولها وهب آل سنكلير منظمة فرسان الهيكل أرضاً واسعة في بالونترودوش Ballontrodoch، وهى الأرض التي تحولت بعد ذلك إلى مقر قيادة فرسان الهيكل في اسكتلندا، وهو أول مقر قيادة للفرسان في أوروبا والثاني بعد مقر القيادة الأول في المسجد الأقصى.

فقد كان آل سنكلير أصهاراً لهوج دي بايان الأستاذ الأعظم لمنظمة فرسان الهيكل.

وثاني الهبات كانت أرضاً شاسعة أوصى بها للفرسان بعد موته ملك أرجون في إسبانيا سنة ١١٣٠م.

ومن بعد ذلك توالت الهبات وانهالت العطايا من ملوك أوروبا ونبلائها وأغنيائها، ومن الفرسان أنفسهم، فقد كان أول شرط في الانضمام لمنظمة فرسان الهيكل وأول طقس في العضوية الجديدة أن ينذر طالب الانضمام لها الفقر وأن ينخلع من كل ما يملك، مالاً وأرضاً وعقاراً وأعمالاً، وأن يهب ذلك كله للمنظمة.

وفي غضون سنوات قليلة زاد أعضاء فرسان الهيكل زيادة كبيرة وبمعدل هائل، وصار بين صفوف المنظمة أعضاء ينتسبون لكل الأسر الحاكمة والنبيلة والغنية في بلاد أوروبا كلها، وأصبح لها مقرات قيادة في كل بلد أوروبي، إنجلترا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال واسكتلندا وألمانيا وإيطاليا.

ومع الوقت صارت منظمة فرسان الهيكل أقوى كيان بعد الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا وفي الأرض المقدسة، فهي فرق عسكرية مقاتلة في الحروب الصليبية، وحاميات عسكرية تحرس طرق الحج المسيحية وتوفر الحماية للحجاج، وهي أسطول كامل ينقل الحجاج والبضائع بين موانى أوروبا والأرض المقدسة، وهي طائفة بناء ومعمار تشيد الكنائس والقلاع، وهي بنوك ومؤسسات مالية تتولى الإقراض وحماية الودائع وصرف الشيكات وبطاقات الائتمان، وهي شركات عابرة للقوميات تصدر البضائع وتستوردها وتنتقل بها وبالأموال في حرية ودون سلطة لأحد عليها، وهي مؤسسة دبلوماسية تتوسط بين ملوك أوروبا وأمرائها وتشترك في فض النزاعات بين القوى الأوروبية، وهي مزارع تنتج الحاصلات والغلال وتوردها، وهي مؤسسة بحثية تولت ترجمة بعض كتب التوراة من العبرية إلى اللاتينية.

الرهبان المقاتلون

ارتبط تكوين فرسان الهيكل ثم صعودهم وازدهارهم بالحروب الصليبية، فهي التي جلبت لهم الشرعية وأجبرت الكنيسة الكاثوليكية على غض الطرف عن جمع أعضائها بين الرهبنة والقتال، وهما نقيضان لا يجتمعان في التقاليد الكاثوليكية ولا يستسيغهما الذهن المسيحي معاً.

وكفاءة فرسان الهيكل في القتال وخوضهم غمار المعارك الصليبية في بسالة وما تحقق لهم من انتصارات في بدايات الحروب الصليبية هو ما جعل المنظمة القوة الأولى في مملكة أورشليم الصليبية، وهو ما منحهم الامتيازات في أوروبا وفتح أمامهم الحدود وبوأهم فوق عروش أوروبا كلها وخارج سيطرة ملوكها جميعاً.

فلا عجب أن كانت فرسان الهيكل هي القوة الحقيقية المحركة لأحداث الحروب الصليبية،وفرسانها هم من يسعون إلى القتال واشتعال المعارك.

وكثير من المعارك الرئيسية والفاصلة في الحروب الصليبية ما كان لها أن تكون لولا وجود فرسان الهيكل في الأحداث وسعيهم إلى الحرب.

وقد كان فرسان الهيكل نخبة الجيوش الصليبية المقاتلة وصفوتها المحاربة، ففارس الهيكل، لجمعه بين الرهبنة والفروسية، يتصف بصفات لا يناظره فيها أي جندي مقاتل في الجيوش الصليبية.

فلكي يكون فارس الهيكل مقاتلاً لابد أن يكون قوي البنية، مدرباً تدريباً عالياً ومسلحاً تسليحاً كاملاً، يحمل روحه على كفه، ويقسم أن لا يفر من القتال أو يخرج من ساحة المعركة إلا بإذن من قائد فرسان الهيكل، لا أحد سواه، أو إذا واجهه ثلاثة مقاتلين معاً، أما اثنين فلا، أو إذا سقطت راية فرسان الهيكل، غير مباح له الفرار وإن سقطت كل راية غيرها، والموت في ساحة النزال هو أسمى صور الموت عنده، وحرصه عليه هو مصدر فخاره الذي يعلو به شرفه ويعظم به ذكره.

وحتى خيول فرسان الهيكل كانت مدربة على خوض المعارك وأجواء القتال والنزال وعلى الكر والفر.

ولم يكن فرسان الهيكل يخوضون المعارك كجيش مستقل أو قوات منفصلة، بل كانوا

ينضمون إلى الجيوش الصليبية المقاتلة التي تستعين بهم كفرق أو ميليشيات مقاتلة تتولى عبء ملاقاة الجيوش المواجهة في الخطوط الأمامية عند بدء القتال أو تقوم بحماية المؤخرة من الإغارة من الخلف.

وإحدى تكتيكات فرسان الهيكل المميزة والشهيرة أن تقوم مجموعات صغيرة من الفرسان بتكوين وحدات سريعة الحركة جيدة التسليح تشبه قوات الصاعقة في الجيوش الحديثة، تختبئ أثناء المعركة ثم تظهر فجأة وتنقض على خطوط الخصوم على خيول حربية مدربة في سرعة خاطفة توقع في القلوب الرعب وتخلخل الصفوف، مع تعليمات مشددة من قيادة الفرسان أن الانتحار في أرض المعركة أهون من التقهقر والرجوع إلى الخلف.

وخلف الفرسان المقاتلين في الخطوط الأمامية أو في تلافيف الجيوش الصليبية كانت توجد للمنظمة تنظيمات أخرى من الفرسان غير المقاتلين أكثر عدداً تتولى دعم المقاتلين وتوفير إمداداتهم من الأسلحة والخيول والأغذية والملابس.

وأحد أشهر انتصارات فرسان الهيكل، أو المعركة الأسطورة التي استطار بها ذكرهم بين الصليبيين في الأرض المقدسة وبوأتهم في ذهن أوروبا صفوة مقاتلة، معركة تل جازر أو مونت جيزارد Montgisard سنة ١١٧٧م.

والمصادر الغربية تنقل تفاصيل هذه المعركة عن معاصرها المؤرخ وليم الصوري، وعند وليم الصوري أن صلاح الدين خرج من مصر لغزو مملكة أورشليم، فتقدم من الجنوب على رأس ستة وعشرين ألف مقاتل في اتجاه اورشليم.

وعندما علم بلدوين الرابع Baldwin IV ملك أورشليم بخروج صلاح الدين وزحفه في اتجاه مملكته خرج مع ثلاثمائة وخمسة وسبعون فارساً في اتجاه عسقلان، ولكن صلاح الدين تمكن من حصار قوة بلدوين وعزلها عند ساحل البحر ثم تجاوزها في اتجاه أورشليم.

وفي الوقت نفسه حاولت قوة أخرى من الفرسان إغاثة بلدوين والالتحام بقوته فحوصرت في غزة.

وبعد أن تجاوز صلاح الدين قوة بلدوين الرابع وقوة فرسان الهيكل هاجم بقواته رام الله واللد وأرصوف.

وهاهنا ارتكب صلاح الدين خطأً عسكرياً، إذ فرق قواته وسمح لها بالانتشار

للاستيلاء على القرى التي تلاقيه في طريقه إلى أورشليم، وكان زحفه شمالاً قد فك الحصار عن قوة بلدوين الرابع وقوة فرسان الهيكل فالتحمت القوتان وسعوا في أثر صلاح الدين فلحقوا به عند تل جازر قرب رام الله.

وفوجئ صلاح الدين بقوات بلدوين وفرسان الهيكل في بضعة آلاف من المزارعين الصليبين الذين زحفوا معهم من القرى، فلم يستطع إعادة تجميع قواته بسرعة كافية، وحاول تنظيم ما اجتمع لديه من قواته في قلب وجناحين، إلا أن قوة فرسان الهيكل المكونة من ثمانين فارساً باغتته بالهجوم وانقضت على قلب القوة التي جمعها وألحقوا خسائر فادحة بقوة حراسته، وانتهت المعركة بخسارة صلاح الدين لتسعين في المائة من جنوده.

وإزاء خسائره الثقيلة وهطول الأمطار لعشرة أيام متوالية اضطر صلاح الدين إلى الرجوع عن أورشليم والتقهقر إلى الجنوب مرة أخرى، مما أتاح للمملكة الصليبية سنة كاملة من الهدوء والأمان وحول فرسان الهيكل إلى أبطال والمعركة إلى أسطورة.

أما المصادر العربية فتروي المعركة تحت عنوان: كسرة الرملة.

يروي ابن واصل الحموي في: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب أن:

"السلطان خرج من القاهرة على نية الجهاد... ثم رحل بعساكره فنزل على عسقلان فسبا وغنم.. وتفرق العسكر في الأعمال مغيرين، فلما رأوا أن الإفرنج خامدون انبسطوا واسترسلوا وتوسط السلطان البلاد... ورحل السلطان قاصداً بعض المعاقل واعترضه نهر عليه تل الصافية، فازدحمت على العبور أثقال العسكر، فما شعروا بالفرنج إلا وقد أتوهم في أطلابهم وجموعهم، وجماعة من سرايا المسلمين متفرقون في الضياع للإغارة.. فجرى على المسلمين خلل ذلك اليوم وانكسروا".

وفي: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ذكر مؤرخ صلاح الدين ومعاصر الكسرة وأحد شهودها القاضي بهاء الدين بن شداد أن:

"المسلمين كانوا قد تعبوا تعبية الحرب، فلما قارب العدو رأى بعض الجماعة أن تغير الميمنة إلى جهة الميسرة والميسرة إلى جهة القلب، ليكون في حالة اللقاء وراء ظهورهم تل معروف بأرض الرملة، فبينما هم يشتغلون في التعبية إذ هجم الفرنج، وقدر الله كسر المسلمين فانكسروا كسرة عظيمة، ولم يكن لهم حصن قريب يأوون إليه، فطلبوا جهة الديار

المصرية، وضلوا الطريق وتبدووا، وأسر منهم جماعة منهم الفقيه ضياء الدين عيسى، وكان وهناً عظيماً جبره الله بوقعة حطين".

والى جوار معركة تل جازر أو كسرة الرملة خاض فرسان الهيكل غمار عشرات المعارك إبان الحروب الصليبية وطوال الفترة التي مكثها الصليبيون في بلاد الإسلام حتى إخراجهم منها نهائيا سنة ١٢٩١م.

البنوك والشركات العابرة للقوميات

بحلول عام ١١٥٠م كانت مهمة فرسان الهيكل ونشاطها الرئيسي قد تحول من حماية الحجاج إلى حماية أموالهم وثرواتهم وأمتعتهم، فقد كانت طرق الحج المسيحي سواء إلى روما أو إلى الأرض المقدسة طويلة ومحفوفة بالمخاطر وعرضة للإغارات، وكانت مصدر قلق دائم ومتاعب لا تنتهي للكنيسة ولحراسها.

ومع الوقت طور فرسان الهيكل مهاراتهم ليصبح استثمار الأموال والنفائس وإدارة المزارع والضياع وتربية الخيول وإقراض الأموال وتجارة البضائع أحد أبرز أنشطتهم، بل نشاطهم الأساسي الذي تدور كل الأنشطة الأخرى حوله ومن أجله، وصار العدد الأكبر من فرسان الهيكل وكل بناء المنظمة التحتي موجهاً إلى المعاملات المالية والأنشطة الاقتصادية والتجارية متقدماً على القتال وخوض المعارك الذي صار واجهة الفرسان ومصدر الصيت وجلب الشرعية فقط.

وأنشطة فرسان الهيكل الاقتصادية ومعاملاتهم المالية والتقنيات التي طوروها للاستثمار شديدة التنوع والابتكار، بل قد مارسوا كل أنشطة البنوك والمؤسسات النقدية الحديثة.

كان النبلاء وأبناء الأسر الأوروبية الأرستقراطية المتجهون إلى الأرض المقدسة للمشاركة في الحروب الصليبية يتغيبون عن بلادهم الأوروبية سنوات طويلة، فيكون فرسان الهيكل لهم بمثابة بنك أو شركة استثمارية، يضع النبيل أو الثري ثروته كلها تحت سيطرة فرسان الهيكل في بلده لحمايتها ويفوضهم في حراسة أعماله وضياعه وإدارتها حتى عودته.

فإذا مات في القتال أو لم يعد نقل فرسان الهيكل ثرواته وأملاكه وأعماله إلى ورثته الذين اختارهم لوراثته أو إلى المنظمة نفسها إن رغب في ذلك.

ومن أشهر الأمثلة وأكثرها غرابة أن ملك فرنسا فيليب أوجست Philip August كتب وصية، وهو يتأهب للذهاب إلى الأرض المقدسة إبان الحملة الصليبية الثالثة، أودع بها ثروة التاج الفرنسي في مقر فرسان الهيكل في باريس وفوضه في إدارة الأملاك الملكية، وطوال فترة غيابه كان ما يأتي من إدارة هذه الثروة والأملاك يذهب إلى فرسان الهيكل مباشرة.

وأقام فرسان الهيكل ما يشبه الشبكة البنكية داخل أوروبا، وبينها وبين الأرض المقدسة، وعبر الطرق الممتدة بينهما.

فإذا أراد أوروبي الحج إلى الأرض المقدسة يذهب إلى أقرب مقر لفرسان الهيكل أو كنيسة لهم في بلده ويودع فيها أموالاً أو مجوهرات أو ما يشاء من نفائس تغطي تكاليف الرحلة إلى الأرض المقدسة ذهاباً وإياباً، وما يرغب في شرائه من هدايا وتذكارات، وما يحتاجه من نفقات، وفي مقابل ذلك يعطيه مقر فرسان الهيكل ما يشبه الصك أو خطاب ضمان بما وضعه من أموال أو بصفة ما تركه من نفائس وقيمته.

وفى أثناء الرحلة الطويلة إلى الأرض المقدسة يقدم الحاج الصك أو خطاب الضمان عند كل مرحلة في رحلته إلى مقر فرسان الهيكل أو كنيستهم التي توجد فيها ليمنحوه ما يشاء من مال، ثم يقومون بتسجيل ما منحوه في الصك.

وعندما يعود الحاج إلى بلده يقدم الصك إلى المقر أو الكنيسة التي أودع فيها أمواله ونفائسه لتتم تسوية حسابه وإعادة ما بقي له من أموال، مع القدرة على إنزال أشد العقاب به عند الخداع أو المماطلة.

وبتقنية الصك أو خطاب الضمان هذه التي ابتكرها فرسان الهيكل، أو اقتبسوها كما ذكر كثير من الباحثين من احتكاكهم بالعالم الإسلامي، والتي تمتزج بمهمتهم الأخرى، وهى أنهم حماة الطرق وحراس الحجاج، توفر الأمان من النهب والسلب، لأن الحاج لا يأخذ من المال في كل مرحلة من الطريق إلا القدر الذي يكفيه إلى أن يصل إلى التي بعدها.

وفي الوقت نفسه أكسبت هذه التقنية المبتكرة فرسان الهيكل قوة سياسية ونفوذاً اقتصادياً وصلات واسعة وثيقة بنبلاء أوروبا وأثريائها، وصاروا بها جزءًا رئيسياً من نسيج المجتمعات الأوروبية وأحد عناصر رحلة الحج إلى الأرض المقدسة التي لا غناء عنها.

ومع الوقت وارتفاع النفوذ وكثرة الأموال والثروات وازدهار الكنائس والمقرات تطورت نشاطات فرسان الهيكل لتتحول إلى بنوك استثمارية وشركات عابرة للبحار والقوميات بعد قيامهم بتأمين الودائع والثروات وإدارتها في أوروبا، فبعد توفير نفقات الحج خلال الطرق إلى الأرض المقدسة بشبكتهم البنكية انخرط فرسان الهيكل فى تمويل التجارة ونقل البضائع.

فقد أنشأ الفرسان أسطولاً حربياً تجارياً يتكون من ثماني عشرة سفينة، قاعدته في جزيرة مايوركا Majorca الإسبانية في البحر المتوسط، ويتحرك بحرية تامة بين مواني إسبانيا وإيطاليا وفرنسا والأرض المقدسة وجزر البحر المتوسط، ولم تكن أي دولة أوروبية في حينه تملك أسطولاً بمثل سرعته وكفاءته، ولا بمثل قدرة الفرسان على حمايته والحركة والقتال به.

وبهذا الأسطول القوي وبكونهم رهبان كنائس الطرق، ومقراتهم فيها هي حامياتها العسكرية صار نقل الأموال والبضائع داخل اوروبا، ومنها إلى شواطئ المتوسط الجنوبية، وعبر الطرق المتشابكة الممتدة كالمروحة من شواطئ المتوسط إلى الأرض المقدسة أكفأ وأسرع وأكثر أمناً، وصار فرسان الهيكل ملجأ التجار وملاك المزارع والضياع في أوروبا الإقطاعية وملاذ الأمراء والنبلاء والكنيسة نفسها.

صار الفرسان بمثابة شركات متعددة القوميات وعابرة للبحار تستثمر أموال الأمراء والنبلاء وتدير أراضي الإقطاعيين وضياعهم، وتقوم هي بتأجير ما تمتلكه من مساحات شاسعة من الأراضي الموهوبة لها للمزارعين والتجار.

بعد خمسين عاماً من تكوينها صارت قوة منظمة فرسان الهيكل الاقتصادية وثرواتها المالية تفوق قوة أي دولة أوروبية وثروتها، بل تفوق دول غرب أوروبا مجتمعة.

وعند نهاية القرن الثاني عشر كانت فرسان الهيكل قد تحولت إلى بنوك ومؤسسات مالية عابرة للقوميات، وشركات تجارية واستشارية عابرة للبحار ومتعددة الجنسيات وتمارس جميع أنواع الأنشطة المالية والتجارية، وتفوق ثروتها بمراحل ثروة جميع ممالك أوروبا.

ومازاد قوة فرسان الهيكل المالية ونفوذهم الاقتصادي وألقى بثروات أوروبا كلها بين أيديهم إصدار البابا إنوسنت الثالث Inocent III مرسوماً بابوياً سنة ١٢٠٠م ينص على عدم خضوع الأفراد والأموال والبضائع داخل مقرات فرسان الهيكل وكنائسهم ومنازلهم للقوانين المحلية في الممالك والإمارات الأوروبية.

وأحد أبرز أنشطة فرسان الهيكل المالية التي ابتدعوا فيها الإقراض بالربا أو الفوائد، وهو ما جلب لها أموالاً طائلة وضاعف ثرواتها أضعافاً مضاعفة.

فمع ممارسة المنظمة لأنشطتها البنكية والاستشارية والتجارية وانفرادها بحرية الحركة بين ممالك أوروبا وإماراتها ومقاطعاتها وبينها وبين الأرض المقدسة تراكمت لديها أصول

مالية هائلة.

وأحد وجوه توظيف هذه الأصول كان إقراضها لمن هو بحاجة إلى المال.

وبمرور الوقت وازدياد الخبرة وكثرة المقترضين صار إقراض المنظمة للمال ثم أخذ الفوائد أو رهن أرض المقترض أو بعض أملاكه نظاماً متكاملاً، هو الذى ينفرد وحده تقريباً بتمويل مختلف أنواع الأنشطة التجارية والصناعية والمعمارية والحربية في أوروبا.

فكانت منظمة فرسان الهيكل تقرض التجار لشراء البضائع ونقلها بين دول أوروبا وبينها وبين الأرض المقدسة، وتقرض الأمراء والنبلاء لتمويل بناء القصور، وتقرض الملوك لتمويل بناء القلاع والحصون ولتجهيز حملاتهم الحربية ولتصريف أمور ممالكهم، وتقرض القساوسة والأساقفة لتمويل بناء كنائسهم وكاتدرائياتهم، وتقرض الجميع لتمويل الأنشطة الصليبية الحربية والمدنية في الأرض المقدسة.

فمنذ النصف الثاني للقرن الثاني عشر ومنظمة فرسان الهيكل هي الممول الحقيقي لمختلف الأنشطة الصليبية في الأرض المقدسة بما فيها الحملات الحربية.

وأشهر قرض قدمته منظمة فرسان الهيكل، وإن لم يكن أكبره، هو إقراضها ملك فرنسا لويس التاسع Louis IX الملقب بالقديس Saint حين وقع في الأسر إبان معركة المنصورة أثناء الحملة الصليبية السابعة، فقد أقرضته فرسان الهيكل ثلاثين ألف باوند لإكمال الفدية اللازمة لإطلاق سراحه، وقدرها مائتا ألف باوند.

والمشكلة التي واجهت فرسان الهيكل في أنشطتهم الخاصة بالقروض هي تحريم الكنيسة للإقراض بالربا تحريماً قاطعاً وإنزالها العقاب بمن يمارسه.

وقد تغلب فرسان الهيكل على هذه العقبة بحل مبتكر، وهو إقراض المال في مقابل أخذ أجرة على الإقراض تضاف إلى رأس المال المقترض، فالحل الذى ابتكره الفرسان لكي لا يقعوا تحت طائلة التحريم والعقوبات الكنيسة هو تغيير اسم المال الذي يأخذونه من المقترض زائداً على القرض من فائدة Interest إلى أجرة Rent !

وهو ما غضت الكنيسة الطرف عنه لأن أموال فرسان الهيكل كانت ضرورة لتمويل الأنشطة الصليبية من جهة، ولأن الكنائس نفسها كانت تقترض من فرسان الهيكل لتمويل منشآتها من جهة أخرى.

ومن أجل ضمان حقوقها المالية ورد القرض مع الفوائد التي تتراكم عليه كانت المنظمة

تشترط رهن بعض أملاك المقترض، قصوراً كانت أو أراض أو مجوهرات، فإذا عجز المقترض عن رد القرض آلت الملكية إلى فرسان الهيكل.

والمثال الشهير الذي يصور ما وصلت إليه فرسان الهيكل من براعة ومهارة، ومن قوة مالية ونفوذ اقتصادي، ومن تمكين وسلطة أن ملك انجلترا هنري الثالث Henry III اضطر للاقتراض من فرسان الهيكل لتمويل حملته الحربية ضد سيمون دي مونتفورت Simon de Montfort، ورهن في مقابل القرض مجوهرات التاج البريطاني في مقر فرسان الهيكل الرئيسي في باريس.

البناؤون الأحرار

الصفة الثالثة الرئيسية في فرسان الهيكل بعد كونهم الرهبان المقاتلين وأبرع مؤسسات العصور الوسطى الأوروبية المالية والاستشارية هي أنهم البناؤون العظام في تاريخ أوروبا القرون الوسطى، وهي الصفة التي مازالت آثارها قائمة فيما تركوه من منشآت باقية في مختلف بقاع أوروبا.

وأنشطة فرسان الهيكل الإنشائية والمعمارية كانت تتنوع بين المزارع والطواحين وحظائر الخيول، والكنائس والكاتدرائيات، والقلاع والحصون، ومقرات القيادة.

وعند حل منظمة فرسان الهيكل بعد قرنين من تكوينها كان عدد مقراتها في أوروبا خمسة عشر ألف مقر ومركز قيادة!

وأغلب هذه المقرات أقيم على أراض وُهبت لفرسان الهيكل من الأمراء والنبلاء والأسر الأوروبية العريقة، وأغلب المنشآت التي أقامها الفرسان في هذه المقرات كان تصميمها على شكل مستطيل أو مربع، تقع الكنيسة في جنوبه، وقاعات الطعام وعنابر النوم في شماله، والساحة في منتصفه، وحظائر الخيول تطل على الساحة.

وأغلب هذه المقرات كان يمارس أنشطة زراعية تشمل زراعة القمح وإنتاج الزيوت والخمور والصوف وتربية الماشية.

والمهمة الرئيسية لهذه المقرات كانت تربية خيول الحرب وتدريبها، لتنتقل بعد ذلك إلى الأرض المقدسة للمشاركة في المعارك الصليبية، وكان في مقدور فرسان الهيكل إمداد الجيوش الصليبية بأربعة آلاف فرس مدربة جاهزة لخوض المعارك في أي وقت تُطلب فيه.

ومن أبرز ما بناه فرسان الهيكل القلاع والحصون والطوابي الحربية، فقد كانت فرسان الهيكل منظمة عسكرية، سمعتها وصيتها وغطاؤها الذي تمارس من خلفه كل أنشطتها الأخرى الحرب والقتال.

وكل ما بناه فرسان الهيكل من قلاع وحصون كان في الأرض المقدسة وفي جنوب أوروبا، وأغلبها تم بناؤه في مواقع وعرة بها صعوبات هندسية وعوائق عديدة وتحتاج إلى ابتكار وجهد شاق لتمهيدها وجعلها صالحة للبناء عليها، وكثير منها يقع على ساحل البحر أو على الأنهار والممرات المائية.

والعدد الأكبر من القلاع والحصون التي بناها فرسان الهيكل في الأرض المقدسة كان بعد موقعة حطين واستعادة صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس، وكان الغرض الرئيسي منها تأمين الوجود الصليبي وصد الإغارات الإسلامية.

وأحد أضخم إنشاءات فرسان الهيكل العسكرية وأقواها قلعة صفد، وكانت قادرة على استيعاب ألفي مقاتل وتوفير ملجأ للمزارعين الصليبيين في المنطقة عند تعرضها للإغارة.

والقلاع الشهيرة الأخرى التي شيدها فرسان الهيكل لتكون حصوناً يحتمون فيها ويؤمنون المناطق الصليبية التي تقع فيها بعد ميل ميزان الحروب الصليبية في اتجاه المسلمين القلعة التي بنوها جنوب يافا على ساحل البحر، وقلعة طرسوس، والقلعة البيضاء والقلعة الحمراء، وكلتاهما في سوريا.

أما سبب شهرة فرسان الهيكل الذائعة كبناءين عظام فهو الكنائس والكاتدرائيات.

في سنة ١١٣٩م أذن البابا إنوسنت الثاني لمنظمة فرسان الهيكل في بناء كنائس خاصة بها لا تخضع لسيطرة الأبرشيات والأسقفيات المحلية التي كان تكوين أوروبا الإقطاعية يدور حولها، وكل شئ فيها يخضع لسلطتها.

ومنذ ذلك الحين شن فرسان الهيكل حملة بناء واسعة عبر أوروبا كلها للكنائس والكاتدرائيات، وكان الفرسان يختارون لبناء هذه الكنائس والكاتدرائيات مواقع مرتفعة كالتلال وأشباه الجبال لكي تمكنهم من مراقبة طرق الحج والتجارة التي أقاموها على مشارفها ومن السيطرة عليها.

فقد كانت هذه الكنائس في مواقعها أماكن للعبادة وأداء الطقوس، ومراكز للقيادة، وأبراجًا للمراقبة، ومخازن للسلاح، وبنوكًا للإقراض وتمويل الحجاج المسافرين الحائزين لصكوك من فرسان الهيكل في بلدانهم مقابل ما وضعوه من ثروات وممتلكات، وشركات لتخزين البضائع والتجارة.

وقد أحدث فرسان الهيكل ثورة في تصميم الكنائس والكاتدرائيات، فعلى خلاف الطراز الشائع في عصرهم من العمارة كانت كنائس فرسان الهيكل ضخمة هائلة حصينة قوية ولكنها بسيطة التصميم تخلو من لمسات الجمال والزينة ومن الزخارف الشائعة في الكنائس المحلية.

وقد ابتدع فرسان الهيكل طرازاً في بناء الكنائس هو الطراز الدائري Round

Churches الذي تُشيد فيه الكنيسة على شكل مثمن متساوي الأضلاع والزوايا Octagonal Geomtry، وذلك على خلاف الطراز التقليدي في بناء الكنائس الكاثوليكية الذي يجعل تصميم أبنيتها على شكل صليب.

وهذا الطراز الدائري في عمارة الكنائس هو محاكاة من فرسان الهيكل لتصميم هيكل سليمان، فهيكل سليمان هو الشئ الحقيقي الذي قامت المنظمة من أجله وهم فرسانه، فرسان هيكل سليمان.

فلا عجب أن اختفى من اسمهم الذي اشتهروا وعرفوا به المسيح ولم يبق فيه سوى الهيكل!

في كل بلد أوروبي، وفي كل محطة رئيسية على طرق الحج والتجارة في أوروبا، فى فرنسا وإنجلترا واسكتلندا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا والبرتغال أقام فرسان الهيكل كنيسة أو كاتدرائية على طراز هيكل سليمان وبديلاً عنه يعوض فقدانه.

وإحدى أشهر الكنائس التي بناها فرسان الهيكل على الطراز الدائري وما زالت باقية حتى اليوم كنيسة الهيكل Temple Churche فى لندن التي كرسها بطريرك أورشليم نفسه سنة ١١٥٨م، وهى كنيسة دائرية مثمنة الأضلاع والزوايا ولها قبة مركزية ترتكز على ستة أعمدة(•).

ويقول خبراء العمارة وتاريخ البناء في أوروبا إن كل الكنائس والكاتدرائيات التي بناها فرسان الهيكل أو أسهموا في بنائها هي من الطراز القوطي Gothic من العمارة الذي شهد ازدهاراً كبيراً على يد فرسان الهيكل رغم أنه فى الأصل ليس طرازاً كاثوليكياً، بل والقوط أنفسهم كانوا محاربين للكنيسة وخارجين على المسيحية كلها!

لم يكن فرسان الهيكل يشيدون الكنائس إلا على الطراز القوطي، بل ولم يكونوا يسهمون في تشييد كنيسة ولا في تمويل إنشائها، ولو بالقروض والفوائد، إلا إذا كانت على الطراز القوطي!!

وتتميز كنائس الطراز القوطي التي بناها فرسان الهيكل بارتفاع أسقفها الشاهق، وسعة صحنها، وكثرة نوافذها وتلوينها، وخلوها تقريباً من التماثيل، وقلة الأعمدة، وعوضاً عنها كثرة العقود والقباب والمقنطرات.

(•) انظر صورة الكنيسة في ملحق الصور.

وقد كانت هذه العقود والقباب والمقنطرات سبب شهرة فرسان الهيكل كبناءين عظام لا نظير لهم، امتلكوا ناصية فن البناء وحازوا مفاتيحه وأسراره.

فقد كان أغلب هذه العقود والقباب والمقنطرات يقام بلا أعمدة، وإنشاء العقد أو القبة يقوم على حجر أو أحجار مركزية يرتكز عليها ويتزن عندها.

وهذا الحجر أو الأحجار المركزية في عمارة العقد أو القبة كان أحد تقنيات فرسان الهيكل وسراً من أسرارهم لا يطلع عليه إلا خبراء البناء منهم بعد استيثاق وتحر، وبعد درجات ومراتب يرتقي إليها درجة بعد درجة ومرتبة بعد مرتبة للتأكد من عدم إفشاء أسرار المهنة للمنافسين من طوائف البناءين.

وهذه التقنية التي حاز فرسان الهيكل سرها هي ما يطلق عليه الحجر المفتاح أو حجر العقد Clef de Voûte.

وخلال القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر، عصر فرسان الهيكل، تمايز البناؤون إلى ثلاثة طوائف.

الطائفة الأولى هى أبناء الأب سوبيس Children of Father Soubise، وهذه الطائفة كانت تتولى بناء الكنائس والمباني الكنسية على الطراز الروماني Romanesque Style.

والطائفة الثانية أبناء ميتر جاك Children of Maitre Jacque، وكان عملهم الوحيد تشييد القناطر والجسور.

والطائفة الثالثة هى أطقم البناءين التي اعتنت اعتناءًا كبيراً بالعمارة القوطية وتشييد الكنائس والكاتدرائيات على الطراز القوطي، وهؤلاء هم أبناء سليمان Children of Solomon.

وسليمان هنا مرة أخرى هو سليمان بن داوود باني الهيكل، وهو النموذج الأعلى والبناء المثالي عند الطائفة، فهي تحاذي تصميمه ومعماره في إنشاءاتها، وتستخدم أسماء أجزائه في تسمية أبنيتها، وتقسم أطقم البنائين إلى أقسام ودرجات مثيلة لأقسام من بنوه وشادوه ودرجاتهم.

وهذه الطائفة، فرسان الهيكل هم سادتها ومن يسيطرون عليها، وهم من تولوا صياغة قانونها ونظامها.

ففي مارس سنة ١١٤٥م أصدر فرسان الهيكل بالاتفاق مع الأب الروحي للمنظمة برنار دي كليرفو لائحة لأبناء سليمان وضعوا لهم فيها القواعد التي تنظم شؤون الطائفة وتحدد مهامها والنظام الداخلي لعملها، بل وتصف الطريقة الواجب على أبناء الطائفة اتباعها في كل شؤون حياتهم، أكلاً وثياباً ونوماً وعلاقات.

وهذه هي ديباجة اللائحة نصاً:

"نحن فرسان المسيح والهيكل نتبع الطريق الذي تفنى فيه أرواحنا من أجل المسيح، ونحن إذ نقدم هذه القواعد المنظمة لعمل البناءين وشؤون حياتهم، ممن يقومون بتشييد الكنائس من أجل أن تنتشر المسيحية في أرجاء الأرض كلها، نقدمها لا من أجل أنفسنا أو شهرة أسمائنا، بل لكي يبقى اسم إلهنا ومخلصنا حياً إلى الأبد".

الأفـول

كانت الحروب الصليبية هي المحضن الذي تكونت فيه منظمة فرسان الهيكل، وهي سبب تكوينها الظاهر، وارتبط ازدهار فرسان الهيكل باستقرار الممالك والإمارات الصليبية في الشرق الإسلامي وتدفق الحجاج المسيحيين بين أوروبا والأرض المقدسة.

وكانت حماية فرسان الهيكل لطرق الحج المسيحية عبر أوروبا وفي الأرض المقدسة، وقوتهم العسكرية المنظمة وبسالتهم في المعارك الصليبية هو ما أكسبهم النفوذ والرفعة في أوروبا المسيحية ومنحهم امتيازات وسلطة لم يحزها أحد غيرهم، وكانت كذلك هي الغطاء الذي تحولت المنظمة في ستره وتحت راياته إلى حاميات عسكرية، وإلى بنوك وشركات عابرة للبحار، والى جيش جرار يتحرك عبر أوروبا كلها في حرية تامة ودون سلطة لأحد عليه، وإلى أسطول ضخم يتحرك بين موانى أوروبا وجزر البحر المتوسط ومن شواطئ المتوسط الشمالية إلى شواطئه الجنوبية، وإلى ثروات طائلة ومزارع شاسعة.

ولأن الحروب الصليبية واستقرار الممالك والإمارات الصليبية كانت سبب ازدهار فرسان الهيكل وغطاءهم ومصدر شرعية وجودهم فى العالم المسيحي، كان تحول ميزان الحروب الصليبية في اتجاه الإسلام وتهاوي الإمارات الصليبية تحت ضربات الجيوش الإسلامية وأخطاء فرسان الهيكل الاستراتيجية والتكتيكية في المعارك هي بداية أفول نجم فرسان الهيكل وفقدانها لمصدر شرعيتها والغطاء الذي استترت به لتتوغل في مختلف مناحي الحياة في أوروبا ولتسير بها كلها في الاتجاه الذي سارت بها فيه.

لأن فرسان الهيكل منظمة عسكرية صنع مجدها وبوأها منزلتها الرفيعة القتال والبسالة في المعارك كانت موقعة حطين التي كسرت الممالك الصليبية وسحقت زهرة جيوشها وتغير بها مسار الحملات الصليبية هي بداية أفول الفرسان.

في موقعة حطين التي كانت يوم ٤ يوليو سنة ١١٨٧م ارتكب جيرار دي ريدفورد Gerard de Rideford، الأستاذ الأعظم لمنظمة فرسان الهيكل أخطاء استراتيجية وتكتيكية فادحة أفقدت فرسان الهيكل ميزتهم القتالية وأسهمت في الكارثة التي حاقت بالجيوش الصليبية.

وكان أحد أخطاء جيرار دي ريفورد أنه جازف وخرج في ثمانين من فرسانه المقاتلين،

وهم صفوة الجيوش الصليبية أو قواتها الخاصة، لمباغتة صلاح الدين دون أن يكون معهم ما يكفي من الماء والزاد.

واستغرق وصوله لجيش صلاح الدين والتقاؤه به يوماً كاملاً كانت الصحراء وشمسها الحارقة في صيف يوليو قد أنهكت فيه الفرسان، فأحاط بهم صلاح الدين وقتل أغلبهم.

أما خطيئة دي ريدفورد التي قتل بها فرسان الهيكل وصارت وصمة عار محت تاريخها وأفقدتها منزلتها في عالم الصليبيين، فهي أنه حين أحيط به وفني أغلب فرسانه خالف تقاليد فرسان الهيكل وميثاقهم بالقتال حتى الموت واستسلم لصلاح الدين ليقع أسيراً، ثم أطلق سراحه بعد حطين بفدية باهظة.

وبعد أشهر قليلة من حطين كان صلاح الدين قد أزال مملكة أورشليم الصليبية واستعاد بيت المقدس، وهو ما هز أوروبا هزاً، وفي الوقت نفسه قوض أركان فرسان الهيكل وأزال عالمها الذي تكونت وازدهرت فيه.

وقد تولى فرسان الهيكل كِبر دفع أوروبا إلى معركة فاصلة أخرى مع صلاح الدين، وسعوا لدى ملوك أوروبا وأمرائها من أجلها، لكن أخطاء أستاذها الأعظم وخطيئة استسلامه أغلقت الأبواب أمامهم، فرفض فيليب أوجست ملك فرنسا فكرة شن حملة صليبية جديدة، وهو ما أفقد القوى الصليبية المتحالفة أحد أكبر جيوشها وأكثرها قوة.

ثم توالت الهزائم والمعارك الخاسرة على الجيوش الصليبية وفي طليعتها نخبتها المقاتلة، فرسان الهيكل.

ففي سنة ١١٩١م هُزم الصليبيون في يافا، وفي كارثة أخرى على الصليبيين قتل سنة ١٢٤٤م ثلاثمائة واثنا عشر فارساً من فرسان الهيكل وجرح ثلاثمائة وثمانية وأربعون آخرون، تلتها معركة المنصورة سنة ١٢٥٠ م التي كُسرت فيها الحملة الصليبية السابعة التي شنها إداوارد الأول ملك إنجلترا ولويس التاسع ملك فرنسا، ومني الصليبيون بخسارة فادحة، وأسر القديس لويس التاسع، وفي سنة ١٢٦٦م سقطت إمارة صفد الصليبية وبها أمنع قلاع فرسان الهيكل وأكثرها قوة واستحكاماً.

وكانت خاتمة الحروب الصليبية سقوط عكا سنة ١٢٩١م بعد حصار طويل لم يستطع فرسان الهيكل الصمود فيه.

ومع كل هزيمة كان مقر قيادة فرسان الهيكل ومواقع تمركزهم تنتقل من مكان إلى آخر،

فمن أورشليم إلى يافا إلى صفد ثم إلى عكا.

ومع سقوط عكا آخر قلاع فرسان الهيكل ومواقعهم في الشرق الإسلامي، ومع جلائهم وجلاء الصليبيين جلاءًا نهائياً عن عالم الإسلام اضطر فرسان الهيكل إلى نقل مقر قيادتهم إلى جزيرة قبرص.

في سنة ١٢٩٢م اتخذ جاك دي مولاي Jacques de Molay آخر رؤساء فرسان الهيكل وأساتذتها العظام مقراً في قبرص، ثم قام بجولات واسعة في أوروبا من أجل الدعاية لفرسان الهيكل وتحريض البابا وملوك أوروبا على شن حملة صليبية جديدة لاستعادة الأرض المقدسة، ولم يثمر سعيه عن حملة جديدة، لكنه تمكن من الحفاظ لفرسان الهيكل على امتيازاتها.

وافق البابا بونيفسيوس الثامن Boniface VIII على منح فرسان الهيكل في قبرص ما كانوا يحوزونه من امتيازات في الأرض المقدسة.

وأقر إدوارد الأول Edward I ملك إنجلترا، وتشارلز الثاني Charles II ملك نابولي امتيازات فرسان الهيكل، كحرية التنقل وعبور الحدود دون دفع ضرائب أو مكوس، ووافقا على السماح لفرسان الهيكل بإعادة تكون جيشها من جديد.

وفي سنة ١٣٠٠م بدأ فرسان الهيكل محاولة لاستعادة طرطوس، فنقلوا بأسطولهم قوات من فرسان الهيكل مع خيولهم من قبرص إلى جزيرة أرواد Arwad في بحر إيجه، وهي جزيرة في موقع استراتيجي على بعد مائة ميل من قبرص، وبينها وبين ساحل طرطوس ميل واحد.

وكان فرسان الهيكل يأملون في تحويلها إلى قاعدة لنقل القوات إليها وتجميعها فيها ثم مهاجمة طرطوس وسواحل سوريا منها، غير أنه في سنة ١٣٠٢م هاجم المماليك أرواد واستعادوها، ففقد فرسان الهيكل بذلك آخر موطئ قدم لهم في الشرق.

ومن حينها صارت فرسان الهيكل منظمة عسكرية بلا هدف وجيشاً بلا معركة ولا ساحة قتال، ولم يعد في حوزتها من القوة سوى السيطرة المالية والنفوذ الاقتصادي بما كنزته من ثروات وما أقامته من بنوك وشركات، وما أنشأته من مزارع ومقرات في أوروبا.

وهو ما كان أحد أسباب تدميرها.

الحل والتدمير

في سنة ١٣٠٥م صعد البابا كليمنت الخامس Clement V إلى العرش البابوي، وفي السنة نفسها، وبناء على رغبة صديقه وتربه ملك فرنسا فيليب الرابع Philipe IV الملقب بالجميل Le Bell، أرسل البابا كليمنت الخامس الفرنسي الأصل رسالتين إلى جاك دي مولاي الأستاذ الأعظم لمنظمة فرسان الهيكل، وإلى فولك دي فيلاريه Fulk de Villaret الأستاذ الأعظم لمنظمة فرسان الإسعاف Knights Hospitaller، يدعوهما للحضور إلى فرنسا للقائه ومناقشة دمج المنظمتين في منظمة واحدة.

وفي سنة ١٣٠٧م وصل جاك دي مولاي من قبرص إلى فرنسا، قبل نظيره دي فيلاريه ببضعة أشهر.

وفي أثناء إقامة دي مولاي في فرنسا طلب منه البابا كليمنت الخامس تفسيراً لما أثير خلال السنتين الماضيتين حول فرسان الهيكل وما تتهم به من الهرطقة وممارسة السحر ومن أفعال منافية للأخلاق المسيحية.

وأكد الملك فيليب الرابع لصديقه البابا كليمنت الخامس صحة ماتُتهم به منظمة فرسان الهيكل، وأنه هو نفسه تأكد من صحتها باثني عشر جاسوساً بثهم بين صفوف فرسان الهيكل في فرنسا.

وفي يوم الجمعة ١٣ أكتوبر سنة ١٣٠٧م أصدر فيليب الرابع أمراً باعتقال جاك دي مولاي، الأستاذ الأعظم لمنظمة فرسان الهيكل، وسجنه مع سبعين من قيادات المنظمة في فرنسا في حصن شينو Chinon.

وتحت وطأة التعذيب الجسدي اعترف دي مولاي ومن اعتقلوا معه من فرسان الهيكل بالهرطقة Heresy ، وأقروا بقائمة التهم الطويلة التي وجهت إليهم.

وفي خلال السنوات الخمس التالية اعتقل مائة وخمسة وثلاثون آخرون من فرسان الهيكل في فرنسا، واعترفوا جميعاً وهم يعذبون، وأقيمت لمن اعترفوا محاكمات أقروا فيها بما اتهموا به.

وأحدثت اعترافات فرسان الهيكل بالهرطقة وممارسة السحر والشعوذة دوياً في باريس، وثار العوام في فرنسا ثورة شديدة على المنظمة المهرطقة التي كفرت بالمسيح وأهانت

الصليب مطالبين بتدميرها وحرق فرسانها.

ونزولاً على رغبة الملك فيليب الرابع الذي اتخذ موقع الثائر للمسيحية المدافع عن الكاثوليكية، وتحت ضغط ثورة العوام الهائجة أصدر البابا كليمنت الخامس مرسوماً بابوياً: Postoralis Praeeminentiae يأمر فيه كل الملوك والأمراء المسيحيين في أوروبا باعتقال فرسان الهيكل ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم والتحفظ عليها، ثم محاكمتهم بقائمة طويلة من التهم لإدانتهم أو تبرئتهم.

وانصياعاً لأوامر البابا ألقي القبض على فرسان الهيكل في كافة بلدان أوروبا، انجلترا وألمانيا وإسبانيا والبرتغال وإيطاليا وقبرص، وقدموا جميعاً للمحاكمة، فاعترف بعضهم تحت وطأة درجات متفاوته من التعذيب بما وجه إليهم من تهم، وأصر آخرون على براءتهم إلى النهاية، وبعضهم برأته المحاكمات فعلاً خاصة في إنجلترا.

وفي يوم ١٢ مايو سنة ١٣١٠م، وبعد محاكمات طويلة أمر الملك فيليب الرابع بإحراق أربعة وأربعين فارساً من فرسان الهيكل أحياء وعلناً في باريس.

وفي السنة نفسها انتهت اللجنة التي كونها البابا كليمنت الخامس لمتابعة قضية فرسان الهيكل وتقديم تقرير عن المنظمة وأعمالها وممارساتها وحقيقة ما تتهم به من تحقيقاتها.

وبناءًا على تقرير اللجنة البابوية اتخذ مجمع فيينا المقدس Council Of Vienne في ١٦ أكتوبر سنة ١٣١١م قراراً بحل منظمة فرسان الهيكل.

وفي ٢٢ مارس سنة ١٣١٢م أصدر البابا كليمنت الخامس مرسوماً بابوياً: Vox In Excelso بحل منظمة فرسان الهيكل دون توقيع عقوبات على فرسانها إلا من أدين باعترافه، ثم أتبعه بمرسوم آخر: Ad Providam يصادر فيه ممتلكات فرسان الهيكل ويحولها إلى منظمة فرسان إسعاف القديس يوحنا Hospitellars of Saint Jhon .

أما جاك دي مولاي رئيس فرسان الهيكل وأستاذها الأعظم فقد أدين باعترافه، وأقيمت له منصة أمام كاتدرائية نوتردام Notredam في باريس وتليت عليه الاتهامات الموجهة إليه، ثم الحكم الذى حكم عليه به أمام الجماهير المحتشدة.

وفي يوم ١٨ مارس ١٣١٤م أُحرق جاك دي مولاي مع جيوفروا دي شارني Geaffroi de Charney، قائد فرسان الهيكل في نورماندي، أحياء على الخازوق وألقي الرماد

المتخلف في نهر السين(•).

(•) انظر صورة جاك دي مولاي في ملحق الصور.

الأساتذة العظام

هذه هى قائمة الأساتذة العظام لمنظمة فرسان الهيكل منذ مؤسسها وحتى آخرهم جاك دي مولاي:

١	هوج دي بايان	Hugh de Payens	١١١٨م-١١٣٦م
٢	روبرت دي كارون	Robert de Caron	١١٣٦م-١١٤٦م
٣	إيفيرار دي باري	Everard de Barres	١١٤٦م-١١٤٩م
٤	برنار دي تريمالالي	Bernard de Tremalali	١١٤٩م-١١٥٣م
٥	أندرو دي مونتبارد	Andrew de Montbard	١١٥٣م-١١٥٦م
٦	برنار دي بلانشيفورت	Bernard de Blanchefort	١١٥٦م-١١٦٩م
٧	فيليب دي ميللي	Philipe de Milly	١١٦٩م-١١٧٠م
٨	أودو دي سان أماند	Odo de St. Amand	١١٧٠م-١١٧٩م
٩	أرنولد دي توروج	Arnold de Torroge	١١٧٩م-١١٨٥م
١٠	جيرار دي ريدفورت	Gerard de Ridefort	١١٨٥م-١١٨٩م
١١	روبرت دي سابل	Robert de Sable	١١٩٠م-١١٩٣م
١٢	جلبرت إريل	Gilbert Erail	١١٩٣م-١٢٠١م
١٣	فيليب دي بليسيز	Philipe de Plaissez	١٢٠١م-١٢٠٨م
١٤	وليم دي شارترس	William de Chartres	١٢٠٨م-١٢١٨م
١٥	بيتر دي مونتيج	Peter de Montaigue	١٢١٨م-١٢٣٠م
١٦	أرماند دي بيريجورد	Armand de Perigord	١٢٣٠م-١٢٤٥م
١٧	وليم دي سوناك	William de Sonnac	١٢٤٥م-١٢٥٠م
١٨	رينالد دي فيشيه	Reynald de Vichiers	١٢٥٠م-١٢٥٦م
١٩	توماس بيرار	Thomas Berard	١٢٥٦م-١٢٧٢م

٢٠	وليم دي بيجو	William de Beaujeau	١٢٧٢م–١٢٩١م
٢١	تيبالد جودان	Tibald Gaudin	١٢٩١م–١٢٩٥م
٢٢	جاك دي مولاي	Jacque de Molay	١٢٩٥م–١٣١٤م

التهم

الجرائم التي اتهم بها فرسان الهيكل واعترفوا بها تحت وطأة التعذيب إبان محاكماتهم قائمة طويلة تشمل أكثر من مائة تهمة وفعلة شنيعة.

والتهم التي تضمها قائمة جرائم فرسان الهيكل الطويلة ثلاثة أنواع:

النوع الأول: هو الهرطقة والخروج على المسيحية، ويشمل هذا النوع من التهم إهانة المسيح وإنكار ألوهيته، والبصق على الصليب والتبول فوقه، واحتقار القداس، وإنكار المقدسات والقديسين.

والنوع الثاني من التهم: هو الجرائم الأخلاقية، ويشمل الانحلال الأخلاقي وممارسة الشذوذ الجنسي بصورة جماعية ومنظمة، وابتكار طقوس للترقي داخل المنظمة تحتوي على ممارسة الشذوذ وتقبيل أعضاء التناسل.

والنوع الثالث: هو ممارسة طقوس وثنية بعبادة رأس حجري اسمه بافوميت Baphomet، وعبادة وثن العذراء السوداء Black Virgin وإقامة الطقوس والشعائر لها، وعبادة وثن لساحرة على شكل قطة سوداء.

وجل هذه الجرائم والفواحش وأفعال الهرطقة كانت تمارس في سرية تامة، وتؤدى كطقوس للانضمام إلى المنظمة والترقي فيها، فالعضو الجديد لا يقبل في المنظمة، والقديم لا يرتقي من درجة إلى أخرى إلا إذا أثبت جدارته بإهانة المسيح والتبول على الصليب والسجود لبافوميت أو العذراء السوداء.

والسرية الشديدة التي أحاطت منظمة فرسان الهيكل بها نفسها، والغموض الذي يلف أعمالها وأنشطتها وطقوسها كان أحد أكبر أسباب ارتياب البابا وملوك أوروبا فيها وسخطهم عليها.

فلكي تحصل المنظمة على الشرعية واعتراف الكنيسة بها في مؤتمر طروادة سنة ١١٢٨م، كان لابد من أن تقدم لائحة تفصيلية بتكوينها ودرجاتها وأهدافها وأنشطتها ووسائلها ومصادر أموالها وجهات انفاقها.

وما بعد هذه اللائحة الأولى كان كل ما يتعلق بفرسان الهيكل سرياً وغامضاً، ولا يعلم عنه أحد من خارجها شيئاً.

فعلى الرغم من امتداد فرسان الهيكل عبر أوروبا كلها وفي الأرض المقدسة، واتصالها بجميع أنواع الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في أوروبا، لم يكن لها سجلات علنية ولا وثائق متاحة لأحد يطلع عليها، فكل سجلات تعاملاتها المالية والتجارية محفوظة في داخل كنائسها وقلاعها في سرية بالغة.

وطقوس الانضمام للمنظمة وسبل الترقي فيها مجهولة، وجيشها يتحرك عبر الحدود من طرف القارة الأوروبية إلى طرفها دون أن يعرف أحد على وجه التحديد قادته أو موارده أو كيفية تسليحه أو تعداده وعدته.

وقد انقسم المؤرخون والباحثون في تاريخ فرسان الهيكل والمنقبون خلفها إزاء الجرائم التي اتهم بها الفرسان وحوكموا بسببها إلى قسمين.

فالقسم الأول يرى أن هذه الجرائم غير حقيقية وتم تلفيقها لفرسان الهيكل للتخلص منهم، وأن اعترافهم بهذه الجرائم كان تحت وطأة تعذيب عنيف لا اعتبار معه لاعتراف ولا إقرار.

وأبرز رجال هذا الفريق رينوارد Raynward ١٨١٣م، وهافمان Havemann ١٨٤٦م، ولي Lea ١٨٨٨م.

وتفسير ما اتهم به فرسان الهيكل عند هذا الفريق أن المنظمة لما حازته من نفوذ وسلطة وثروة صار لها حاقدون وأعداء كثيرون، فحقد عليها الملوك والأمراء لأن سلطتها فوق سلطتهم، ونفوذها فاق نفوذهم، فلا سيطرة لحاكم في أوروبا كلها عليها، وجيوشها تتحرك وتعبر الحدود بحرية ودون إذن وتخلق في كل مكان تعبره القلاقل، وأموالها وتجاراتها تتدفق عبر أوروبا كلها دون ضرائب ولا مكوس.

وأمراء الإقطاع حقدوا على فرسان الهيكل وكانوا ينتظرون يوم زوالها لما أحدثته من ثورة اجتماعية في أوروبا بحرية حركة التجارة، وبنوكها وما تقرضه لأهالي القرى والمدن الصغيرة مما كون طبقة جديدة خارجة على الإقطاع ومستقلة عنه ومنافسة لأمرائه.

وفيليب الرابع ملك فرنسا نفسه لم يكن تدبيره للقضاء على فرسان الهيكل وما اتهمها به في محاكماته من جرائم إلا ذريعة للتخلص من نفوذ المنظمة في فرنسا، وقد كانت فرنسا معقل فرسان الهيكل الرئيسي في أوروبا، ومقرهم في باريس هو أكبر مقراتهم في أوروبا وأكثرها ثراءًا ونشاطاً.

وكان فرسان الهيكل يتركزون بصفة خاصة في مقاطعة لانجدوك Languedoc جنوب فرنسا، ويديرونها وكأنها دولة مستقلة، ويعتبرونها فعلاً منفصلة عن الدولة الفرنسية، فلا سلطة لها عليها ولا علاقة لها بها.

وكان فيليب الرابع مديناً لفرسان الهيكل بدين ثقيل، والدولة الفرنسية كلها كانت مدينة لمقر الفرسان في باريس، ومن ثَم كان تدمير فرسان الهيكل والاستيلاء على ثرواتها وممتلكاتها هو السبيل الوحيد لإنقاذ فرنسا واستعادة فيليب الرابع نفسه لثروته.

وأما الفريق الثاني من المؤرخين والباحثين فيأتي على رأسه فون هامر Von Hammer ١٨٢٠م، وفيلكي Wilke ١٨٢٦م، وبروتز Pruts ١٨٨٨م.

وعند هذا الفريق أن فرسان الهيكل هي فعلاً منظمة مجدفة مهرطقة ظاهرها غير حقيقتها، وغايتها الحقيقية كانت القضاء على المسيحية وإسقاط البابوية.

ويستدل هؤلاء على ذلك بأن اعترافات فرسان الهيكل بما اتهموا به وإقرارهم بجرائمهم إبان محاكماتهم كان تحت وطأة التعذيب في فرنسا فقط، أما في غيرها من بلاد أوروبا، فقد اعترف الفرسان بالتهم نفسها دون كبير تعذيب، بل بضغوط خفيفة لا يتصور معها الإقرار بالهرطقة والشذوذ الجنسي، وهى أبشع الجرائم في أوروبا الكاثوليكية البابوية.

ففي إنجلترا اعترف فرسان الهيكل بتهم مثيلة لما اعترف به فرسان فرنسا في محاكمات ليس فيها شئ من التعذيب، بل كان إدوارد الثاني Edward II ملك إنجلترا يحميهم ويسمح لمن أراد منهم بالعودة إلى الحياة المدنية في أي موقع شاء.

وفي إسبانيا والبرتغال كانت اعترافات فرسان الهيكل بالتهم هي هي دون تعذيب مطلقاً، بل وهم تحت رعاية ملكية، فقد حاكمهم ملك البرتغال انصياعاً لأمر البابا وهو حدب عليهم لحاجة شبه الجزيرة الأيبرية لهم في حروب استعادة إسبانيا التي كان يشنها الكاثوليك على الأندلس المسلمة.

والأمر الثاني هو أن بعض التهم التي وجهت لفرسان الهيكل وأقروا بها ليست من ذلك النوع من التهم الذي يقر به عادة من يقع تحت طائلة التعذيب لمن يعذبه.

فالذي يُعذب يعترف بتهم يعرف أن من يعذبه يريده أن يقر بها لكي يدينه بها، ويكون الاعتراف من أجل أن يتوقف التعذيب.

فالهرطقة وسب المسيح والتبول على الصليب والشذوذ الجنسي تهم من هذا النوع، لكن

عبادة وثن حجري على شكل رأس إنسان أو عبادة العذراء السوداء أو الساحرة القطة ليس من ذلك النوع من التهم الذى يختلقه أحد ويقر به تحت وطأة تعذيب يريد التخلص منه.

فهذه تهم لم يُعرف أن أحداً في التاريخ أقر بها غير فرسان الهيكل، وكان يستوي عند من يحاكمونهم أن يذكروها أو ينكروها بعد إقرارهم بالهرطقة والشذوذ.

بافوميت والعذراء السوداء

الوثن الحجري الذي كان يعبده فرسان الهيكل ووضعه فيليب الرابع في قائمة التهم التي وجهها لفرسان الهيكل، ووصفه الفرسان أنفسهم إبان محاكماتهم، هو منحوتة حجرية على شكل رأس إنسان بالحجم الطبيعي وذي شعر طويل ولحية حمراء كثيفة اسمه بافوميت Baphomet.

وقد حار كل من أرخوا لفرسان الهيكل وكتبوا عنهم في تفسير لغز هذه الرأس الحجرية ولمن ترمز أو تكون وسر عبادة فرسان الهيكل لها.

فذهب كوينيج P.R. Koenig في كتابه: أشياء ساخنة جداً Too hot to handle إلى أن هذه الرأس الحجرية ترمز لرأس يوحنا المعمدان التي قطعها هيرود وقدمها على طبق من الفضة لسالومي.

ويوحنا المعمدان كان أحد مقدسات فرسان الهيكل، وهو عندهم المسيا الحقيقي، أما المسيح فنبي كذاب.

ومن الشائعات التي أثيرت حول فرسان الهيكل أنهم عثروا فعلاً على رأس يوحنا المعمدان إبان الحملة الصليبية الرابعة سنة ١٢٠٣م، وهي الحملة التي استولت على القسطنطينية ونهبتها، فكان مما استولى عليه الفرسان رأس يوحنا المعمدان المحفوظة في كنيسة قصر بوكوليون Boucoleon.

وفسر فورست جاكسون Forrest Jackson في كتابه: بافوميت في التاريخ وفي الرمزية The Baphomet in history and symbolism عبادة فرسان الهيكل للرأس الحجرية بأنها رأس هوج دي بايان مؤسس فرسان الهيكل وأول أساتذتها العظام.

وكان من اعترافات بعض فرسان الهيكل في فرنسا في أثناء محاكمتهم أن الرأس الحجرية التي يعبدونها مصنوعة ومصبوبة حول جمجمة هوج دي بايان الحقيقية.

وكان تفسير إيان ويلسون Ian Wilson لهذه الرأس أنها رأس أزموديوس Asmodeus، الجني الحارس الذي ساعد سليمان وشاركه بأتباعه السبعين في بناء الهيكل، فعبادة فرسان الهيكل الرأس الحجرية كانت تقديساً لهذا الجني وإحياء لذكرى مشاركته في بناء الهيكل الذي هم فرسانه.

وكان تفسير دكتور هوج شونفيلد Hugh Schonfield لهذا اللغز عبر اسمه: بافوميت Baphomet.

ودكتور شونفيلد هو أحد الخبراء في مخطوطات البحر الميت، وهي مخطوطات كتبتها الجماعات الإسينية Essenes في بواكير المسيحية وقرونها الأولى.

ولتعمية من يلاحقونهم وتحسباً لوقوع هذه المخطوطات في أيدي أعدائهم، فقد شفَّر من كتبها كثيراً من أسماء الأشخاص والأماكن بشفرة أتباش Atbash العبرية.

وشفرة أتباش اليهودية تقوم على كتابة حروف الكلمة بحروف بديلة، فيحدد ترتيب الحرف الأصلي في الأبجدية من أولها، ثم يوضع مكانه الحرف الذي يناظره في الترتيب من آخرها.

فيكون مكان أول حرف من الأبجدية (أ في العربية مثلاً) آخر حرف فيها (ى)، ومكان ثاني الحروف (ب) الحرف قبل الأخير (و)، وهكذا.

ويكون حل الشفرة ومعرفة الاسم الحقيقي بعملية عكسية توضع فيها الحروف من أول الأبجدية محل ما يناظرها فى الترتيب من آخرها.

قام دكتور شونفيلد بتطبيق شفرة أتباش على اسم الرأس الحجرية Baphomet، فكانت الكلمة الناتجة صوفيا Sophia، وهى كلمة إغريقية تعنى: الحكمة.

فالمعبود بهذا الرأس الحجري هو ربة الحكمة، وربة الحكمة والمعرفة الأولى، وكل ربات الحكمة الأخريات بنات لها، هي، كما ذكر المؤرخ الروماني بلوتارك Plutarck ، إيزيس المصرية.

ففرساني الهيكل كانوا يعبدون الحكمة ويقدسون المعرفة في شخص إيزيس، وهو تفسير يعضده أن كثيراً من أفكار فرسان الهيكل ورموزهم تختلط فيها الأفكار والرموز المصرية القديمة بالتقاليد والمعتقدات اليهودية.

وهذا التفسير لبافوميت باستخدام شفرة أتباش والوصول إلى أنه صوفيا أو الحكمة هو الذي اقتبسه دان براون كاملاً وبحذافيره في رواية شفرة دافنشي وجعله إحدى شفرات روايته، بل أعقد شفراتها.

وإيزيس المصرية تصل بنا إلى العذراء السوداء Black Virgin، وعبادتها هي إحدى أغرب التهم التي وجهت لفرسان الهيكل وأقروا بها.

والعذراء السوداء تمثال لسيدة تحمل بين يديها طفلاً رضيعاً، هو صورة طبق الأصل من تماثيل السيدة مريم العذراء التقليدية مع اختلاف واحد، هو أنها سوداء والرضيع الذي تحمله أسود.

وعند محاكمة فرسان الهيكل ولقرون بعدها كان يظن أن وثن العذراء السوداء ليس سوى تشويه للسيدة مريم العذراء والمسيح قصد به الفرسان تحقير العذراء والسخرية من المسيح ضمن باقي طقوس إهانتهم للمقدسات المسيحية.

ومنذ القرن الثامن عشر، ومع اكتشاف الحضارة المصرية القديمة وفك رموز لغتها صار للعذراء السوداء معنى آخر.

فذهب إيان بيج Ean Begg في كتابه: وثن العذراء السوداء The cult of black virgin إلى أن اللون الأسود كان في مصر القديمة رمزاً للحكمة والمعرفة.

وذهب البروفيسور ستيفان بينكو Stephan Benco إلى أن الأسود كان اللون المقدس في مصر القديمة لأنه لون الأرض رمز الخصوبة والنماء.

والحكمة والمعرفة هي إيزيس، وربة الأرض ورمز الخصوبة والنماء في مصر القديمة هي أيضاً إيزيس.

فالعذراء السوداء ليست سوى أم الحكمة والمعرفة ومصدر الخصوبة إيزيس تحمل وليدها حورس ولا صلة لها بمريم العذراء ووليدها يسوع.

وهو ما أكده لين بيكنيت Lynn Biknet وكلايف برنس Clive Prince في كتابهما: صدمة الحقيقة The shocking truth unveiled، واستدلا عليه بما اكتشف من تماثيل لإيزيس تحمل حورس وهي سوداء وهو أسود، والعذراء السوداء تبدو وكأنها نسخة منها(•).

وعند إيان بيج أن العذراء السوداء هي، كغيرها من أفكار فرسان الهيكل وطقوسهم، نتاج امتزاج الرموز المصرية القديمة بالتراث اليهودي، فالرمز مصري وما يمنحه معناه هو التراث اليهودي.

يقول إيان بيج إن العذراء السوداء هي إيزيس المصرية، وما ترمز إليه كشفه في هذه الفقرة من نشيد الأنشاد التوراتي:

"أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم كخيام قيدار كشقق سليمان. لا تنظرن إلي لكوني

(•) انظر صورة إيزيس وحورس، والعذراء ووليدها في ملحق الصور.

سوداء لأن الشمس قد لوحتني " (نشيد الأنشاد ١: ٥-٦).

وعلى ذلك، فالعذراء السوداء رمز للحكمة والمعرفة المخبوءة في هيكل سليمان وتصميمه وهندسته، وهي أيضاً رمز لفحولة سليمان، أو هي أورشليم التي تغني لسليمان وتنتظر عودته إليها.

وهذا الأصل اليهودي للعذراء السوداء في أنشودة سليمان الملك هو ما يفسر اتخاذ فرسان الهيكل لها معبوداً وأداء الطقوس عندها، وهم ما هم إلا فرسان هيكل سليمان.

وذكر إيان بيج في تأريخه للعذراء السوداء وعبادتها أن برنار دي كليرفو،الأب الروحى لفرسان الهيكل هو الذي ابتكر عبادة العذراء السوداء، واستدل على ذلك بأمرين.

الأول هو أن فرسان الهيكل المعتقلين في قلعة شينو في انتظار الموت كانوا يؤدون صلوات لسيدتنا Notre Dam تتضمن تبجيلاً وتوقيراً لدي كليرفو باعتباره مؤسس ديانتها وعبادتها.

والثاني هو أن دي كليرفو نظم مائتين وثمانين منظومة، هي كلها خواطر شعرية وشروح رمزية حول نشيد الأنشاد ومن وحيه، وضمَّن كثيراً منها عبارة: **"أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم"**، مع تفسيرات مطولة لها وخواطر شعرية حولها، مازالت موجودة ومحفوظة حتى اليوم.

وما يقوي نظرية إيان بيج في الربط بين فرسان الهيكل والعذراء السوداء ونشيد الأنشاد، وابتكار برنارَ دي كليرفو لعبادتها أن كثيراً من تماثيل العذراء السوداء الباقية في أوروبا حتى اليوم منقوش عليها أو على القاعدة التي تحملها هذه العبارة:

وهي نص عبارة نشيد الأنشاد باللاتينية. Nigra Sumsed Formosa

فأحد آثار فرسان الهيكل الخالدة في أوروبا، وما أكثرها، شيوع عبادة العذراء السوداء في مناطق عديدة من مختلف بقاع أوروبا وبلدانها، فيوجد في أوروبا اليوم حوالي خمسمائة تمثال للعذراء السوداء تؤدى عندها طقوس العبادة وتقدم لها فروض التبجيل في الكنائس والكاتدرائيات التي توجد فيها.

ومائة وثمانون من تماثيل العذراء السوداء ووليدها الرضيع توجد في فرنسا وحدها، وباقي التماثيل تتناثر في كنائس إيطاليا وألمانيا وبلجيكا وإسبانيا وسويسرا وبولندا وروسيا ومالطة(*).

(*) انظر صور العذراء السوداء في ملحق الصور.

مصير فرسان الهيكل

مصير فرسان الهيكل ووثائقها وثرواتها وأسطولها هو أغرب فصولها، وهو اللغز الذي لم يستطع أحد حله.

فالفرسان الذين اعتقلهم الملك فيليب الرابع في فرنسا ثم حوكموا وأدين منهم من أدين لا يتجاوز عددهم بضع عشرات، وفي أوروبا كلها لا يتجاوزون بضع مئات، بينما كان عدد فرسان الهيكل في أوروبا بضع عشرات من الألوف، فهم في أقصى تقدير لهم خمسون ألفاً، وفي أقل تقدير عشرون ألفاً.

ومقاطعة لانجدوك في جنوب فرنسا، وهي معقل فرسان الهيكل الرئيسي ودولتهم المستقلة كان يوجد فيها وحدها ثلاثة آلاف فارس.

حين اعتقل من اعتقل من فرسان الهيكل وبدأت محاكماتهم اختفى الباقون جميعاً ولا يعرف أحد من المؤرخين أين ذهبوا بالضبط ولا ما هو مصيرهم.

فالمنظمة حلت نفسها تلقائياً مع بدء اعتقال بعض أعضائها، واختفى فرسانها المقاتلون المحترفون ومعهم جهازها المالي والإداري، خبراء المال والأعمال البنكية والأنشطة التجارية.

وأغرب من اختفاء الفرسان وخبراء المال والتجارة اختفاء الوثائق والثروات!

فحين صدر أمر البابا بالتحفظ على مقرات فرسان الهيكل وكنائسهم التي ظلت لعشرات السنين تمارس مختلف أنواع الأنشطة المالية والبنكية والتجارية، وحين صدر أمر البابا بالاستيلاء على هذه المقرات والكنائس كان كل ما فيها قد اختفى، فلم يعثر أحد أبداً على أموال أو ثروات، بل ولا على أرشيف أو سجلات لأرصدة فرسان الهيكل أو معاملاتهم المالية وأعمالهم التجارية التي كانت تنتشر عبر القارة الأوروبية كلها وتغطي مختلف أوجه الحياة اليومية فيها وتدور فيها أموال طائلة بيعاً وشراءًا وتمويلاً وإقراضاً.

فلا سجلات ولا وثائق ولا أرشيف ولا أرصدة ولا ما يدل عليها.

وأما ما هو أغرب من اختفاء فرسان الهيكل، ومن اختفاء أموالهم وثرواتهم واختفاء وثائقهم فاختفاء الأسطول!

كان أسطول فرسان الهيكل أسطولاً حربياً تجارياً يتكون من ثماني عشرة سفينة، وهو

أقوى أسطول في أوروبا كلها، لا نظير فيها لكفاءته وسرعته وخبرة فرسانه وبحارته، ومع بدء الاعتقالات في صفوف فرسان الهيكل اختفى الأسطول كما اختفى كل ما يخص المنظمة ولم يُعثر له على أثر ولم يعرف أحد إلى أين ذهب.

وفي تقرير قدم للبابا كليمنت الخامس أن الأسطول كان رابضاً بسفنه الثماني عشرة في ميناء لاروشيل La Rochelle على الساحل الأطنلطي لفرنسا حتى يوم ١٢ أكتوبر ١٣٠٧م، وفي اليوم التالي حين صدرت أوامر الملك فيليب الرابع باعتقال فرسان الهيكل كان الأسطول قد اختفى بسفنه وبحارته وفرسانه !

ما مصير فرسان الهيكل، وأين اختفى عشرات الألوف من المقاتلين وخبراء المال والتجارة هؤلاء ؟

لا أحد يعرف بالضبط !

فذهب بعض المؤرخين إلى أن أغلب فرسان الهيكل في فرنسا انضموا إلى منظمة فرسان إسعاف القديس يوحنا Knights Hospitellars of St. Jhone، وهي المنظمة العسكرية الشبيهة بفرسان الهيكل التي أحال لها البابا أملاك فرسان الهيكل ومقراتهم.

وبعض الباحثين يعتقد أن فرسان الهيكل فروا من فرنسا إلى جبال الألب في سويسرا المتاخمة لجنوب فرنسا معقل المنظمة، ويستدلون على ذلك بوجود تقارير عن تكوين جماعات مقاتلة في بعض القرى السويسرية إبان ملاحقة فرسان الهيكل وما تلاها، وامتلاك سكان هذه القرى لمهارات حربية فائقة وقيامهم بتكتيكات عسكرية بالغة الإحكام والدقة.

ففي منتصف القرن الرابع عشر قاد ليوبولد الأول Leopold I ملك النمسا حملة قوامها خمسة آلاف فارس للاستيلاء على بعض المقاطعات السويسرية فواجهته مقاومة مسلحة عنيفة من القرويين السويسريين، وانتهت المواجهة بإبادة الحملة النمساوية على يد ألف وخمسمائة قروي سويسري.

وقبل هذه المواجهة لم يكن للسويسريين أي خبرة في القتال ولا معرفة بفنون الحرب وخطط المعارك.

وبعض القصص الشعبية التي شاعت في سويسرا بعد ذلك عن ملحمة مواجهة القرويين لحملة ليوبولد الأول تحكي عن فرسان مسلحين يرتدون البياض وصليباً أحمر

يقاتلون مع القرويين.

والزى الأبيض ذو الصليب الأحمر المربع المتساوي الأذرع هو رداء فرسان الهيكل، وهو شعارهم وأحد رايات معاركهم، وهو نفسه الذي صار بعد ذلك علم سويسرا وشعار منظمة الصليب الأحمر الدولية التي نشأت في سويسرا.

وهو دليل آخر على آثار فرسان الهيكل في سويسرا.

وفي إنجلترا وألمانيا عاد بعض فرسان الهيكل إلى الحياة المدنية واختفوا بين سكان المدن والقرى، وانضم آخرون إلى فرسان القديس يوحنا.

وذهب بعض المؤرخين إلى أن كثيراً من فرسان الهيكل فروا من إنجلترا ومن فرنسا إلى اسكتلندا، فقد كانت اسكتلندا المملكة الوحيدة في أوروبا المتمردة على سلطة البابا، فلا تصل إليهم فيها أوامره ولا تصيبهم مراسيمه ومنشوراته.

وطوال القرن الرابع عشر وإنجلترا واسكتلندا في حروب ومعارك متواصلة، فاسكتلندا منفصلة عن انجلترا وتقاتلها دفاعاً عن استقلالها، وإنجلترا تعتبرها جزءًا منها وتغزوها من آن لآخر من أجل ضمها.

وفي سنة ١٣١٤م كانت موقعة فاصلة بين إدوارد الثاني Edward II ملك إنجلترا وروبرت بروس Robert The Bruce ملك اسكتلندا، هي موقعة بانوكبرن Bunnockburn، وانتهت المعركة بانتصار اسكتلندا انتصاراً ساحقاً.

وفي التراث الإسكتلندي أن فرسان الهيكل هم أبطال هذا النصر المبين، فقد صار فرسان الهيكل الذين فروا إلى اسكتلندا هم نخبة جيشها وصفوته المقاتلة.

أما البرتغال فهي البلد الكاثوليكي الوحيد الذي ظلت فيه فرسان الهيكل كما هي، فلم يتعرض أحد من فرسانها لتعذيب ولا ضغط، بل كانوا تحت حماية الملك دينيس Dinis لحاجته إليهم في مهمة قتالية لا بديل لهم فيها.

في سنة ١٣١٨م اختفت فرسان الهيكل في البرتغال في لحظة واحدة بتغيير اسمها من فرسان الهيكل إلى فرسان المسيح Knights of Christ، ثم رفع مطران كومبوستيا Compostela وكبير أساقفتها التماساً إلى البابا يتوسل إليه فيه أن يعفو عن الفرسان ويبقي عليهم للحاجة الملحة إليهم في حروب استعادة إسبانيا Reconquista من المسلمين وإعادتها إلى الحظيرة البابوية.

فمنظمة فرسان الهيكل كانت النواة المقاتلة الخبيرة بفنون الحرب وتكتيكات القتال التي تكونت حولها الجيوش الكاثوليكية المقاتلة من أجل استعادة إسبانيا.

وظلت منظمة فرسان المسيح قائمة وفاعلة في البرتغال وإسبانيا حتى أواخر القرن السادس عشر(*).

وهاهنا أحد أكبر آثار فرسان الهيكل في تاريخ العالم كله وجغرافيته وفي تكوينه ومساره ومسيرته.

فمنظمة فرسان الهيكل في البرتغال وإسبانيا بعد تعديل اسمها إلى فرسان المسيح هي التي بدأت حركة الكشوف الجغرافية، ورواد هذه الحركة وأشهر أعلامها قاموا برحلاتهم البحرية واكتشفوا ما اكتشفوه بصفتهم أبناء منظمة المسيح لا أبناء البرتغال وإسبانيا.

فالرجل الذى بدأ الرحلات البحرية ودشن حركة الكشوف الجغرافية هو الأمير هنري الملاح Prince Henry The Navigator.

وقد بدأ الأمير هنري الملاح رحلاته الكشفية في سنة ١٤٢٥م باستكشاف جزر الكناري Canaries، ثم توالت رحلاته واستكشافاته فى سواحل غرب إفريقيا والجزر المجاورة لها حتى تمكن سنة ١٤٣٤م من الدوران حول رأس بوجادور Bojador Cape، ثم اكتشف الرأس الأخضر Cape Verde سنة ١٤٤٥م.

وهو أول من وصل من الأوروبيين إلى إفريقيا وعرفهم بها، وأقام مستعمرات في سواحلها وجزرها.

والأمير هنري الملاح هو رئيس منظمة فرسان المسيح وأستاذها الأعظم، تولى رئاستها سنة ١٤٢٠م، وهو فى السادسة والعشرين من عمره، وظل على رأسها أربعين سنة كاملة حتى وفاته سنة ١٤٦٠م.

وكل رحلات الأمير هنري الملاح وخططه الكشفية واستكشافاته كانت بصفته أستاذ أعظم منظمة فرسان المسيح، وكلها كانت بمعاونة إخوانه من أعضائها وعلى سفنها التي تحمل رايتها صليب فرسان الهيكل الأحمر!

أما أشهر أعلام حركة الكشوف الجغرافية من أبناء منظمة فرسان المسيح، فالبرتغالي فاسكودا جاما Vasco Da Gama مكتشف رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٧م، ثم

(*) انظر صورة مقر منظمة فرسان المسيح في ملحق الصور.

كرستوفر كولمبس Christopher Colombus، مكتشف العالم الجديد الذي أبحر من إسبانيا في المحيط الأطلنطي راجياً أن يصل إلى الهند من الغرب على ظهر ثلاث سفن يرفرف أعلى صواريها صليب فرسان الهيكل الأحمر!

أما غاية كولومبوس من مغامرته الهائلة والتي خاض من أجلها في بحر الظلمات فقد كانت، كما ذكر هو نفسه في يومياته وتقاريره وفي رسائله إلى فرديناند وإيزابيلا ملكي إسبانيا، اكتشاف الذهب وتوفير الموارد اللازمة لشن حملة صليبية من أجل استعادة أورشليم!

آثار فرسان الهيكل

ما بين تكوين منظمة فرسان الهيكل سنة ١١١٨م واعتقال آخر أساتذتها العظام سنة ١٣٠٧م ثم حلها سنة ١٣١٢م قرنان من الزمان، ومائتا عام ليست فترة طويلة في أعمار الأمم والشعوب، بيد أن فرسان الهيكل بين تكوينها وتدميرها كانت هي القوة التي غيرت تكوين المجتمعات الأوروبية، وهي الطاقة التي شقت لأوروبا مساراً جديداً هو الذي أفضى بها إلى عصر النهضة.

ولم يكن أحد في تكوين أوروبا كلها يستطيع أن يغير حياتها أو يزحزح مسارها غير فرسان الهيكل.

فكل ما في أوروبا كان راكداً خاضعاً للكنيسة ولنظام الإقطاع ومتوافقاً معها ومعه، ومصالحه في هذا الركود والخضوع والتوافق.

فرسان الهيكل كانت الشيئ الوحيد المختلف، المنظمة التي قامت باسم الكاثوليكية ومن أجل نصرة الكنيسة، وفي ستر راية القتال من أجلها تحررت منها وصارت فوق كل قوة أخرى في أوروبا.

وبتحررها وقوتها، وبخططها واستراتيجيتها، وبغطائها الذي استترت به، وبالعقول المدبرة التي كانت خلفها لم تعد أوروبا بعد فرسان الهيكل كما كانت قبلهم، بل ولم يعد في مقدور أحد أن يعيدها إلى ما كانت عليه، فقد خط فرسان الهيكل لأوروبا مساراً وساروا بها فيه، وعندما دُمرت المنظمة كان المسار الجديد قد صار حتماً محتوماً بما تراكم فيه من آثار وما أحدثه في حياة أوروبا ومجتمعاتها من تغيير.

قبل فرسان الهيكل كانت أوروبا خليطاً متنافراً من الممالك والإمارات والمقاطعات والإقطاعيات المنفصلة عن بعضها والمتشاحنة في أغلب الأحيان.

وكان نظام الإقطاع المسيطر على المجتمعات الأوروبية شديد الركود والصرامة، فهو يتكون من ملك أو أمير يسيطر على الأرض كلها ويملكها، وزعماء القبائل أو العشائر أتباع له أو أفصال Vassals، يقطعهم من الأرض ما يشاء في النواحي التي توجد فيها قبائلهم وعشائرهم وتسيطر عليها في مقابل جزء من محصول الأرض وإمداده بقوة عسكرية متفق عليها حين يطلبها.

والإقطاعي الذي يملك ما أقطعه الملك من الأرض كان يستأجر المزارعين لفلاحتها في مقابل نسبة من محصولها.

وكانت الكنيسة الكاثوليكية هي رأس النظام الإقطاعي، فالكنائس كانت تمتلك مساحات شاسعة من الأرض، وأسقف الناحية أو الكاردينال هو بمثابة أمير إقطاعي له أتباعه الذين يقطعهم ما يشاء من الأرض، ومن يعملون فيها خدمه وأقنانه.

ولم يكن ثمة وجود حقيقي لطرق تجارية طويلة داخل اوروبا، فلا طريق حقيقة لممارسة التجارة سوى البحر، ومن يرحل بين الإمارات والمقاطعات والإقطاعيات الأوروبية عبر ما تكون من طرق بدائية ورديئة كان عرضة لغارات اللصوص وقطاع الطرق.

ومن نجا من اللصوص وقطاع الطرق نهب أمراء الإقطاع متاعه وسلبوه ماله بما يفرضونه من مكوس باهظة نظير السماح بالمرور عبر أراضيهم.

وقرى أوروبا وبلداتها كانت صغيرة بلا حول ولا قوة أمام أوامر الكنيسة المحلية أو التعليمات العشوائية لسيد المقاطعة أو أمير الإقطاعية.

ومع ظهور فرسان الهيكل وتأمين طرق الحج والتجارة، وحرية الحركة عبر الممالك والإمارات والمقاطعات والإقطاعيات، وحرية نقل البضائع، وتوفير السيولة المالية للتجار في أى مكان في أوروبا تصدعت أركان أوروبا القديمة وتهاوى بنيانها وبذرت بذور أوروبا الجديدة.

أقام فرسان الهيكل ما يشبه الحاميات العسكرية أو نقاط الشرطة عبر جميع طرق أوروبا فتكونت شبكة من الطرق الآمنة التي ربطت أجزاء القارة الأوروبية ووصلت بين شعوبها والمدن الرئيسية فيها، وربطتها جميعاً بأماكن الحج في روما وإسبانيا والأرض المقدسة.

وبالشبكة البنكية التي أقامها فرسان الهيكل في مدن أوروبا وعلى امتداد طرقها الرئيسية وفي الأرض المقدسة، وبما كانت تقدمه من قروض للتجارة اختل التوازن بين أمراء الإقطاع وبين سكان القرى والبلدات الصغيرة.

أصبح في مقدور سكان القرى والمدن الصغيرة الاقتراض من فرسان الهيكل وممارسة التجارة ومنح بعض المال للأمير أو السيد ألإقطاعي في مقابل حرية الحركة والتنقل بين القرى والأسواق.

وصار الترحال عبر الطرق التجارية آمناً بوجود حاميات فرسان الهيكل العسكرية،

وبصكوك الفرسان أو بطاقات ائتمانهم التي حررت التجار من مخاطر حمل المال ومن ابتزاز الأمراء والنبلاء والإقطاعيين.

وفرسان الهيكل كانت القوة الدافعة لسكان القرى والمدن الصغيرة في أوروبا التي صعدت بها عبر ما كونته من ثروات وما صارت تمارسه من أنشطة تجارية لتحل محل قوى أوروبا القديمة، الكنيسة والأمراء والإقطاع التي بدأت تفقد شيئاً فشيئاً قوتها والعناصر التي ارتكز عليها استقرارها عبر القرون.

فبعد أن كان التجار يدفعون مالاً للأمير أو ألإقطاعي في مقابل حرية الحركة والتنقل بين الأسواق، أصبحوا يملكون من المال ما يمكنهم من دفع مبالغ أكبر في مقابل امتيازات أكبر وأكثر.

بدأ التجار في التجمع داخل المدن والقرى وانضم إليهم أهل الحرف ممن أدى رواج التجارة وأوساط التجار إلى ازدهار حرفهم، ثم نظم التجار وأهل الحرف أنفسهم في روابط وتجمعات، وبما جنوه من أرباح التجارة ونقل البضائع وبما يقدمونه للإقطاعي من أموال تمكن التجار من استمالته للموافقة على بناء أسوار لقراهم وبلداتهم، ثم ازدهرت هذه لتتحول إلى مدن، اكتسبت مع الوقت وبالمال حق اتخاذ قوة من الفرسان خاصة بها لحماية أمنها دون خروج على طاعة أمير الإقطاع أو سيد الناحية.

وداخل أسوار المدن الناشئة تكونت مجتمعات جديدة عمادها التجارة والصناعة والحرف والصيرفة.

ثم سنت هذه المجتمعات الجديدة داخل مدنها المسورة لنفسها قوانين جديدة مستقلة عن تشريعات أوروبا القديمة صاغها لها من ظهروا في كل مدينة وداخل كل مجتمع ناشئ من المشرعين، حتى لقد سُمي القرن الثالث عشر في أوروبا بعصر المشرعين Le Siecle des Juristes.

وأقام فرسان الهيكل خارج أسوار مدن التجارة والحرف والمال الجديدة المرتبطة بهم أبراجاً لتكون حصوناً للمدينة، ومع الوقت صارت هذه الأبراج المقامة على أطراف المدن والبلدات الأوروبية وعبر الطرق مقاراً لنزول التجار أثناء حركتهم وأماكن للالتقاء وعقد الصفقات وتبادل البضائع وتسديد الأموال، لتكتسب الطبقة الجديدة التي تكونت اسمها من هذه الأبراج فيصبح: أهل الأبراج أو البورجوازية Bourgeoisie.

واستقلال مدن التجار والحرف والصناع والطبقة البورجوازية الناشئة اقتصادياً وتشريعياً واكبه تلقائياً النزوع نحو الاستقلال الإداري والسياسي، فتكونت في كل مدينة من هذه طبقة من أهلها يمولها التجار وتدور مصالحهم ومنافعهم حولهم تتولى تنظيم شؤون المدينة هي وما حولها من قرى في نطاقها الجغرافي.

وأحد أمضى أسلحة هؤلاء في السير بالمدن التجارية التي وضع التجار زمامها في أيديهم نحو الاستقلال التام والحكم الذاتي كان تأليب عناصر القوى القديمة التي تتنازع السيطرة الظاهرية على المدن والإقطاعيات وضربها ببعضها، الإقطاعيون بالأساقفة، والأساقفة بالنبلاء، وهؤلاء جميعاً بالملك، والمال الذي يقدمه تجار المدن هو أداة تحريك الجميع.

وبعض هذه المدن خاض ثورات عنيفة وبعضها شن حروباً طويلة الأمد من أجل الانفصال واستقلال الحكومة المحلية عن الملوك والأمراء والأساقفة، فصارت فيزلاي Vezelay مستقلة سنة ١١٠٦م بعد ثورة عنيفة ذبح فيها أهلها أسقف ديرها، وفي سنة ١١٠٨م اشترت نويو Noyon استقلالها من أسقفها بهبة مالية باهظة، وخاضت حكومة تورناي Thurnay حرباً ضد أسقفها وقوات الملك لويس السابع استمرت ست سنوات قبل أن تستقل حكومتها سنة ١١٩٦م عن الملك وعن البابا الذي أصدر قراراً بحرمان أهل المدينة جميعاً.

وهكذا لم ينته عصر فرسان الهيكل في أوروبا إلا وكانت الثورة التي أوقدوها في مدن أوروبا الغربية قد اكتملت، والمسار الذي شقوه لأوروبا كلها قد صار حتماً محتوماً، فانتهت سيطرة الإقطاع، واضمحلت سلطة الملوك والنبلاء والأمراء، وتقلص سلطان الكنيسة وانزوى أساقفتها في أديرتهم، وحل التجار محل هؤلاء جميعاً.

صار التجار، كما يقول ول ديورانت في قصة الحضارة:

"هم المسيطرين على الحياة البلدية والاقتصادية، ونقابات التجار في كل الحكومات المحلية التي تكونت هيئات ذات حكم ذاتي، وفي أغلب الأحيان كانت الحكومة المحلية هي ونقابة التجار هيئة واحدة، ولأول مرة منذ ألف سنة صار المال هو القوة الأولى في أوروبا".

في عالم السر والخفاء

أم الماسونية والحركات السرية:

- حقيقة فرسان الهيكل
- أم الماسونية والحركات السرية
- من فرسان الهيكل إلى الماسونية
- مهد الماسونية
- آل سنكلير
- بافوميت ولوسيفر
- خلفاء فرسان الهيكل
- منظمة دير صهيون
- ليوناردو دافنشي
- دير صهيون الماسونية
- حركة الجزويت اليسوعية

حقيقة فرسان الهيكل

ما دونه المؤرخون عن فرسان الهيكل لا يفسر سيرة هذه المنظمة العجيبة ذات الآثار الهائلة والخالدة، المنظمة التي قدحت شرارة هدم أوروبا القديمة وخروج الجديدة من بين أنقاضها، وهي في الحقيقة التي بدأت حركة الكشوف الجغرافية، فكان تغيير مسار العالم أحد آثارها، وتاريخه، هي وصلة تحويلية له دون أن يفطن كثير من المؤرخين لأثر أعضائها في صناعة أحداثه الجسام، ودون أن يروا أسماءهم عليها، وما هي إلا ثمرة من ثمار ما فعلوه.

المؤرخون الذين رصدوا فرسان الهيكل ودونوا تاريخها وكتبوا سيرتها ليس عندهم إجابة على ما تمتلىء به تواريخهم من فجوات وثغرات.

ما هي حقيقة فرسان الهيكل؟ ولماذا انخرطوا في القتال في الأرض المقدسة باسم الكاثوليكية وتحت رايات البابوية وجعلوا هدفهم الظاهر حماية الحجاج الكاثوليك وهم لا يؤمنون بشيء منها؟ ما سر هذا الخليط العجيب من القتال والتجارة والأنشطة المالية والاقتصادية والبناء والعمارة؟!

فرسان الهيكل، كما يصفهم المؤرخون التقليديون، أميون لم يتلقوا تعليماً، فمن تكون العقول الجبارة التي ابتكرت لهم شبكتهم البنكية ومعاملاتهم المالية الفريدة المعقدة والمحكمة، ومن أين أتوا بتقنيات الاقتصاد والاستثمار التي ابتدعوها ؟!

ومن ذا الذى علم هؤلاء الأميين أصول البناء وفنون الهندسة؟!

وأين ذهب عشرات الألوف من فرسان الهيكل بعد حل المنظمة واعتقال من ظهر من أعضائها؟ وأين اختفى أسطولهم الحربي التجاري ؟ وكنوزهم وثرواتهم الطائلة التي جمعوها عبر عشرات السنين أين ذهبت؟!

لا إجابة عند المؤرخين مطلقاً!

الإجابة المنطقية التي لا فجوات فيها، وهي الإجابة الوحيدة لا إجابة غيرها، في تراث المنظمات السرية والجمعيات الخفية، وعند من أرخوا لها، أو من انضموا إليها وترقوا فيها، أو من انشقوا عليها وانفصلوا عنها.

الجنرال الأمريكي ألبرت بايك Albert Pike هو الأستاذ الأعظم للماسونية ورئيس المجلس السامي للدرجة الثالثة والثلاثين في الولايات المتحدة الأمريكية، وحبر الماسونية العالمية الأعظم في القرن التاسع عشر، وهو المؤسس الثاني للماسونية من الطقس الاسكتلندي الذي أعاد صياغتها وإحكام بنائها وترتيب درجاتها، وهو وريث تراث الماسونية كله.

في كتابه العمدة: عقيدة الطقس الاسكتلندي القديم وآدابه Morals & Dogma of Ancient Scottish Rite of Freemasonry يقرر ألبرت بايك أن تاريخ فرسان الهيكل الحقيقي غير معروف، وهو كما دونه من أرخوا لها غير مفهوم.

هدف فرسان الهيكل الظاهر الذي أسبغ عليهم الشرعية ومنحهم الهبات والعطايا وأكسبهم السلطة والنفوذ كان حماية الحجاج الكاثوليك في الأرض المقدسة.

وهذه الراية الظاهرة، كما يقول بايك، لم تكن فقط لكسب الشرعية وجني الأموال وحيازة النفوذ، بل لأنه ما كان في مقدور فرسان الهيكل الإفصاح عن هدفهم الحقيقي وغايتهم التي يسعون إليها.

هدف فرسان الهيكل الحقيقي والأول الذي انخرطوا من أجله في الحملات الصليبية، والذي من أجله كان أول مقر قيادة وتمركز لهم في المسجد الأقصى هو العمل على إعادة بناء هيكل سليمان كما وصفه النبي حزقيال وصفاً مفصلاً في السفر المسمى باسمه.

والهيكل حين يعاد بناؤه باسم الكاثوليكية وتحت راياتها سيكون قبلة العالم ومركز اتزانه ومصدر أمنه وسلامه.

والنموذج الذي يمتزج فيه الراهب بالمقاتل والبنَّاء الذي اتخذه فرسان الهيكل ليحتذوه في تكوينهم وإعداد من ينضم إليهم هو البناؤون المقاتلون من أتباع زروبابل Zorobabel الذين أعادوا بناء الهيكل في سفر عزرا التوراتي.

ونموذج زروبابل وأتباعه هو الفارس البنَّاء الذي يجاهد من أجل العودة إلى أورشليم وبناء الهيكل، فيعمل والسيف في إحدى يديه والمسطرين Trowel في الأخرى.

وهذا هو تفسير التقاء السيف أداة القتال بالمسطرين أداة البناء في شعار فرسان الهيكل.

أما الهدف الحقيقي الثاني لفرسان الهيكل، كما يقول بايك، فهو:

"إزالة الكاثوليكية نفسها بعقائدها وكنيستها وباباواتها وعالمها وملوكها، وتأسيس عالم

جديد له ديانة جديدة تستمد عقائدها من التقاليد المسيحية الأولى والنقية التي يمثلها يوحنا المعمدان".

فالقديس يوحنا، كما يقول بايك، هو:

" الأب الروحي والنموذج الأعلى لكل الحركات الغنوصية Gnostics التي تؤمن أن خلاص البشر في المعرفة والأفكار وليس في مطلق الإيمان، وهي الحركات التي يمتزج فيها نموذج يوحنا المعمدان بالتراث الشفوي اليهودي الباطني وما يحويه من حكم ومعارف وأسرار، وهو التراث المشهور باسم القبالاه Kaballah".

يقول بايك إن السر خلف إيجاد هوج دي بايان لمنظمة فرسان الهيكل هو أنه كان يوجد في الشرق إبان الحملة الصليبية الأولى طائفة من المسيحيين من أتباع يوحنا المعمدان Johannites والمؤمنين أنه المخلص الحقيقي.

وطائفة أتباع يوحنا هذه كانت تعرف التاريخ الحقيقي للمسيح وتحيط علماً بالتقاليد اليهودية وروايات التلمود وتراث القبالاه الشفوي.

ولطائفة أتباع يوحنا كنيسة تقوم على ديانته وبث تعاليمه في مقابل كنيسة القديس بطرس ومسيحها الكذاب وتعاليمها الفاسدة، وتنسب الطائفة تأسيس كنيستها إلى يوحنا المعمدان نفسه.

ويحمل الحبر الأعظم لهذه الكنيسة السرية لقب المسيح Christos، وقد تعاقب الأحبار العظام على رئاسة كنيسة القديس يوحنا والقيام على طائفته وأتباعه وبث تعاليمه وعقيدته عبر التاريخ في سلسلة متصلة يقف في أولها يوحنا المعمدان نفسه.

وفي زمن الحروب الصليبية كان الحبر الأعظم لطائفة يوحنا المعمدان ورئيس كنيستها اسمه ثيوكليتس Theoclets، وقد تعرف ثيوكليتس على دي بايان، ونشأت بينهما صداقة عميقة، فأطلع ثيوكليتس دي بايان على أسرار كنيسته وتعاليمها وطقوسها وغاياتها، ثم نصبه خلفاً له على رئاسة الطائفة وحبراً أعظم لكنيستها.

فالغاية الحقيقية من تأسيس هوج دي بايان لمنظمة فرسان الهيكل كانت إزالة الكاثوليكية وتأسيس ديانة يوحنا المعمدان أو العقيدة الغنوصية القبالية التي تمتزج فيها المعرفة والحكمة بالتراث اليهودي.

وما خطط له مؤسسو فرسان الهيكل هو حكم العالم بالعقيدة الجديدة دون الوجود

الفعلي في السلطة والتعرض لمخاطر هذا الوجود وعداوة من ينازعهم السلطة، حكم العالم بصناعة من يحكمونه من الملوك والأحبار، لتحكم مملكتهم دون أن تظهر ويسير بأفكارهم الملوك والأحبار دون أن يفطنوا.

ومن أجل اتقاء سخط البابوية ولاكتساب الشرعية والهبات والعطايا كان لفرسان الهيكل وجهان، فالتنظيم الداخلي ونواة فرسان الهيكل خفية وسرية لايطلع على أسرارها سوى الأساتذة بعد درجات ترق واختبار.

وهذه النواة أو الدائرة الداخلية لفرسان الهيكل التي هي عقلها وموجهها ومحركها هي أتباع عقيدة يوحنا المعمدان وكنيسته.

وأما القشرة الخارجية الظاهرة والتي تضم عوام فرسان الهيكل وأتباعها والمحتشدين تحت راياتها فهي ذات صبغة رومانية كاثوليكية.

ويقول بايك إن الخطأ القاتل الذي وقع فيه فرسان الهيكل هو أنهم اعتنوا عناية شديدة بجمع الثروات وكنز الأموال وحيازة النفوذ السياسي والقوة العسكرية، وغفلوا عن التنظيمات الاجتماعية والتربوية التي تكون الأفكار والمعارف، وهي الهدف الذي كان يجب على فرسان الهيكل توجيه طاقاتهم له، لأنها الشئ الحقيقي الذي قاموا من أجل محوه وتغييره.

فحشد فرسان الهيكل طاقاتهم وتدبيراتهم وابتكاراتهم في ميدان المال والاقتصاد، وفى السياسة والحروب أذهلهم عن الأفكار والمعتقدات والمؤسسات التي تكونت بها وقامت عليها.

وتغيير الأفكار هو التغيير الدائم والمستمر، وإزالتها هو الميدان الحقيقى، وتأسيس العقيدة الجديدة هو النصر المبين.

أم الماسونية والحركات السرية

في كتاب الجنرال ألبرت بايك أن دمج أسطورة أوزوريس المصرية وإعادة بعثه بكفاح إيزيس في طقوس الماسونية هو رمز لبعث فرسان الهيكل وبقائها في الماسونية والحركات السرية.

مع بدأ الملك فيليب الرابع في اعتقال فرسان الهيكل ومحاكمتهم وتعذيبهم اختفت المنظمة فوراً وبدا وكأنها انتهت وماتت، لكنها كانت في الحقيقة حية في الخفاء يحكمها أساتذة عظام سريون، ولا تكشف المنظمة نفسها لأحد إلا بعد تحرٍ وامتحان بالمرور في سلسلة من الدرجات والطقوس يثبت من يجتازها أنه أهل لمعرفة السر.

و يقول بايك إنه حين كان جاك دي مولاي في ظلمات معتقله في قلعة شينو ينتظر الموت تكون بأوامرة أربع محافل مركزية، الأول في نابولي لقيادة فرسان الهيكل في شرق أوروبا، والثاني في إدنبره من أجل قيادتهم في غربها، والثالث في استوكهولم لفرسان الشمال، والرابع في باريس لفرسان الجنوب.

وفي الوقت نفسه انشطرت المنظمة بعد تدميرها إلى عشرات الحركات السرية والمنظمات الخفية وجماعات السحر والشعوذة.

ويقول ألبرت بايك إن هذا هو السبب في أن القرن الرابع عشر، قرن حل فرسان الهيكل واعتقال من ظهر من قادتها، كان عصر ازدهار الحركات السرية وجماعات السحر والشعوذة.

وما ذكره بايك حقيقة تاريخية، ففي القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر، قرني فرسان الهيكل، تحولت مقاطعة لانجدوك جنوب فرنسا، وهي معقل فرسان الهيكل ودولتهم المستقلة، إلى مأوى للملحدين والمهرطقين، واجتمعت فيها كل الطوائف والجماعات الكافرة بالمسيحية والمتمردة على الكنيسة الكاثوليكية، فالتقى فيها اليهود والألبيون والكاثار، وانضم إليهم كل خارج على المسيحية وثائر على البابوية.

والألبيون Albigenses والكاثار Cathar طوائف ملحدة ظهرت في جنوب أوروبا شرق بحر الأدرياتيك، وكانت تضم خليطاً من الوثنيين والسحرة والمتمردين على الكاثوليكية.

وفي قرني فرسان الهيكل ازدهرت هذه الطوائف ازدهاراً كبيراً واستقرت جماعات كبيرة منها في جنوب فرنسا، فاستشرى فيها الإلحاد وتفشت الهرطقة، وانتشرت الإباحية، وتهاوى سلطان الكنيسة على أهلها وبادت عقائدها وتعاليمها.

وأنشأ الألبيون والكاثار في جنوب فرنسا ديانة جديدة تنقض المسيحية وتمتلئ بالرموز والطقوس الوثنية، وابتكروا لديانتهم القداس الأسود Black Mass، وهو قداس كانوا يقيمونه في أغوار الغابات وبطون الوديان ورؤوس الجبال يعبدون فيه الشيطان ويسبون المسيح ويبصقون على الصليب ويمارسون كل صنوف الفاحشة والشذوذ.

ومع استشراء الإلحاد والهرطقة والإباحية، شن سيمون دي مونتفورت سنة ١٢٠٩م، بأمر من البابا إنوسنت الثالث Innocent III، حملة صليبية لم تتوقف إلا سنة ١٢٤٤م، وانتهت بتمزيق الجماعات الألبية والكاثار وإبادة فرسانها وسادتها في جنوب فرنسا.

وفي القرن الرابع عشر، بعد سقوط فرسان الهيكل ودولتهم في جنوب فرنسا، انفجرت المنظمات السرية وحركات التمرد على الكاثوليكية في أوروبا كلها، واجتاحتها جمعيات السحر الأسود السرية التي تقوم على عبادة الشيطان والتقرب إليه بتدنيس شعائر المسيحية وقلب طقوسها وإهانة رموزها، ولثلاثة قرون بعد سقوط فرسان الهيكل لفت أوروبا كلها عاصفة هوجاء من الإلحاد والسحر والثورة على العقائد.

وأقدم تنظيم ماسوني هو الماسونية من الطقس الاسكتلندي Scotish Rite، وكان تأسيسها في القرن الرابع عشر، قرن سقوط فرسان الهيكل نفسه.

ويقول ألبرت بايك إن الماسونية الاسكتلندية هي الوريث الأقدم لفرسان الهيكل، والامتداد الشرعي لها.

ويقول البارون كارل فون هند Karl Von Hund عن الطقس الاسكتلندي من الماسونية إنه استعادة فرسان الهيكل أو إعادة إحيائهاRestoration of the Templars.

والبارون فون هند هو نفسه أحد أشهر أقطاب الماسونية في القرن الثامن عشر، وهو مؤسس طقس ماسوني مستقل، هو طقس المحاكاة التامة لفرسان الهيكل Rite of strict templar observation المنتشر في وسط أوروبا، خاصة في سويسرا والنمسا، وله امتدادات في شرق أوروبا وفروع في روسيا.

وأسماء درجات الترقي في الطقس الاسكتلندي من الماسونية، وهى ثلاث وثلاثون

درجة، هي محاكاة لمراتب فرسان الهيكل وإحياء لهم فيها: فارس القديس أندرو Knight of St. Andrew، فارس الشرق والغرب Knight of east and west، فارس الصليب الوردى Knight of rose croix، الفارس المقدس Knight kadosh.

ورموز الطقس الاسكتلندي هى تخليد لأدوات فرسان الهيكل وآلاتهم في البناء، وهي في الوقت نفسه تخليد لأدوات بناء نموذج البناء الأوفى ومثاله الأعلى، ألا وهو هيكل سليمان.

فيذكر ألبرت بايك أن المسطرين المربع Quadruple الذي كان يستخدمه البناؤون من فرسان الهيكل أعيد ترتيب صفحتيه المثلثين في الماسونية ليكون أحد أبرز رموزها، وهو النجمة الخماسية Pentacle، والمسماة صليب الشرق Cross of the east

كذلك مختلف أدوات البناء وآلاته التي كان يستخدمها فرسان الهيكل تحول كل منها إلى رمز لدرجة من درجات الماسونية يحمل معنى لا يطلع عليه إلا من يصل إليها.

فالإزميل Gauge والمطرقة Mallet هي رموز أولى درجات الطقس الاسكتلندي، وهي درجة الصبي أو المبتدئ Apprentice.

ويطلب من الداخل في الماسونية تسوية حجر خشن بهذه الأدوات وإعادة تشكيله، ليكون هذا رمزاً لإعادة تأمله لنفسه وفهمه لذاته وإعادة تكوينها وتشكيلها، وأن هذا هو ما يرغب في الانضمام للماسونية من أجله.

وميزان ضبط استقامة البناء واستواء أحجاره Level ومربع ضبط زوايا الجدران Square هي أدوات الدرجة الثانية، درجة زميل المهنة Fellow craft mason، وهي رمز إلى أن الماسون جميعاً إخوة متساوون ومترابطون كتساوي أحجار البناء وترابطها وإن اختلفت أوضاعهم الاجتماعية أو ثراوتهم الشخصية أو مراكزهم ومناصبهم في المحفل أو في العالم الواسع.

والمسطرين Trowel هو أداة الدرجة الثالثة، درجة الأستاذ Master mason، وهو رمز لأن من في هذه الدرجة هو ملاط من هم في الدرجتين السابقتين، يتماسكون به ويترابطون حوله بروح الزمالة ورموزها.

وأما طقس يورك York Rite، فهو أحد أكبر مذاهب الماسونية وفروعها، ويطلق عليه اسم: الطقس الأمريكي، وهو يتكون من ثلاث عشرة درجة، هي تجميع لدرجات من

طقوس ماسونية مختلفة.

وأعلى ثلاث درجات في طقس يورك هي درجة الصليب الأحمر Red Cross، صليب فرسان الهيكل، ودرجة فارس مالطا Knight of Malta، ودرجة فارس الهيكل Knight Templar.

وكاجليو سترو Cagliostro، الذي أسس طقس ممفيس المصري Memphis Misraim من أجل إحياء عبادة إيزيس كان ينص في رسائله إلى المحافل التابعة له على أن رسالة الماسونية هي إتمام رسالة فرسان الهيكل بإعادة بناء هيكل الإله الخالد.

وشعار طقس ممفيس الذي ابتكره كاجليوسترو يحوي ثلاثة حروف هي LPD، ويقول ألبرت بايك إن هذه هي الأحرف الأولى من عبارة فرنسية هي:

Lilia pedibus destrue

ومعناها: Destroy the Lilies (of France)

اسحق بقدميك زنابق (فرنسا)

والأقواس وما بينها إضافة من عند بايك.

والمقصود بسحق الزنابق، كما فسرها بايك، هو سحق الملكية الفرنسية، ومن خلفها ملكيات أوروبا كلها.

وهي مهمة الماسونية الأولى التي تصورها ميدالية ماسونية صنعت في القرن السادس عشر وكانت توزع على الماسون في طقوس الترقي من درجة إلى درجة، وفيها صورة يد خفية تمسك سيف فرسان الهيكل الشهير القصير لتقطع به زهرة الزنبق من ساقها.

وفي القرن السابع عشر كانت محافل طقس ممفيس المصري وحركة اليعاقبة Jacobites المتفرعة عنها هي مركز الحركة الثورية في فرنسا، وقد أقسم أستاذها الأعظم، وهو أحد الأمراء ذوي الدم الملكي على ذبح خلفاء فيليب الرابع في المكان الذي أُحرق فيه جاك دي مولاي آخر أساتذة فرسان الهيكل العظام.

وهذا الأستاذ الأعظم، الأمير ذو الدم الملكي هو دوق أورليان(•) Duc d' Orleans.

(•) فيليب دوق أورليان هو ابن عم لويس السادس عشر ملك فرنسا، وقد تواطأ الماسون في فرنسا على انتخابه سنة ١٧٨١م أستاذاً أعظم للشرق الأعظم الفرنسي رغم أنه لم يكن في الطبقة العليا من الماسون

ويقول بايك إن الماسون، خلفاء فرسان الهيكل، وهم المدبر الحقيقي للثورة الفرنسية والمحرك الفعلي لأحداثها أنقذوا لويس السادس عشر Louis XVI من أيدي الرعاع الهائجة لكي تتم الكارثة التي كانوا يدبرون لها عبر القرون ويتوارثون الأسرار والكفاح من أجل إحداثها، وهى الثأر وذبح الملكية عند رماد جاك دي مولاي.

فأما عن دور الماسون في التدبير للثورة الفرنسية وإشعال أوارها، فهو ما يؤكده لومبار دي لا نجر Lombar de Langre في تاريخه لليعاقبة Histoire des Jacobins:

"كان في فرنسا عشية الثورة أكثر من ألفي محفل ماسوني هي فروع من الشرق الأعظم الفرنسي وتضم أكثر من مائة ألف عضو، وكانت الحوادث الأولى من سنة ١٧٨٩م (سنة الثورة) من تدبير الماسونية وحدها، وكان جميع ثوار الجمعية الوطنية من الماسون من الدرجة الثالثة التي تضم دوق أورليان و...و...".

وأما المهمة الثانية للماسونية بعد ذبح الملوك وإزالة عالمهم، فهي، كما يقول بايك، ذبح البابوية وإزالة الكنيسة الكاثوليكية.

وإحدى أشهر المنظمات والحركات التي خرجت من فرسان الهيكل وكانت امتداداً لها منظمة الصليب الوردى Rosen Cruetz، وهي منظمة ألمانية النشأة شديدة السرية عميقة الخفاء تكونت من فرسان الهيكل في ألمانيا ومن فروا إليها من فرسان البلاد الأخرى.

وتعتبر منظمة الصليب الوردي نفسها مستودع أسرار إنجيل القديس يوحنا، وأحد انتقادات البرت بايك للصليب الوردي أنها تدعي أنها الوريث الحقيقي والتاريخي لفرسان الهيكل وتراثها.

وما ذكره بايك عن منظمة الصليب الوردي منتقداً هو ما يؤكده ميرابو Merabeau، أحد أبرز زعماء الثورة الفرنسية، وهو نفسه أحد زعماء الماسونية وملك من ملوك عالم السر والخفاء، إذ يقول ميرابو في كتابه: تاريخ مملكة بروسيا Histoire de La Monarchie Prussiene، الذي ألفه إبان إقامته في ألمانيا:

"إن منظمة الصليب الوردي الماسونية في القرن السابع عشر هى المنظمة التي تنحدر من

من أجل توظيف ثروته الهائلة ونفوذه داخل الدولة الفرنسية وسلطته على الحرس الفرنسي في دفع فرنسا نحو الثورة.

فرسان الهيكل وظلت تحفظها وتحافظ على أسرارها عبر القرون، والصليب الوردي ما هو إلا صليب فرسان الهيكل الأحمر".

فالصليب الوردي إحدى انشطارات فرسان الهيكل، وهى توأم الماسونية، وفارس الصليب الوردي Knight of rose croix هو اسم الدرجة الثامنة عشرة من درجات الماسونية من الطقس الاسكتلندي.

والفرق بينهما أن الصليب الوردي أشد خفاءًا وأمعن في السرية وأكثر انغلاقاً، وعلى خلاف الماسونية التي تحشد أكداساً من البشر في درجاتها الدنيا، فإن منظمة الصليب الوردي لم يكن مسموحاً لغير فرسان الهيكل الخُلَّص بالانضمام إليها والترقي فيها.

والمعلومات عن منظمة الصليب الوردي نادرة ومصادرها شحيحة، وكل ما هو معروف عن نشأتها جاء من وثيقتين تم اكتشافهما في ألمانيا سنة ١٦١٤ م و١٦١٥م وهما: الأخوية Fama Fraternalis، واعترافات الروزيكروشين Confessio Rosaecrusis.

وطبقا لهاتين الوثيقتين، فالصليب الوردي هي جمعية سرية تمتزج فيها الأسرار والرموز المصرية القديمة بالأفكار الغنوصية وتراث اليهود الشفوي أو القبالاه.

وفي الوثيقتين أن مؤسس المنظمة فارس ألماني اسمه: الصليب الوردي المسيحي Christian Rusen Cruetz، ومنه اكتسبت المنظمة اسمها.

ولا خلاف بين من كتبوا عن الصليب الوردي أن هذا ليس سوى اسم رمزي.

وفي الوثيقتين أن الصليب الوردي تكونت من فرسان الهيكل الذين هربوا من فرنسا إلى ألمانيا، وأنهم قد تمكنوا من تكوينها ونشرها على نطاق واسع في بوهيميا Bohemia وسيليسيا Silesia لعدم معرفة السلطات بهم ولا بأصولهم في فرسان الهيكل.

فأحد الوسائل التي ابتكرها فرسان الهيكل للنجاة من الملاحقة فرار الفرسان في كل بلد إلى غيره، فيكون مجهولاً فيه وحراً في الحركة لأنه لا أحد يعرفه، ففرسان فرنسا فروا إلى ألمانيا حيث لا يعرفهم أحد، وفرسان ألمانيا إلى سويسرا، وفرسان فرنسا وإنجلترا إلى اسكتلندا المعزولة، وهكذا.

وأما المؤسس الثاني لحركة الصليب الوردي والرجل الذي نقل نشاطها من ألمانيا إلى إنجلترا وتولى رئاستها فيها وكان أستاذها الأعظم لعشرين سنة، وشهدت المنظمة في عهده

ازدهاراً كبيراً واستغرقت جل الطبقات العليا والأدباء والعلماء والمفكرين والفنانين في إنجلترا فهو فرنسيس بيكون Francis Bacon.

وفرنسيس بيكون هو الأب الروحي لكل الحركات السرية في عصره، وهو صاحب فكرة توحيد الحركات السرية والماسونية في أوروبا ونقل مجال حركتها وعملها من أوروبا إلى القارة الأمريكية البكر الخالية من عوائق العقائد والكنيسة والتاريخ والملوك، لإقامة دولة يحكمها رجال الحركات السرية ويحكمون بها العالم.

واعترافاً بفضل بيكون في تأسيس منظمة الروزيكروشين Russicrucian، وهو الاسم الإنجليزي لمنظمة الصليب الوردي، وبما شهدته فى عهد رئاسته لها من ازدهار وانتشار، كانت كل كتابات حركة الروزيكروشين ورسائلها ومنشوراتها طوال القرن السابع عشر تحمل الحروف التالية:

Fra. F.B.M.P

وهي، كما يقول آرثر إدوارد ويت Arthur Edward Wait أشهر من أرخوا لمنظمة الروزيكروشين في كتابه: التاريخ الحقيقي للروزيكروشين The real history of The Russicrucian، الحروف الأولى من عبارة:

Fraternity, stand for Francis Bacon, Magistor, Architectus, Pictor

وترجمتها:

أيها الأخوة قفوا تبجيلاً لفرنسيس بيكون، الأستاذ الأعظم والقائد والمبدع

وفرنسيس بيكون (١٥٦١م - ١٦٢٦م) هو أحد أشهر أعلام الغرب وأكبرهم أثراً في صنع أفكاره وفي تغيير مساره.

فبيكون مفكر وفيلسوف ومؤرخ وعضو في البرلمان الإنجليزي ومستشار الملكة إليزابيث والملك جيمس الأول.

والأهم من ذلك كله هو أن فرنسيس بيكون هو أبو العلوم التجريبية في الغرب، والرجل الأول في الغرب الذي ينسب إليه ابتكار المنهج التجريبي بما صنفه من كتب وضع فيها قواعده ورفعه بها إلى منزلته التي صار إليها في تكوين الغرب وتاريخه ومساره.

ومن أشهر هذه الكتب كتاب: تنمية العلوم Augmentes scientiarum،وكتاب: تقدم التعليم Advancement of learning، وكتاب موجز قواعد العلم الطبيعي Parasceve historium naturalem.

وفي موجز بيكون لقواعد العلم الطبيعي عبارة هي التي غيرت مسار الغرب وبدلت أفكاره، وهي التي صنعت عقله وصارت دينه ومنهاجه، وهي قول بيكون:

"إن كل معرفة لا تقوم على تجربة فهي ليست علماً".

وهي العبارة التي تختبئ فيها وخرجت منها بذرة إزاحة الإله من اجتماع البشر وفصله عن حياتهم، ونفي وحيه وإخراجه من تكوين أذهانهم ونفوسهم وبناء معارفهم، وهي العبارة التي بها ومن عندها بدأ مسار الغرب الذي تصطدم العلوم الطبيعية في كل خطوة فيه بالدين والإله ومسألة الألوهية.

وأما أشهر مؤلفات بيكون على الإطلاق فكتابه: الأداة الجديدة Novum Organum المعروف باسم: أطلانطس الجديدة New Atlantis.

وفي كتابه هذا الذي نشر لأول مرة سنة ١٦٢٧م يتخيل بيكون جزيرة يقوم عليها مجتمع علمي، يُكوِّن حياته ويحكمها بالعلوم التجريبية، ويسيطر بالمخترعات على كل شئ حتى هبوب الرياح واتجاهها.

وكتب فرنسيس بيكون وأفكاره كانت هي العقيدة والنواة التي تكونت بها الجمعية الملكية البريطانية British Royal Society.

وفرنسيس بيكون وكتابه الشهير أطلانطس الجديدة هو أحد أكبر البراهين على الرابطة بين الروزيكروشين والماسونية، وعلى انحدارهما من أصل واحد، وسعيهما من أجل هدف واحد.

فالجزيرة التي بنى عليها الأستاذ الأعظم للروزيكروشين عالمه العلمي اسمها بن ساليم Ben Salem، وبن ساليم هذه، كما تقول نيستا ويبستر Nesta Webster في كتابها: الجمعيات السرية والحركات الخفية Secret societies & submersive movements، معناها: أورشليم الجديدة!

وبيت العلوم الذي يسيطر على العالم من أورشليم الجديدة هو: بيت سليمان Solomon's House.

وبيت العربية هى نفسها بيت العبرية، وبيت العربية والعبرية هي هيكل الأكادية.

فالذي تخيله فرنسيس بيكون وسعى بكتبه وأفكاره إلى إيجاده وتوجيه مسار التاريخ نحوه ليس سوى استعادة أورشليم، أو أورشليم جديدة تحكم العالم من هيكل سليمان.

وقد زين فرنسيس بيكون هوامش صفحات كتابه أطلانطس الجديدة وفراغاتها في مخطوطته الأصلية التي كتبها بخط يده، وفي طبعته الأولى التي ظهرت بعد وفاته بعام، كما يقول صفيه ووصيه الذي أشرف على طبع الكتاب وليام راولي William Rawley، زينها بمجموعة من الرموز اليهودية والماسونية مثل عمودي هيكل سليمان الشهيرين بوعز وجاكين، وهما أحد أركان تصميم المحفل الماسوني، والبرجل Compass، ومربع ضبط الزوايا Square، والمسطرين Trowel، والعين المطلعة على كل شئ The All Seeing Eye.

وفرنسيس بيكون المؤسس الثاني لمنظمة الصليب الوردي وريثة منظمة فرسان الهيكل وأحد فروعها الكبرى، وأستاذها الأعظم في إنجلترا، والأب الروحي لكل الحركات السرية في عصره هو نفسه الرجل الذي تولى تحرير طبعة الملك جيمس من الكتاب المقدس ومراجعتها المراجعة النهائية!

وطبعة الملك جيمس من الكتاب المقدس هي ترجمته الإنجليزية الأم والمعتمدة، وهي أولى طبعاته الحديثة، وهي مصدر كل طبعات الكتاب المقدس بعدها ومصدر ترجماته في لغات العالم كلها.

في سنة ١٦٠٤م، وبعد خلاف طويل مع الفاتيكان، ورغبة منه في فصل مملكته وكنيستها فصلاً تاماً عن الفاتيكان أمر الملك جيمس الأول بتكوين ست لجان، ضمت سبعة وأربعين عضواً من أساقفة كنيسة إنجلترا وقساوستها برئاسة الأسقف ريتشارد بانكروفت Richard Banchroft، من أجل ترجمة طبعة الفالجيت Vulgate من الكتاب المقدس المكتوبة باللاتينية إلى الإنجليزية.

ونظرا لثقافة بيكون الواسعة وأفكاره الفلسفية العميقة واطلاعه الكبير على الديانات والعقائد وإجادته لعدة لغات منها العبرية واللاتينية، عهد الملك جيمس الأول إليه بمتابعة أعمال اللجان التي تم تشكيلها لترجمة الكتاب المقدس والإشراف عليها، وحين فرغت اللجان واكتملت الترجمة أرسل إليه الملك جيمس مسودات ترجمة الكتاب المقدس وعهد إليه بتنقيحها ومراجعتها وتحريرها التحرير النهائي.

وظلت هذه المسودات عند بيكون سنة كاملة، ثم خرجت من عنده النسخة النهائية المنقحة المحررة، لتكون هذه هي طبعة الملك جيمس King James Version من

الكتاب المقدس التي صدرت سنة ١٦١٧م لتصبح أساس طبعاته وترجماته في كل أمم العالم وفي كل لغاته(•).

ويشيع في تراث الماسونية وفى كتابات الماسون، كما يقول مانلي هول Manly Hall في كتابه: التعاليم السرية عبر العصور The secret teachings of all ages، أن فرنسيس بيكون ضمن تحريره النهائي لترجمة الكتاب المقدس عبارات رمزية شفر فيها وجهه نظر الماسونية في المسيحية أو المسيحية الماسونية.

وأما الملك جيمس نفسه فهو ابن ماري Mary ملكة اسكتلندا الوحيد، وهو أول من يحكم انجلترا واسكتلندا معاً من الملوك، حكمهما معا تحت اسم الملك جيمس الأول King James I.

وجيمس الأول هو أول ملوك بريطانيا من الماسون، وأول ملك منهم صلته بالماسونية ثابتة بالوثائق، فقد انضم إلى محفل اسكتلندا Lodge of Scots and Perth سنة ١٦٠١م وهو فى الثلاثين من عمره، وترقى في الطقس الاسكتلندي من الماسونية إلى أعلى درجاته.

ومنذ الملك جيمس الأول وكل ملوك بريطانيا وأمرائها ونبلائها وطبقتها الحاكمة من الماسون، ومنذ بدايات القرن التاسع عشر وتقاليد محفل إنجلترا الأعظم Grand Lodge of England تقضي بأن يكون رئيس المحفل وأستاذه الأعظم أحد أمراء الأسرة المالكة البريطانية.

والجمعية الملكية البريطانية هي برهان آخر على صلة الروزيكروشين بالماسونية وما بينهما من روابط.

فالجمعية الملكية البريطانية أسست سنة ١٦٦٢م تحت اسم: جمعية لندن الملكية لترقية المعرفة الطبيعية The Royal Society Of London For The Improvement Of Natural Knowldage، وقد أنشئت بجهود عدد من علماء الطبيعة تحت رعاية الملك تشارلز الثاني Charles II لتكون مكاناً للقاء وتبادل الأفكار وتشجيع الأبحاث العلمية.

ومنذ فرنسيس بيكون وطوال النصف الأول من القرن السابع عشر وحتى تأسيس الجمعية الملكية البريطانية كان علماء الطبيعة يلتقون سراً في محافل الروزيكروشين في لندن

(•) انظر غلاف طبعة الملك جيمس للكتاب المقدس في ملحق الصور.

في تجمع يطلقون عليه اسم: الكلية الخفية The Invisible Collage، وقد كان دافعهم لهذا السر والخفاء أجواء الشك والريبة المحيطة بعلماء الطبيعة في أوروبا كلها بعد نزاع جاليليو الطويل مع الكنيسة الذى بدا سنة ١٦١٦م وانتهى بإدانته واتهامه بالهرطقة سنة ١٦٣٣م.

ثم كان ماشجع علماء الطبيعة على الظهور إلى العلن وتأسيس الجمعية الملكية البريطانية حكم الملك تشارلز الثاني البروتستانتي المستقل عن الكاثوليكية والمخاصم للبابوية.

والآباء المؤسسون للجمعية الملكية البريطانية كانوا جميعاً من أبناء حركة الروزيكروشين في إنجلترا، وعلى رأس هؤلاء إلياس أشمول Elias Ashmole، وروبرت موراي Robert Moray.

وإلياس أشمول هو المؤسس الحقيقي للجمعية الملكية البريطانية، ومؤسس متحف أوكسفورد للعلوم، وقد كان هو، كما يقول جيري روز Gerry Rose في كتابه: الاستيلاء على إنجلترا وتكوين الماسونية فيها The Venetian takeover of England and its creation of freemasonry، كان هو العقل المدبر وراء دمج أفكار حركة الروزيكروشين وتقاليدها وغاياتها في تكوين الجمعية الملكية البريطانية وتقاليدها وأهدافها.

وفي الوقت نفسه كان إلياس أشمول عضواً فى محفل ورينجتون Warrington الماسوني في إدنبره، وكان تكريسه سنة ١٦٤٦م، وهو ثاني عالم شهير من علماء الطبيعة في عصره يثبت انتسابه للماسونية وتكوينه في محافلها.

أما الأول فهو صديقه وشريكه في الكفاح من أجل تأسيس الجمعية الملكية البريطانية: روبرت موراي، ووثائق انتسابها للماسونية وترقيها فيها هي الآن في حوزة محفل إنجلترا الأعظم.

وأما أشهر الأسماء وأضخمها من مؤسسي الجمعية الملكية البريطانية أبناء حركة الروزيكروشين فعالم الكيمياء الشهير روبرت بويل وعالم الفيزياء والفلك الأشهر إسحق نيوتن.

وإسحق نيوتن Isaac Newton نموذج مثالي تجتمع فيه وتمتزج كل صفات رجال الحركات السرية وملامحهم.

ففي سيرته لإسحق نيوتن ذكر جون مايناردكينز Jhon Maynard keynes في دراسته: نيوتن الإنسان Newton the man(•) أن إسحق نيوتن كان يؤمن حقاً بأنه بالخيمياء يمكن للإنسان أن يتحكم في شكل العالم ويسيطر عليه بفهمه له ومشاركته في روحه وحياته التي منحها الإله له.

وقام نيوتن بإجراء تجرب خيميائية سرية لا حصر لها في كلية ترينيتى Trinity Collage، وفي كمبردج Cambridge.

والخيمياء Alchemy، كما عرفها من مارسوها عبر التاريخ، هي الفن المقدس Sacred art، وبدايتها كانت في القرون الثلاثة السابقة لميلاد المسيح، وازدهارها كان في الإسكندرية، وهي خليط من الأفكار الهلنستية عن اتحاد جميع الأشياء في الوجود لتكونها جميعاً من العناصر الأربعة، التراب والهواء والماء والنار، ومن التجارب المعملية على الزجاج والمعادن، ومن العقائد الخفية، ومن التنجيم وممارسة السحر.

والفلسفة الجوهرية للخيمياء هي أن كل الموجودات حيوانية ونباتية ومادية تتصل عبر الروح وأنه يمكن باستخدام العمليات الكيميائية وبإجرء التجارب المعملية وابتكار الأفكار الخلاقة تحرير الروح أو تقطيرها، ومن ثَم تحويل الموجودات الخسيسة إلى كائنات علوية شريفة، وإحالة العناصر الدنيئة إلى أخرى نفيسة، والسمو بالمخلوقات الفانية لتصبح سامية خالدة.

وفي الوقت نفسه كان نيوتن يؤمن أن النصوص الدينية القديمة تحوي معارف خفية وحكمه سرية بين سطورها وفي ثنايا صفحاتها.

وكان نيوتن شديد الولع بسفر دانيال وسفر حزقيال في العهد القديم وسفر رؤيا يوحنا اللاهوتي في العهد الجديد، لأن لغة هؤلاء الأنبياء وكتاباتهم مليئة بالرموز، وكان يوقن أن هذه الرموز هي شفرات مقدسة خفية تحتاج الى عقل خلاق يتعامل معها بطريقة مختلفة جذرياً عن مجرد تلقيها كما هي لكي يكتشف ما تطويه من أسرار.

كان نيوتن يؤمن أن الكون كله وكل ما فيه سر يمكن معرفته عن طريق التفكير العميق

(•) نيوتن الإنسان محاضرة أعدها كينز ليلقيها في الجمعية الملكية البريطانية في شهر يوليو سنة ١٩٤٦م بمناسبة الاحتفال بذكرى ميلاد نيوتن، ولكنه توفي في شهر أبريل، فعرضها باسم كينز في الجمعية الملكية أخوه جيوفي كينز.

الصافي في مظاهره للوصول إلى مفاتيح له أخفاها الرب لكي لا يصل إليها إلا الفلاسفة الباحثون عن كنوز الأفكار، لتتكون منهم عبر التاريخ سلسلة أخوية تربط بينهم وحدهم دون باقي البشر، وأن الإله قد اختاره هو نفسه ليكون أحد هؤلاء.

وهذه المفاتيح لها مصدران، فيمكن العثور عليها في المظاهر الكونية السماوية وفي تكوين المواد والعناصر الأرضية، وهي أيضاً مخبوءة في الكتابات والتقاليد العبرية التي تسلم يداً بيد من جيل الى جيل من الباحثين عن الرب ومعرفة ما أراده في سلسلة لا تنقطع عبر التاريخ، وصولاً إلى وحي الإله الأصيل الأول وما كشفه فيه من حقائق الكون وخفايا الوجود، ألا وهو التوراة !

ومن أجل الوصول إلى ما هو مخبؤ في نصوص العهد القديم من رموز وشفرات، ومن أجل فكها والوصول إلى ما تحويه من أسرار تعلم نيوتن العبرية، وبذل جهداً خارقاً في فحص سفر حزقيال فحصاً متأنياً لكي يُخرج تصميماً دقيقاً وخريطة متقنة لهيكل سليمان كما هو موصوف في السفر، لأنه كان يعتقد أن هذا الصرح الذي بني ليُؤوي تابوت العهد كان يحتوي في تصميمه على شفرة سرية ورموز خفية للكون كله، وأنه بحل هذه الشفرة وفهم هذه الرموز يمكن الوصول إلى عقل الرب ومعرفة ما أرده!

فإليك البرهان بيد إسحق نيوتن نفسه !

في سنة ١٧٢٨م، بعد وفاة نيوتن بسنة واحدة، صدرت طبعة محدودة من كتاب نيوتن الذي سماه: تواريخ الممالك القديمة The chronology of ancient kingdoms، والذي أعيد طبعه في القرن العشرين طبعات عديدة.

والفصل الخامس من كتاب نيوتن هذا عنوانه:

وصف هيكل سليمان Adescription of the temple of Solomon

وفي هذا الفصل قدم نيوتن، بِناءًا على دراساته للنص العبري لسفر حزقيال، وصفاً تفصيلياً لهيكل سليمان، ووضع فيه رسوماً توضيحية رسمها هو نفسه لتصميم الهيكل ولمخطط أرضية الهيكل وقدس الأقداس(•)

فأما لماذا لم ينشر الكتاب إلا بعد وفاة نيوتن، فلأنه كان يريد أن يظل هذا الجانب من دراساته وأفكاره المرتبطة بالخيمياء وما أجراه عليها من بحوث وتجارب، والمتصلة بإيمانه

(•) انظر مخطط الهيكل بيد إسحق نيوتن في ملحق الصور.

بوجود شفرات ورموز في أسفار التوراة وسعيه لحلها وإخراج ما فيها من أسرار، أن يظل وجهاً له محجوباً لا يعلمه أحد.

واتفق نيوتن مع معاصره روبرت بويل Robert Boyle، وكان أيضاً عضواً في حركة الروزيكروشين ويمارس الخيمياء على أن يحتفظ كل منهما بمعارفه وما يصل إليه من نتائج، لأن القوى العليا للمادة والوسائل التي يمكن الوصول بها إليها والسيطرة عليها لابد أن تبقى سراً لا يحوزه إلا من اختاره الرب ليطلعه عليها ويوصله إليها.

وبخلاف كتاب تواريخ الممالك القديمة الذي طبع ووزع على نطاق محدود بعد وفاة نيوتن بعام، ظلت كل كتابات إسحق نيوتن التي كتبها عن فلسفة الخيمياء وعن تجاربه الخيميائية التي كان يقوم بها في ترينيتي وكمبردج، وكذا كتاباته عن شفرة التوراة العبرية ورموزها وما تحويه من أسرار ومفاتيح للوجود غير مطبوعة، وهذا الوجه لنيوتن يكاد يكون مجهولاً!

وفي سنة ١٩٣٦م ظهرت كتابات نيوتن السرية والخفية بخط يده وتوقيعه علناً لأول مرة حين عرضها للبيع جيرارد والوب الإيرل التاسع لبورتسماوث Gerard Wallop, 9th Earl of Portsmouth، في صالة سوثيبي Sotheby الشهيرة، وكانت قد آلت إليه بالوراثة من إحدى حفيدات إسحق نيوتن.

وقد اشترى جزءًا من هذه المخطوطات التي زادت عن الثلاثمائة عالم الاقتصاد الشهير جون ماينارد كينز، وكان مولعاً بنيوتن وبعالمه السري، واشترى باقيها جامع الآثار اليهودي أبراهام يهودا Abraham Yahuda، ثم استقرت هذه المخطوطات في النهاية في مكانها الذي يليق بها: المكتبة الوطنية اليهودية Jewish National and University Library!

وأما لماذا كان هذا العقل الفذ يؤمن بالخيمياء ويجري تجاربها، وكيف كان يعتقد في احتواء التوراة على شفرة مقدسة، وفي أن تصميم هيكل سليمان يحوي أسرار الكون، فلأن هذه هي أفكار كل أبناء القبالاه أو التراث السري الباطني اليهودي ومعتقداتهم، والقبالاه هي ينبوع الماسونية والحركات السرية والديانة الخفية لكل من تكونوا فيها.

الوجه الآخر لإسحق نيوتن الذي لايعلمه كل من ترنموا ويترنمون باسمه من علماء الطبيعة، ومن بقر بلاد العرب الذين كافحوا وما زالوا في كفاح من أجل تسيير بلادهم

خلف العالم الذي أنتجته وكونته أفكار بيكون ونيوتن وأمثالهما، أن نيوتن هو أحد أشهر أبناء القبالاه والمؤمنين بها في التاريخ، وأحد أعلام حركة الروزيكروشين، وأحد أبرز الماسون أيضاً!

كان إسحق نيوتن عضواً في محفل إنجلتر الأعظم Grand Lodge of England، وتخليداً لذكرى أحد أبرز أبنائها وأكثرهم شهرة وأثراً في تاريخ البشرية أقامت الماسونية محفلاً يحمل اسم إسحق نيوتن The Isaac Newton University Lodge، وهو المحفل الذي ما زال موجوداً وعاملاً حتى الآن.

ومكان هذا المحفل ومقره جامعة كمبردج!!

من فرسان الهيكل إلى الماسونية

كان البناء أحد أبرز أنشطة فرسان الهيكل في بلدان أوروبا كلها، خاصة بناء القلاع والحصون وبناء الكاتدرائيات والكنائس على الطراز القوطي.

وبسبب شهرة فرسان الهيكل كبناءين عظام، وما يقومون به من مشروعات إنشائية هائلة، وضخامة ما يشيدونه من كنائس وكاتدرائيات اجتمعت إليهم طوائف عديدة من البناءين وعمال البناء والحرفيين وذوي المهارات في الهندسة والإنشاءات.

ومع الوقت ارتبطت حياة أطقم البناء وتجمعاتهم المهنية والحرفية بفرسان الهيكل، ومن ثَم ارتبطت أماكن عمل هؤلاء البناءين ومحافلهم التي يجتمعون فيها وتؤويهم عند انتقالهم من بلد إلى آخر بمقرات فرسان الهيكل المنتشرة في طول أوروبا وعرضها.

فكانت محافل أطقم البناءين وتجمعاتهم المهنية العاملة في حرفة البناء وما يتصل بها تقام دائماً قرب مقرات فرسان الهيكل، وصارت طائفة البناءين كلها فرعاً لفرسان الهيكل، أو هى تعمل في خدمتها.

ولأكثر من مائتي عام كانت مقرات فرسان الهيكل هي التي تمول البناءين، وهي التي تحدد لهم المهام وأماكن البناء وما هو مطلوب بناؤه، وتقيم للبناءين المرتحلين من بلد إلى بلد المحافل التي توفر لهم الطعام والملبس والمأوى، وتيسر لهم الالتقاء والتدريب وتبادل الخبرات.

ومن غير هذه المحافل وما توفره لأطقم البناءين والحرفيين من مأوى وطعام كانوا عرضة للهلاك من الجوع والعطش والتشرد.

يقول جون روبنسون Jhon Robinson في كتابه: مولود في الدم، أسرار الماسونية الضائعة Born in Blood, The lost secrets of Freemasonry:

"إن أهم سبب لسطوة المحافل الماسونية على أطقم البناءين وعمال البناء هو أنهم قبلها، ومن غيرها، مشردون بلا مأوى ولا عمل منظم، وبلا طعام ولا شراب، وكان المسيطرون على المحافل يدركون هذه السطوة ومصدرها".

فهذا هو ما كان يُستقبل به الوافدون الجدد من عمال البناء للانضمام إلى الطائفة والعمل معها والقبول في محافلها:

"لقد قدمتم إلينا جوعى نصف عرايا بلا حول ولا قوة ولا مال ولا سلاح تدفعون به عن أنفسكم ضربات أعدائكم.الآن آن لكم أن تستريحوا، وسوف يعينكم إخوانكم، فإن كنتم عرايا فسوف نكسوكم، وإن كنتم جوعى فسوف نطعمكم، وإن كنتم على خوف فسوف نؤمنكم من أعدائكم ونحافظ على أسراركم، وإذا استغثتم فسوف تجدون في الحال من يمد لكم يد العون من إخوانكم".

وتمويل هذه المحافل وما تقوم عليه وما تنفقه من مال على من فيها من عمال وعلى ما تشيده كان كله من فرسان الهيكل ومقراتها.

ولم يكن البناؤون والعاملون في مهنة البناء في الروابط التي تجمعهم بقادرين على الاستغناء عن فرسان الهيكل ومقراتها لعلة أخرى، وهي أنها توفر لهم الأمان في البلدان التي يحلون فيها من سلطاتها.

ففي أوروبا الإقطاعية كان الانتقال من بلد إلى بلد أو من إقطاعية إلى إقطاعية محظوراً، وحركة البشر مقيدة بأمير الإقطاع أو حاكم البلد، وأي غريب في أي قرية أو بلدة في أوروبا كان يعتقل ويسجن فقط لأنه غريب ليس من أهلها ولا يستطيع تبرير وجوده فيها.

لم يكن أحد في أوروبا كلها في القرنين الثانى عشر والثالث عشر يستطيع الحركة بحرية عبر حدود الإمارات والبلدان والإقطاعيات والمقاطعات سوى فرسان الهيكل، ومقراتهم وما هو ملحق بها لا سلطان لأحد عليه، فلا يخضع للقوانين المحلية ولا قدرة للسلطة على مساءلته أو التعرض له بحكم الحماية البابوية.

فكان ارتباط محافل البناءين وأماكن تجمعاتهم بفرسان الهيكل ليس فقط لأنها مصدر رزقهم، ولا لأنها صاحبة المشروعات التي يعملون فيها، ولا فقط لأنها توفر لهم المأوى، بل لأنه لا وجود لهم أصلاً إلا بها، فهي التي تحمي المحافل من السلطات المحلية وتوفر للبناءين أنفسهم حرية الحركة والأمان من طغيان الأمراء والنبلاء ومن تسلط الإقطاعيين والقساوسة المحليين.

ولذا عند انتقال مجموعة من البناءين من قرية إلى قرية أو من بلد إلى بلد كانت الوصية الأولى للوافدين الجدد ألا يخاطروا بالخروج إلى القرية أو البلد إلا فى صحبة إخوانهم القدامى المعروفين فيها إلى أن يستقروا ويعرفهم الناس وتعرف السلطات المحلية انتماءهم إلى المحافل وانضواءهم تحت لوائها.

المحافل الماسونية، التي نشأت كأماكن لتجمع طوائف البناءين ونقل الخبرات وتدريب الجدد ولإيواء المغتربين المرتحلين خلف مشروعات البناء والإنشاء، منذ نشأتها وهي ملحقات بمقرات فرسان الهيكل، وطائفة البناءين في أوروبا كلها لم تكن سوى تابع من توابع فرسان الهيكل.

وتنظيم محافل طائفة البناءين وشئون حياتهم كلها كان عملاً من أعمال فرسان الهيكل.

فأول دستور لمحافل الماسون وطائفة البناءين هو لائحة سليمان التي أصدرها فرسان الهيكل لتنظيم شؤون الطائفة التي تتبعها وتنفذ ما توكله إليها من مهام إنشائية ومعمارية في مختلف أنحاء أوروبا، وهى اللائحة التي تضمنت النظام الداخلي للمحافل وتقاليد الطائفة ومهامها والعلاقة بين أبنائها ورتبهم ودرجاتهم، ووضعت للبناءين أسلوب الحياة المثالي الذي يليق بالمهنة وواجباتها.

بعد حل منظمة فرسان الهيكل بمنشور البابا سنة ١٣١٢م وملاحقة فرسانها اختفى عشرات الألوف من فرسان الهيكل، فانضم بعضهم إلى فرسان القديس يوحنا، وبعضهم هرب من بلده إلى بلدان أخرى لا يعرفهم فيها أحد.

أما الكثرة الكاثرة من فرسان الهيكل، جهازها المالي والإداري وعقولها المفكرة التي تديرها فلا يعرف المؤرخون التقليديون أين اختفوا بالضبط.

أما مؤرخو الماسونية والحركات السرية فيقولون إن محافل الماسون، التي هي في أصلها روابط مهنية وأماكن لتجمع أطقم البناء ومأوى لعماله، كانت ملاذاً مثالياً لفرسان الهيكل.

فمحافل البناءين وروابطهم العاملة في مهنة التشييد والبناء كانت الفرع الوحيد من فرسان الهيكل الذي نجا من الحل والتدمير، وأطقم البناءين وعمال البناء كانت هي التجمعات الوحيدة التي لها صلة بفرسان الهيكل ولم تتعرض للملاحقة والاعتقال.

فالكنيسة كانت بحاجة إلى خبرات هؤلاء وفنونهم ومهاراتهم من أجل بناء الكنائس والكاتدرائيات، والملوك والأمراء والنبلاء لم يكن في مقدورهم الاستغناء عنهم في بناء القصور والقلاع.

فرسان الهيكل اختفوا في كل بلاد أوروبا تقريباً داخل محافل الماسون وبين أطقم البناءين وفي تجمعات العمال والحرفيين المنتشرة عبر القارة كلها، وهو أمر لم يكن عسيراً على الفرسان لأنهم هم أنفسهم بناؤون مهرة ومهندسون عظام وإداريون وماليون خبراء.

وفي داخل محافل الماسون المهنية الحرفية بدأ فرسان الهيكل يبثون أفكارهم في أوساط عمال البناء وتجمعات الحرفيين التي صارت غطاء لهم.

وبحكم أنهم نخبة وصفوة قائدة علموا البناءين الطاعة والتراتب وتقاليد الفروسية، ومع الوقت حولوا أدوات البناء إلى رموز لإخفاء أفكارهم التي يبثونها، وفي الوقت نفسه سربوا رموزهم هم لتصبح رموزاً للماسونية لا يعرف حقيقتها ولا المقصود بها أحد سواهم أو من يطلعونه عليها.

وأبرز من فسر اختفاء فرسان الهيكل وانحدار الماسونية منها بتغلغل الفرسان في محافل الماسونية المهنية واتخاذها ستاراً للحركة واستمرارها فيها وليم بريستون William Preston في كتابه: صور الماسونية Illustrations of Freemasonry الصادر سنة ١٨٠٤م، وجون روبنسون في كتابه: مولود في الدم، أسرار الماسونية الضائعة الصادر سنة ١٩٨٩م.

ويدلل بريستون وروبنسون على صحة نظريتهما بازدهار الطراز القوطي من العمارة في أوروبا بعد حل فرسان الهيكل وطوال القرن الرابع عشر والخامس عشر.

وما يعضد نظرية تحول محافل الماسون من مجرد روابط مهنية وتجمعات حرفية لعمال البناء إلى مأوى للخفاء ومستودع للرموز ومعمل لصناعة الأفكار وبثها منذ القرن الرابع عشر أن أقدم وثيقة ماسونية معروفة ذكر فيها تعبير الماسون الأحرار Freemasons، وهي منشورات كتبت بخط اليد سنة ١٣٩٠م في أحد محافل لندن، وهي الوثيقة التي يطلق عليها اسم: ريجياس Regius، تحتوي على عبارات خطاب وألقاب لا محل لأن يتخاطب بها البناؤون الحرفيون.

فالخطاب فى الوثيقة موجه إلى سيدات وسادة Ladies and Lords، ولا مجال في رابطة بناءين لأن يكون منهم سادة، ولا لأن يكون بينهم سيدات، ثم الوثيقة تخاطب السيدات والسادة في موضوعات متعددة لا صلة لها بالبناءين ولا بحرفة البناء.

أما أقدم وثيقة على الإطلاق تحوي تعبير الماسون الأحرار، فهي تقرير صادر سنة ١٣٧٥م عن بلدية مدينة لندن، واستخدم تعبير الماسون الأحرار فيها للإشارة إلى طائفة البناءين الذين هم أحرار لأنه مسموح لهم بحرية الحركة والتنقل داخل انجلترا ومن بلد إلى بلد في الوقت الذى تقيد فيه قوانين الإقطاع وأمراؤه أقنان الأرض إليها وتمنع حركة

سكان القرى من إقطاع إلى إقطاع.

وأما أقدم محفل ماسوني في العالم فهو محفل كيلْوِيننج Kilwinning في اسكتلندا، وجزء من اسمه الرسمي أنه المحفل رقم صفر Lodge 0، وأنه المحفل الأم Mother Lodge، وهو الآن أحد المحافل التابعة لمحفل اسكتلندا الأعظم.

وتكوين هذا المحفل الأم سابق على هاتين الوثيقتين، ففي أرشيف المحفل ووثائقه التي أقر بصحتها محفل اسكتلندا الأعظم أنه تم تكوينه أواخر القرن الثاني عشر سنة ١١٩٣م بواسطة مجموعة من عمال البناء Stonemasons المرتحلين من أوروبا إلى اسكتلندا في حجرة تقع في الجانب الشرقي من دير بلدة كيلْوِيننج، وهو أحد الأديرة التابعة لفرسان الهيكل.

مهد الماسونية

لا خلاف بين المؤرخين التقليديين ومؤرخي الماسونية والحركات السرية على أن اسكتلندا كانت الحضن الدافئ لفرسان الهيكل، وهي في الوقت نفسه المكان الذي ولدت فيه الماسونية أو أقدم طقوسها وهو الطقس الاسكتلندى Scottish Rite.

أما عن فرسان الهيكل فقد كانت اسكتلندا ملاذاً آمناً نموذجياً لا مثيل له فى أوروبا كلها، فاسكتلندا المستقلة عن إنجلترا هي المملكة الوحيدة في أوروبا التي لا تخضع لسلطة الكنيسة الكاثوليكية ولا تعترف بها، ولا أثر فيها لأوامر البابا ومراسيمه ومنشوراته، وهي في حرب دائمة مع إنجلترا، وعلى عداء مستديم وحروب متقطعة مع فرنسا.

وقبل كل هذا وأهم منه أن فيها آل سنكلير.

اسكتلندا هي المملكة الوحيدة في أوروبا التي لم يعتقل فيها فرسان الهيكل ولم يحاكموا ولم ينفذ فيها قرار حل المنظمة ولا مصادرة مقراتها.

وإلى اسكتلندا الآمنة المعزولة عن أوروبا وعلى عداء معها هرب فرسان الهيكل من فرنسا وإنجلترا ليصبحوا صفوة عسكرية في جيشها ونخبة مقاتلة تحت رايات ملوكها من آل ستيوارت.

وبعد معركة بانوكبرن سنة ١٣١٤م التي هزم فيها الجيش الاسكتلندي بمعاونة فرسان الهيكل الجيش الإنجليزي الأوفر منه عَدداً والأقوى عُدداً، اندمج جزء من مقاتلي فرسان الهيكل في الحرس الاسكتلندي Scots Guard المسؤول عن حراسة الملك وحماية المملكة.

وأغلب فرسان اسكتلندا، كإخوانهم في بلاد أوروبا المختلفة، انخرطوا فى محافل الماسون المهنية التي توفر لهم الغطاء وحرية الحركة والتنقل، ليحولوها مع الوقت من روابط مهنية لتنظيم شؤون حرفة البناء إلى مستودعات للرموز والأسرار ومصانع للنظريات والأفكار.

واللحظة الحاسمة في تاريخ فرسان الهيكل والماسونية في اسكتلندا وفي أوروبا كلها كانت بناء كنيسة روزلين Roslyn Chapel.

في سنة ١٤٣٦م وجه الإيرل وليم سنكلير William Sinclair، عميد أسرة سنكلير نداءًا إلى البناءين في بلاد أوروبا كلها يدعوهم فيه للقدوم إلى اسكتلندا للمشاركة في

مشروع إنشائي ضخم يزمع إقامته في منطقة روزلين التي تقع على بُعد ستة أميال من إدنبره Edinbrough في اتجاه الجنوب، وبينها وبين مقر فرسان الهيكل في اسكتلندا، والذي كان هبة من آل سنلكير، بضعة أميال.

ومن أجل إيواء أطقم البناءين والعمال القادمين من كافة أنحاء أوروبا وإعاشتهم أقام وليم سنكلير قرية روزلين على مشارف المكان المزمع تشييد مشروعه فيه.

ولخمس سنوات كاملة، هي الفترة بين بدء توافد البناءين سنة ١٤٣٦م وبين وضع أسس كنيسة روزلين سنة ١٤٤١م، لم يكن البناؤون يفعلون شيئاً، فلم يكلفهم وليم سنكلير بشيء، بل ولم يخبرهم بما هو المشروع الذي حشدهم من أجله!

كان الشيء الوحيد الذي فعله وليم سنكلير في هذه السنوات الخمس هو إيواء أطقم البناء وإعاشتهم، وفي أثناء ذلك تولى الخبراء في حرفة البناء وأساتذته تدريبهم وإكسابهم مهارات البناء وتعليمهم أصول المهنة، وتقسيمهم إلى درجات ومراتب، وتعويدهم على تقاليد المهنة والنظام الذي يحكم العلاقة بين أعضائها، وتدريبهم على الالتزام والطاعة، ووضع آداب وأعراف تحكم حياتهم وحركتهم.

واستمر بناء كنيسة روزلين خمسة وأربعين عاماً، فقد وضع أساسها سنة ١٤٤١م واكتمل بناؤها سنة ١٤٨٦م.

وتوفي وليم سنكلير قبل إتمام بناء الكنيسة بعامين سنة ١٤٨٤م، وكان الذي أتمه عميد أسرة سنكلير من بعده ابنه أوليفر سنكلير Oliver Sinclair.

ويفسر البروفيسور روبرت لوماس Robert Lomas، وهو أستاذ في جامعة برادفورد Bradford، وأحد الخبراء في تاريخ الجمعيات السرية، وأشهر من أرخوا لأصول الماسونية وعلاقتها بفرسان الهيكل وآل سنكلير، وهو نفسه ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين من الطقس الاسكتلندى، يفسر لوماس فى كتابه: مفتاح حيرام، الفراعنة والماسون واكتشاف مخطوطات يسوع السرية.

The Hiram Key, Pharaohs, Freemasons and the discovery of the secret scrolls of Jesus.

الذي ألفه بالاشتراك مع دكتور كرستوفر نايت Christopher Knight، وهو أيضاً ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، يفسران ما فعله وليم سنكلير من حشد لأطقم البناءين والإنشائيين والمهندسين، وما قضاه من سنوات في تدريبهم وتعليمهم وترتيبهم في

درجات ورتب، ووضع طقوس لكل درجة ومرتبة ورموز لها لا يعرف معناها والمقصود بها إلا من هو فيها أو وصل إليها، يفسر لوماس ونايت ذلك بأن وليم سنكلير كان رجلاً نابهاً فطناً خبيراً بنفوس البشر، وكان يعلم أنه ستواجهه مشكلة الأمن والحفاظ على أسراره وأسرار كنيسته وتصميمها ومعمارها وأسرار ما أقامها من أجل حفظه فيها.

ومن ثَم قسم وليم سنكلير أطقم البناءين والصناع والمعماريين إلى ثلاث مراتب رئيسية: مرتبة المبتدئ أو الصبي Apprentice، ومرتبة البنَّاء الحرفي أو الصنايعي Craft Mason، ومرتبة البناء المعلم أو الأستاذ Mark Mason.

وكان الهدف من هذا التقسيم ليس تنظيم العمل، بل حفظ أسرار كل مرتبة، فلا تفشى إلا بين أهلها وتحجب عمن هو دونها، ولا يسمح بالترقي إلى مرتبة إلا بعد اختبارات وطقوس تثبت الجدارة بالإرتقاء إليها ومعرفة أسرارها.

أما السر الأعظم، وهو ما الذي تحويه الكنيسة وما الذي أنشأت من أجله وما الذي يرتبط بها من معتقدات وأفكار ورموز فقد كان محجوباً عن أطقم البناء المهنية كلها، فهذا السر قصره سنكلير على فئة أخرى، هي الماسونية الذهنية التأملية أو الماسونية الرمزية Speculative Masonry.

وهي رمزية لأن البناء وأدواته وأسماء درجات البناءين ورتبهم التي يرتقي الصاعد فيها لا علاقة لها بحرفة البناء، بل هي رموز لأفكار ومعتقدات وأسرار لا يعرفها في كل درجة إلا من صعد إليها، وبعد طقوس واختبارات موازية لاختبارات ترقي الصناع في حرفة البناء.

فلكل درجة أو رتبة في حرفة البناء في الماسونية المهنية نظير في الماسونية التأملية النظرية، وكل طقس أو اختبار للترقي من درجة في اتقان الصنعة إلى درجة له ما يقابله للترقي من درجة في ماسونية الصفوة الذهنية والنخب الفكرية إلى درجة.

بناء روزلين هو الوصلة التحويلية التي ولدت فيها الماسونية التاملية ورموزها ودرجاتها وطقوسها من مثيلاتها في الماسونية المهنية، لتكون هذه غلاف تلك، ولتتحول محافل البناءين وروابطهم إلى محافل لبث الآراء ونشر الأفكار وابتكار النظريات وتوجيه المجتمعات وتكوين وعي نخبها.

وطبقاً لنظرية لوماس ونايت فإن السر الذي شيد وليم سنكلير روزلين من أجل حفظه

والحفاظ عليه هو المعرفة المطلقة والحكمة الشاملة التي تكونت من امتزاج التراث المصري القديم بالتقاليد اليهودية التوراتية المكتوبة والقبالاه الشفوية غير المكتوبة.

وهي المعرفة التي فيها حقيقة الإله وأصول العقائد، وأسرار الخلق والتكوين، والاجتماع والحياة، والمسار والتاريخ، والمآل والمصير.

وليم سنكلير، طبقاً لنظرية لوماس ونايت، أقام روزلين من أجل حفظ كنوز فرسان الهيكل التي نقلوها من تحت أنقاض هيكل سليمان إلى أوروبا، ثم استقرت بعد حل منظمتهم في اسكتلندا، ومن أجل الحفاظ على أسرارها وتكوين أجيال مخلصة تتولى حراستها عبر الزمان إلى حين الوصول إلى الغاية العظمى.

فأما كنوز فرسان الهيكل التي نقلوها من تحت هيكل سليمان لتستقر في روزلين فهي تابوت العهد ومخطوطات المعرفة والحكمة الأولى.

وأما الغاية العظمى فهي إعادتها إلى مصدرها ومأواها، مقر الحكمة الأولى ومنبع المعرفة الخالصة، ألا وهو هيكل سليمان في أورشليم.

وبناء روزلين وتصميمها هو نفسه دليل على مولد الماسونية فيها وعلى صلة فرسان الهيكل بالماسونية وبقائهم فيها.

فالأرض التي أقيمت عليها رزولين سُويت ثم وُضعت فيها أساسات الكنيسة ليكون تصميمها نسخة مطابقة أو صورة طبق الأصل من تصميم الأرض والأساسات التي أقيم عليها هيكل هيرود.

ومن الخارج تبدو كنيسة روزلين بأبراجها وسقفها المركزي الهائل والمقبب وبأحجارها الضخمة وكأنها هي الهيكل نفسه(*).

وفي مقدمة أعمدة حرم الكنيسة الأربعة عشر يوجد بوعز Boaz وجاكين Jachin، وهما العمودان الشهيران المذكوران في التوراة في تصميم حرم هيكل سليمان، ومن ثَم فهما ركن أساسي في تصميم القاعة المقدسة أو حرم المحفل الماسوني.

فحرم المحفل الماسوني ليس سوى محاكاة لحرم كنيسة روزلين، وهو نفسه محاكاه لحرم هيكل سليمان.

والأعمدة الثمانية التي تقع في شرق حرم الكنيسة مرتبة ومصفوفة على شكل ثلاثية تاو

(*) انظر كنيسة روزلين في ملحق الصور.

Triple Tau، كما هو موصوف في الدرجة الثالثة عشرة من الطقس الاسكتلندي، وهى درجة عقد سليمان الملكي Royal Arch Of Solomon.

وتاو Tau هوالحرف التاسع عشر في الأبجدية العبرية وآخر حروفها، وينطق في العبرية توف Tov، ويقابله في الحروف الأوروبية حرف T.

أما ثلاثية تاو Triple Tau، أو التاوات الثلاثة فهو شكل يتكون من حرف T، نظير التاو، مكرراً ثلاث مرات، وقد التقت الحروف متقابلة ومتعامدة.

وثلاثية تاو إحدى الرموز الماسونية التي يحوزها من يصل إلى درجة عقد سليمان الملكي.

ففي كل درجة من درجات الماسونية يرتدي من فيها من الرفاق قلادة تشبه الجوهرة تحمل رموزاً خاصة بالدرجة ولا يعرف معناها إلا من وصل إليها.

وأحد طقوس اللقاء في درجة عقد سليمان الملكي أن يضع الماسوني فيها جوهرة أو قلادة حول عنقه، هي دائرة كبيرة في داخلها مثلثان متعانقان يكونان معا نجمة سداسية هي نجمة داوود، وتسمى في الماسونية: شعار سليمان أو علامة سليمان Solomon Seal، ويلتصق بالدائرة الكبيرة من أسفلها دائرة صغيرة في داخلها التاوات الثلاثة المتلاقية والمتعامدة(*).

وهذه التاوات الثلاثة ترمز إلى ثلاث عبارات لاتينية تلتقي لتتمم بعضها.

فالعبارة الأولى هي: Templum Hierosolyma، أى: هيكل أورشليم.

والشكل الذي يكونه التقاء التاوات الثلاثة هو نفسه تكوين رمزي لهيكل سليمان.

والعبارة الثانية هي: Cluvis Theosaurum، ومعناها: المفتاح إلى الكنز.

والعبارة الثالثة هى: Theca Ubi Res Pretiosa Deponitur، ومعناها: مكان إخفاء الكنز.

ووصل الأعمدة الأربعة عشر في كنيسة روزلين بخط تخيلي يبدأ من مدخل حرمها وينتهي عند التاوات الثلاثة يؤدي إلى رسم نجمة سداسية.

فأرضية حرم الكنيسة مصممة ليتكون من توصيل أعمدتها نجمة داوود أو شعار سليمان، وشعار سليمان هذا هو التصميم أو الشكل الذي كان عليه قدس الأقداسSanctum Sancatorium في هيكل سليمان، وهو البقعة فيه التي كان يحفظ

(*) انظر القلادة الماسونية في ملحق الصور.

فيها تابوت العهد.

ويعتقد لوماس ونايت ومعهما جيش من المؤرخين والباحثين والمغامرين أن تابوت العهد كان موجوداً في روزلين، نقله إليها فرسان الهيكل ليحفظ في المغارة أو الغرفة المجوفة التي توجد أسفل نجمة داوود وعلامة سليمان تحت حرم روزلين، لأن هذه المغارة هي صورة من المغارة الموجودة أسفل صخرة بيت المقدس، والتي كان قدس الأقداس في هيكل سليمان يقع فوقها.

ويعتقد هؤلاء أن تابوت العهد ما زال موجوداً في مكانه في روزلين تحت شعار سليمان، وما أعاقهم عن البحث عنه هو رفض لورد روزلين وعميد آل سنكلير السماح لأحد باستخدام الأشعة السينية أو الأجهزة الحديثة في فحص الكنيسة والبحث تحت أرضها أو خلف جدرانها في الوقت الذى لا يعرف أحد مدخل المغارة ولا كيف يمكن الوصول إليها.

وعند الزاوية التي يلتقى فيها الجدار الجنوبي بالجدار الغربي للكنيسة يوجد تمثالان حجريان متواجهان، ويمثل كل منهما رأس إنسان.

فالذي على الجدار الجنوبي تمثال لرأس بها جرح قاتل في الجبهة، والذي يواجهه على الجدار الغربي تمثال لرأس قاتله.

والتمثالان، معاً، تمثيل لقصة حيرام أبيف Hiram Abiff، وهي قصة ذات رمزية مركزية في الماسونية.

وحيرام أبيف هو عريف البناءين في هيكل سليمان والمشرف على تشييده، وقد قتله بعد إتمام بناء الهيكل ثلاثة من أتباعه صغار البناءين، وهم جوبلا Jubela، وجوبلو Jubelo، وجوبلم Jubelum، لأنه رفض أن يفشي لهم أسرار المهنة ويعرفهم بأصولها وخفاياها.

تلقى حيرام أبيف ضربة على جبهته سقط معها على ركبته اليسرى، ثم حاول الهرب من الهيكل فتلقى ضربة ثانية سقط معها على ركبته اليمنى، وفي النهاية تلقى ضربة قاتلة بحجر على جبهته خر معها على ظهره صريعاً.

وقصة حيرام أبيف باني الهيكل والبنَّاء الذي فضل الموت على أن يفشي أسرار الهيكل وأسرار مهنته تحولت إلى طقس للترقي في الماسونية.

فالصاعد إلى درجة الأستاذ Master Mason، وهي الدرجة الثالثة في الطقس

الاسكتلندي يجب عليه أن يروي قصة حيرام أبيف، ثم بعد ذلك يقوم هو نفسه بتمثيل شخصية حيرام أبيف في طقوس تعيد تصوير الجريمة وتنتهي بتمثيل قتله ودفنه.

بعد روايته لقصة حيرام أبيف يتلقى طالب الترقي لدرجة الأستاذ في الظلام التام للمحفل ضربة على جبهته ليقع على ركبته اليسرى كما وقع حيرام أبيف، ثم يقف ويحاول الهرب من الباب الغربي لقاعة التنصيب كما حاول حيرام الهرب من بوابة الهيكل الغربية، فيتلقى ضربة أخرى على جبهته، يدفعه على إثرها اثنان من الماسون شهود طقس الترقي ليقع على ركبته اليمنى كما وقع حيرام، ثم يقوم محاولاً الهرب من الباب الشرقي للقاعة كما فعل حيرام، فيتلقى ضربة ثالثة بحجر على جبهته كالتي تلقاها حيرام أبيف، وتدفعه الأيدي ليقع على ظهره كأنه صرع.

وفي الظلام يتقدم نحوه الأستاذ الأعظم وفي يده شمعة مضيئة ويلمس جبهته بآلة في يده، ثم يكفن جسده في ملاءه لا يظهر منها سوى وجهه.

وفى الظلام التام يتهامس ثلاثة من الماسون شهود الطقس، كما فعل قاتلو حيرام أبيف، بضرورة إخفاء جسده بين أكوام الأنقاض حتى ينتصف الليل ليتمكنوا من نقل الجسد إلى خارج الهيكل، ثم يُلف المترقي في بطانية ويوضع في جانب القاعة بين مجموعة من الأحجار.

وعندما يقرع جرس الساعة الثانية عشرة منتصف الليل يحمله من يمثلون القتلة الثلاثة ليوضع في قبر محفور في القاعة كالذي دفن فيه القتله حيرام أبيف غربي جبل الهيكل، ثم يسمع المترقي الثلاثة يتفقون على تعليم القبر بزهور الأكاسيا، ثم الهرب عبر البحر الأحمر إلى إثيوبيا.

وبعد ذلك يمسكه أستاذ المحفل الأعظم الذي ينصبه بقبضة يد قوية وينهضه على قدميه، ثم يهمس في أذنه:

Ma'at – neb– men– au– Ma'at – ba– aa

وهى عبارة مصرية قديمة ترجمتها:

كم هو عظيم من يبجل ماعت، وكم هي عظيمة روح ماعت

وماعت في الأساطير المصرية القديمة هي ابنة رع وإلهة الحق والعدل، ومن ثَم عندما يحاسب الميت توضع ماعت في الميزان لوزن قلبه ومعرفة إن كان يطابقها أم لا.

ووزير مصر لأنه رئيس جميع محاكمها فهو كاهن ماعت الذي يتكلم ويقضي بوحيها.

وماعت هي أيضاً التي تحفظ توازن العالم كله وتربط جميع عناصره في انسجام وتمسك وحداته الذى هو ضرورة لاستمرار الحياة.

ماعت هي رمز الحق والعدل والحكمة والتوازن، ومن ثَم، كما يقول روبرت لوماس، فهى رمز للماسونية ودورها في العالم وموقعها منه.

ثم يتم الأستاذ الأعظم وصيته لطالب الترقي إلى درجة الأستاذ قائلاً: يجب أن تذكر دائماً أنك ستعود يوماً إلى القبر الذي تقف على حافته الآن والذي نزلت فيه باختيارك لتحتويك برودته وظلمته بعد أن تنتهي حياتك الفانية.

ثم يُوجَه المترقي في الظلام ليقف أمام قبر مفتوح به جمجمة وزوج من العظام المتقاطعة ويقال له: حتى فى هذا الظلام الدامس يجب أن تؤمن إيماناً راسخاً وتثق ثقة مطلقة في الحقيقة الحية الخالدة، وهي أن واهب الحياة سيمكننا من قهر الخوف والفزع، ومن رؤية نجم الصباح الذي يلوح في الأفق الآن ليجلب إشراقة السلام والعدل للمؤمنين والطائعين من البشر.

ثم يسير الأستاذ الأعظم إلى نجمة مضيئة في شرق المحفل، فيتقدم المترقي ثلاث خطوات إلى المذبح ويجثو على ركبتيه واضعاً إحدى يديه على التوراة العبرية والأخرى على البرجل، فيكون بذلك قد حصل على درجة الأستاذ في الماسونية.

وما لا يدع شكاً في أن تمثيل قصة حيرام أبيف داخل كنيسة روزلين بالرأسين الحجريين لحيرام وقاتله وثيق الصلة بما صار بعد ذلك طقساً ماسونياً، وما يؤكد أن روزلين هي المكان الذي ولدت فيه الماسونية من فرسان الهيكل، وجود نحت قريب من قصة حيرام أبيف في الزاوية الجنوبية الغربية للكنيسة، وأحد طقوس الماسونية نسخة منه.

والتكوين المنحوت يمثل رجلاً يركع على ركبتيه بين العمودين بوعز وجاكين، وعلى عينيه عصابة تحجب بصره، ويحمل في يده اليسرى التوراة، ويلتف حول عنقه حبل يتدلى على صدره ويمسك بطرفه رجل آخر إلى جواره يرتدي الزى التقليدي الكامل لفرسان الهيكل المزين بالصليب المربع المتساوى الأذرع.

وهذا، بحذافيره، هو الطقس الذي يؤديه الراغب في الانضمام إلى الماسونية عند دخوله في أولى درجات الطقس الاسكتلندي، درجة الصبي أو المبتدئ Apprentice.

فلاريب أن فرسان الهيكل هي التى عصبت عين الغرب ولفت الحبل حول رقبته ثم جرته منه لتدخله حظيرة الماسونية.

بقي أن روزلين التي بنيت على أنها كنيسة وتحمل اسم كنيسة CHAPEL لم تستخدم أبداً ككنيسة، ولم يقم فيها منذ إنشائها وعبر تاريخها كله قداس ولا طقس مسيحي واحد.

وفى حين تمتلئ روزلين بمئات المنحوتات لمعبودات وثنية وأهرام ونجوم سداسية وخماسية لا يوجد أي شئ فيها ولا في تصميمها له علاقة بالمسيحية سوى تمثال يتيم للعذراء تحمل طفلها الرضيع، ولا يُعرف على وجه التحديد هل كان في الكنيسة عند بنائها أم أضيف إليها في زمن تال.

آل سنكلير

أسرة سنكلير هي إحدى أعرق الأسر في الغرب، ومن أكثرها امتزاجاً بتاريخه وحضوراً وتأثيراً فيه.

وللأسرة فرعان، فرع في فرنسا وينطق اسمه: سان كلير St.Clair، وفرع في بريطانيا وينطق اسمه: سنكلير Sinclair.

وتقول الأساطير التي تحيط بالأسرة إن جذورها البعيدة تقع في شبه جزيرة اسكندنافيا Scandinavia، وأن تاريخها يعود إلى غزوات الفايكنج Vikings.

أما تاريخ الأسرة المدون فيبدأ من مقاطعة نورماندي Normandy شمال فرنسا، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ فرنسا وإنجلترا واسكتلندا.

عند وفاة إدوارد الأول Edward I ملك انجلترا سنة ١٠٦٦م خرج كاهن اعترافه ومالكو زمام قصره ليعلنوا أن الملك إدوارد الأول، الذي لم يكن له عقب، قد عهد وهو على فراش الموت بعرش إنجلترا إلى ابن عمه هارولد Harold مخلفاً عهده واتفاقه مع ابن عمه الآخر، وليم William دوق مقاطعة نورماندي، بخلافته.

وما إن وصل نبأ اعتلاء هارولد عرش إنجلترا إلى وليم حتى جمع نبلاء نورماندي وعقد معهم حلفاً من أجل استعادة عرش إنجلترا.

وبعد أن حصل على مباركة البابا ألكساندر الثاني Alexander II جهز جيشاً عرمرماً وعبر به المضيق من فرنسا إلى إنجلترا.

والتقى الجيشان في منطقة هاستنجز Hastings جنوب إنجلترا في إحدى أشهر المعارك في تاريخ الغرب.

وانتهت معركة هاستنجز بانتصار وليم النورماندي وسيطرته على جنوب انجلترا، ثم أرسل وليم قواته في اتجاه الشمال لتعقب هارولد وجيشه، لتنتهي المعارك باستيلاء قواته على إنجلترا كلها وتنصيبه ملكاً عليها تحت اسم: وليم الفاتح William The Conqueror.

ويقول بيت كامنجز Pete Cummings، وهو المؤرخ والنسابة الرسمي لآل سنكلير في دراسته عن تاريخ الأسرة: Guide to Sinclair landmarks إن والدرن

سنكلير Walderne Sinclair (ت ١٠٧٥م) كان أحد النبلاء المتحالفين مع وليم النورماندي، وأن وليم وهو يجهز جيشه لعبور المضيق إلى انجلترا اختاره ليكون أحد قواد جيشه.

ويقول كامنجز إن وثائق معركة هاستنجز التي عثر عليها في لفائف في دير المعركة Battle Abbey تحوي اسم والدرن سنكلير مع تسعة آخرين من آل سنكلير، أحدهم ابنه وليم سنكلير (١٠٢٨م - ١٠٩٠م).

ومكافاة لوالدرن سنكلير أقطعه وليم الفاتح أراضٍ واسعة على ضفاف نهر ميدواي في إنجلترا.

وبعد وفاة والدرن سنة ١٠٧٥م غضب وليم الفاتح على ابنه وليم لنكوصه عن مشاركته في معاركه التوسعية في الجزر الشمالية، فاضطر وليم سنكلير إلى مغادرة إنجلترا إلى اسكتلندا ليستقر فيها رئيساً لبلاط الملكة مارجريت Margaret والملك مالكولم الثالث Malcolm III باسم وليم الأشقر William Le Blond.

وقد كانت أسرة ستيوارت Stuart الحاكمة في اسكتلندا هي نفسها إحدى الأسر المهاجرة إبان الغزو النورماندي إلى الجزر الإنجليزية من فرنسا حيث توجد أصولها ولها صلات وثيقة بآل سنكلير.

وفي سنة ١٠٩٣م أغار الإنجليز على اسكتلندا من أجل ضمها، وكان وليم سنكلير الابن أحد زعماء الدفاع عن استقلال اسكتلندا، وحسب كلام كامنجز كان هو الذي قاد القوات الاسكتلندية بأمر الملك للإغارة على انجلترا وتمكن من هزيمة القوات الإنجليزية في موقعة ألنويك Alnwick واستولى على قلعتها.

ومنذ هذا العام والمعارك لا تنقطع بين إنجلترا واسكتلندا، وفي كل هذه المعارك تقريباً كان عميد آل سنكلير، كلٌّ في زمانه، أحد قادة الجيش الإسكتلندي وأحد الأبطال المدافعين عن استقلالها.

ومن أشهر هذه المعارك معركة أليرتون Allerton سنة ١١٣٦م، وأحد قوادها وليم سنكلير الثالث، وقد انتهت المعركة بهزيمة انجلترا وبدء تحول آل سنكلير إلى سفراء للوساطة بينها وبين اسكتلندا، ومعركة ليويس Lewes سنة ١٢٦٥م، وكان من بين قوادها وليم سنكلير الخامس، ومعركة جسر ستريلينج Striling Bridge سنة ١٢٩٧م،

ثم معركة بانوكبرن سنة ١٣١٤م.

وآل سنكلير أحد أكبر براهين انحدار الماسونية من فرسان الهيكل واستمرارهم فيها، فهي الأسرة التي يتصل فيها وفي أجيالها تاريخ فرسان الهيكل بتاريخ الماسونية دون انقطاع.

فمن أصل الأسرة في نورماندي كانت كاثرين دي سان كلير Catherin de St. Clair زوجة هوج دي بايان مؤسس فرسان الهيكل وأول أساتذتها العظام.

وأول رحلة لهوج دي بايان خارج الأرض المقدسة بعد تأسيس فرسان الهيكل كانت إلى اسكتلندا، وأول هبة لفرسان الهيكل كانت الأرض التي وهبها لها آل سنكلير في بالونترودوش، لتصبح أول مقر للمنظمة ومركز قيادة في أوروبا على بعد بضعة أميال من معقل آل سنكلير في روزلين، وهو المقر الذي مازال موجوداً ويحمل اسم الهيكل Temple حتى اليوم.

ووليم سنكلير هو آخر الأساتذة العظام لمنظمة فرسان الهيكل في اسكتلندا، وهو الذي كان يقود الفرسان في معركة بانوكبرن سنة ١٣١٤م متحالفاً مع آل ستيوارت.

وثمة دليل قائم حتى اليوم على أن وليم سنكلير هذا كان أحد فرسان الهيكل، ففي كنيسة روزلين يوجد له ضريح يقول روبرت لوماس إنه تم نقل رفاته إليه بعد بنائها.

وشاهد الضريح مكتوب عليه اسمه: وليم دي سان كلير، وتحته أنه فارس الهيكل(*).

ووليم سنكلير هو الذي شيد كنيسة روزلين التي ولدت فيها الماسونية الذهنية التأملية من الماسونية المهنية العملية.

وفي سنة ١٦٠٢م أُسست المحافل الماسونية الإسكتلندية الحديثة تحت رعاية ملك اسكتلندا جيمس السادس James VI، ونُصِّب وليم سنكلير أول رؤسائها وأساتذتها العظام، مع الإقرار بحق آل سنكلير في رئاسة المحافل الإسكتلندية بالميلاد والوراثة.

وجيمس السادس الذي أسست المحافل الإسكتلندية الحديثة برعايته وتحت إشرافه هو نفسه الذي تم تنصيبه ملكاً لإنجلترا واسكتلندا تحت اسم جيمس الأول، وهو الذي أمر بترجمة الكتاب المقدس إلى الإنجليزية وعهد بمراجعته وتحريره التحرير النهائي للأستاذ

(*) انظر شاهد قبر وليم سنكلير في ملحق الصور.

الأعظم لمنظمة الروزيكروشين في إنجلترا فرنسيس بيكون.

ومنذ عام ١٦٠٢م وحتى اليوم وآل سنكلير هم سادة المحافل الماسونية في اسكتلندا، ولورد روزلين عميد آل سنكلير هو الأستاذ الأعظم بالوراثة لمحفل اسكتلندا الأعظم Grand Lodge of Scotland الذي تتبعه المحافل الاسكتلندية.

والنشاط الماسوني في العالم كله تسيطر عليه بضعة أسر، فهي التي ترأس محافل الماسونية العظمي، وتبث فيها أفكارها وتصدر إليها وإلى ما يتبعها من المحافل تعليماتها، وتوجهها وتوجه العالم كله بها إلى حيث تريد.

وهذه الأسر ترتبط معاً بروابط القرابة أو الزواج والمصاهرة وعلاقات العمل والمصالح المشتركة التى تمتد عبر عشرات السنين ومئاتها.

وإحدى هذه الأسر الأسرة الميروفنجية بفروعها المختلفة، وآل سنكلير أحد هذه الفروع.

وإحدى الروايات المرتبطة بآل سنكلير هي اكتشافهم للعالم الجديد قبل كرستوفر كولمبس، وانتقال فرسان الهيكل عبرهم إلى القارة الأمريكية، وأن الماسونية في العالم الجديد أحد آثارهم.

في كتابه: الكأس المقدسة عبر الأطلنطي The holy grail across the Atlantic ذكر مايكل برادلي Michael Bradly أن عميد أسرة سنكلير، هنري سنكلير Henry Sinclair التقى سنة ١٣٩١م الأخوين نيكولوس وأنتونيو زينو Nicolos and Antonio Zeno في جزيرة فر Fer التي تقع أقصى شمال اسكتلندا في الجزء الاسكندنافي منها، إلى جوار جزر أوركني Orkney التي يمكلها ويحكمها آل سنكلير.

والأخوان زينو من فينيسيا Vinece وكانا معروفين بخبرتهما في رسم خرائط الأجزاء الشمالية من القارة الأوروبية خاصة شبه جزيرة اسكندنافيا وشمال اسكتلندا وما تحويه من جزر، وبمهارتهما في ارتياد هذه الجزر والحركة في البحار التي تحيط بها.

وحسب دراسة برادلي كون هنري سنكلير أسطولاً من اثنتي عشرة سفينة، وبرفقة الأخوين زينو وبمعونة خرائطهما أبحر هنري سنكلير مع ثلاثمائة من فرسان الهيكل في اتجاه الغرب ليبحث عن مكان آمن لفرسان الهيكل وكنزهم الذي أتوا به من تحت أنقاض هيكل سليمان.

وغادر الأسطول جزر أوركني في سنة ١٣٩٨م قبل رحلة كولمبس بأربعة وتسعين عاماً إلى أيسلندا Iceland وجرينلاند Greenland ليصل في الشتاء إلى ما أصبح يعرف بعد ذلك باسكتلندا الجديدة Nova Scotia في كندا.

وبعد استقراره بدأ هنري سنكلير في استكشاف البحيرات والأنهار والجزر الموجودة في المنطقة، ثم بنى قلعة صغيرة في شبه جزيرة اسكتلندا الجديدة بين النهرين الذين يعرفان الآن باسم نهر الذهب Gold River ونهر جابيرو Gaperau،

وبعد عام ونصف العام من وصوله إلى شواطئ العالم الجديد أبحر هنري سنكلير مع فرسانه وبحارته جنوباً إلى ما عرف لاحقاً باسم: نيو إنجلند أو إنجلترا الجديدة New England، شمال بوسطن.

وفى كل مكان يحل فيه هنري سنكلير كان يوطد علاقاته مع السكان المحليين ويستعين بهم، وهم الذين أطلق عليهم فيما بعد الهنود الحمر.

وبعد أن وطن هنري سنكلير أتباعه في اسكتلندا الجديدة عاد إلى اسكتلندا القديمة بعد عامين من مغادرته لها، ليموت سنة ١٤٤١م صريعاً فى إحدى معارك اسكتلندا مع انجلترا.

وفى كتابه: السيف والجريل The sward and the grail يؤكد أندرو سنكلير Andrew Sinclair، وهو أحد أحفاد هنري سنكلير، رواية مايكل برادلي متوسعاً في تفاصيل رحلة جده الأعلى البحرية التي اكتشف فيها العالم الجديد قبل كولمبس.

وذكر أندرو سنكلير في كتابه أن هنرى سنكلير والأخوين زينو استعانوا في مغامرتهم عبر الأطلنطي بالخرائط الدقيقة التي رسمها المسلمون المغاربة والأتراك الذين امتلكوا أسرار الأطلنطي ومفاتيح مساراته ووصلوا إلى العالم الجديد قبل كولمبس وقبل هنري سنكلير بعشرات السنين.

وأما عن أدلة مايكل برادلي وأندرو سنكلير على مغامرة هنري سنكلير عبر الأطلنطي واكتشافه للعالم الجديد وتوطينه لفرسان الهيكل فيه فهي متعددة ومتنوعة.

وأبرز هذه الأدلة ما يعرف برواية زينو أو مشاهدات زينو Zeno Narrative التي تسجل رحلة هنري سنكلير عبر الأطلنطي واستكشافه للسواحل الشرقية للقارة الأمريكية، وفيها خريطة زينو التي رسمها الأخوان سنة ١٣٩٨م، ويظهر فيها فارس في

زي فرسان الهيكل شاهراً سيفه في الموقع الذي توجد فيه اسكتلندا الجديدة(•).

وفي وست فورد Westford في ولاية ماستشوسيتس Massachusetts عُثر في إحدى التلال على شاهد قبر عليه صورة أحد فرسان الهيكل بزيه التقليدي.

ويقول برادلي وأندرو سنكلير إنه شاهد قبر السير جيمس جن James Gunn، أحد أبناء عمومة هنري سنكلير وأحد مرافقيه في رحلته إلى العالم الجديد، والذي توفى أثناء جولاته الاستكشافية ودفنه هنري سنكلير حيث مات.

وعند فم كل نهر من نهري اسكتلندا الجديدة توجد جزيرة صغيرة، ويطلق على الجزيرتين معًا اسم جزر أواك Oak Islands، وعند ملتقى النهرين اكتشفت في إحدى الجزيرتين أطلال غامضة يقول برادلي وأندرو سنكلير إنها أطلال القلعة التي بناها هنري سنكلير.

أما أغرب الأدلة على مغامرة هنري سنكلير الاستكشافية وأكثرها إثارة وشهرة فهو ما يعرف باسم: حفرة المال Money Pit.

ففي إحدى الجزيرتين عثر على عمود أسطواني مجوف غائر في الأرض ويبلغ عمقه بضع مئات من الأقدام تحت سطح الأرض وله قنوات جانبية، وعثر قريباً منه على صخرة منقوش عليها العبارة التالية:

على عمق أربعين قدماً يرقد مليونا جنيه!

Forty feet below two million pounds are buried

وقد حاول كثير من المغامرين، بل وشركات التنقيب استكشاف قبر المال هذا وفشلوا، فلم يفلح أحد في الوصول إلى قاعه.

وعند اكتشافها كان يعتقد أن حفرة المال هي إحدى مخابئ القراصنة التي وضعوا فيها ما كانوا ينهبونه من كنوز وثروات، إلا أن برادلي وأندرو سنكلير صاغا نظريتهما وجزء منها أن هذا العمود الاسطواني المدفون في بطن الأرض هو المخبأ الآمن الذي حفظ فيه هنري سنكلير الجريل وكنز فرسان الهيكل(•).

فهنري سنكلير قام بهذه المغامرة عبر الأطلنطي واستكشف جزراً وأرضاً لم تعرفها

(•) انظر خريطة الأخوين زينو في ملحق الصور.

(•) انظر حفرة المال في ملحق الصور.

أوروبا من قبل ونقل الجريل من العالم القديم إلى العالم الجديد لأن غايته من هذه المغامرة كلها، كما يقول برادلي وأندرو سنكلير، كانت البحث عن مكان بكر لإقامة أورشليم جديدة بعد أن استحال الوصول إلى أورشليم القديمة في الأرض المقدسة مع سيطرة المماليك والعثمانيين المطلقة على البحر المتوسط.

وهو نفسه هدف كرستوفر كولمبس الذي أبحر من أجله في المحيط الأطلنطي بسفنه الثلاث التي يرفرف عليها صليب فرسان الهيكل الأحمر بعد هنري سنكلير بتسعين سنة ونيف!

وكتابا برادلي وأندرو سنكلير، هما معاً، الفرضية الثانية لتفسير كيفية انتقال الماسونية إلى العالم الجديد وانتشارها فيه وسيطرتها فيما بعد على نخبه وقادته وتأسيس الولايات المتحدة بأفكارها وكفاح محافلها.

فقد كان مؤسسو الولايات المتحدة الأمريكية وقادتها ومن صاغوا وثيقة استقلالها ودستورها خليطاً من الماسون من الطقس الاسكتلندي وأعضاء حركة الروزيكروشين.

وجورج واشنطن، أول رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية ماسوني من درجة العقد الملكي في الطقس الاسكتلندي، وتنصيبه رئيساً للولايات المتحدة تم في احتفال ماسوني وبطقوس ماسونية.

وهذه الفرضية تعرف بفرضية الجذر البعيد.

أما الفرضية الأولى في تفسير الطريقة التي أقيمت بها مملكة الماسون في الولايات المتحدة الأمريكية أو ما يعرف بفرضية الجذر القريب فهي ما يسمى بنظرية بيكون Baconian Theory.

وطبقاً لهذه الفرضية فإن تكوين الولايات المتحدة كان أحد آثار حركة الروزيكروشين في إنجلترا، فالبواكير الأولى للماسونية في العالم الجديد كانت ثمرة كفاح فرنسيس بيكون الأستاذ الأعظم للروزيكروشين في إنجلترا والرجل الذي ازدهرت في عهده الحركة وتفشت أفكارها وطقوسها في طبقات المجتمع الإنجليزي العليا وصفوته العلمية والثقافية، ثم انتقلت الحركة ونشاطها وأفكارها في عهده على يد أتباعه، ثم في عهد خلفائه إلى العالم الجديد ليكون مولد الولايات المتحدة أحد آثارها.

فأصول الولايات المتحدة الأمريكية وتكوينها واستقلالها ودستورها وأفكارها

ومسارها شرفٌ يتنازعه الماسون من آل سنكلير وإخوانهم الروزيكروشين من آل بيكون!

بافوميت ولوسيفر

بافوميت، وثن فرسان الهيكل أو الرأس الحجري الذي كانوا يعبدونه هو أحد دلائل استمرار فرسان الهيكل في الماسونية وأحد مظاهره، فقد صار بافوميت في الماسونية إلهاً تؤدى عنده طقوس التوقير والتبجيل بعد تحوير شكله وإحاطته بالرموز والمعاني الماسونية.

وهو سر كشفه لأول مرة إليفاس ليفي Eliphas Levi، وهو ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين في الطقس الاسكتلندي، في كتابه: عقائد السحر الأعلى وطقوسه Dogmas and rituals of high magic الذي صدر سنة ١٨٥٤م.

في كتابه ذكر ليفي أن الماسون يعبدون بافوميت لا كوثن، بل كتصوير للمطلق في صورة رمزية، وقدم ليفي في كتابه صورة رسمها بنفسه تصور محفلاً يؤدي فيه الماسون طقوس التبجيل والتعبد عند بافوميت(•).

وبافوميت في الصورة، وكما وصفه ليفي، قد تحور ليصير مسخاً له رأس عنز وثديان أنثويان وقرنان وعلى جبهته نجمة خماسية، وبين قرنيه لهب مضيء هو، كما فسره ليفي، ضوء سحري يرمز لاتزان الكون.

ولم يذكر ليفي في كتابه كنه بافوميت الذي وصفه ولا صفته.

وأما سيد الماسونية الأعظم في القرن التاسع عشر، ألبرت بايك، فقد كان يضع حول عنقه قلادة على شكل بافوميت كما وصفه ليفي، وكل صور بايك في سنواته الأخيرة يظهر فيها وقلادة بافوميت على صدره.

وقد حول بايك بافوميت وعبادته إلى نظرية عقائدية متكاملة وأقام لها طقوساً وشعائر وأسس لها طقساً ماسونياً مستقلاً.

ذكر بايك في كتابه: عقيدة الماسونية الاسكتلندية وآدابها Morals and Dogma، وهو يدافع عن فرسان الهيكل ويفسر حقيقة عقائدهم وطقوسهم، أنه لا يمكن لأحد أن يتصور أن يعبد أناس عاقلون وعلى درجة من الذكاء والمهارة مثل التي كان عليها فرسان الهيكل وثناً حجرياً كبافوميت.

بافوميت، كما فسره بايك، لم يكن إلا:

(•) انظر بافوميت كما رسمه ليفي في ملحق الصور.

"رمزاً لإخفاء مالا يمكن التصريح به، والمشكلة هي أن رموز الحكمة والمعرفة السامية التي يعرف حقيقتها وما ترمز إليه ذوي الفطنة والنباهة من البشر تفقد معناها عند الرعاع والجهال وتتحول مع الوقت إلى أوثان معبودة".

بافوميت، عند ألبرت بايك، هو الشيطان، لكنه ليس الشيطان رمز الشر والإثم Satan، بل شيطان آخر هو لوسيفر Lucifer، رمز الخير والنور.

وفي سنة ١٨٦٠م أسس بايك، بعد أن أعاد تكوين الماسونية من الطقس الاسكتلندي وصياغتها، طقساً أو مذهباً جديداً أسماه طقس لوسيفر Lucifer Rite، وقصر عضويته على نخبة مختارة من الماسون من حائزي الدرجة الثانية والثلاثين والدرجة الثالثة والثلاثين في الطقس الاسكتلندي في المجلس السامي للماسونية Supreme Council الذي يرأسه في محفل شارلستون Charleston في الولايات المتحدة الأمريكية.

وطقس لوسيفر أسسه ألبرت بايك من أجل رأب الصدع والتقريب بين الماسونية الفرنسية والإيطالية الملحدة التي تؤمن بالإنسان فقط وتنكر الوجود الإلهي وتطرد من يؤمن به من محافلها وبين الماسونية الأنجلوسكسونية التي تشترط في عضويتها الإقرار بالألوهية والإيمان بموجود أعلى من البشر وإن لم تشترط له صفة ولا وصفاً.

وفي ١٤ يوليو سنة ١٨٨٩م أرسل بايك رسالة قُرأت في الاجتماع الثالث والعشرين للمجلس السامي للمحافل الماسونية العظمى Grand Lodges المنعقد في الشرق الأعظم الفرنسي French Grand Orient، ضمنها تنظيره لعقيدة لوسيفر ووجوب قصر معرفتها وفهمها على الماسون من الدرجات العليا مع حجبها تماماً عن عوام الماسون وعن عموم البشر.

ولوسيفر اسم توراتي جاء مرة واحدة في التوراة في الإصحاح الرابع عشر من سفر إشعياء لوصف ملك بابل الذى سبى بني إسرائيل وقتل أبناءهم.

ونص العبارة التي جاءت فيها كلمة لوسيفر في سفر إشعياء هو:

"ويكون في يوم يريحك الرب من تعبك ومن إنزعاجك ومن العبودية القاسية أنك تنطق بهذا الهجو على ملك بابل: .. كيف سقطت من السماء يازهرة بنت الصبح" (إشعياء ١٤: ١٢).

وموضع اسم لوسيفر في هذه الترجمة العربية الرسمية هو مكان كلمة: زهرة.

ونص العبارة في طبعة الملك جيمس للكتاب المقدس هو:

"How art thou fallen from heaven, O' Lucifer, son of the morning"

ولوسيفر التي جاءت فى هذا الموضع الوحيد من الكتاب المقدس كلمة لاتينية، فلوسيفر في الأصل هو الاسم الذي كان يطلقه المنجمون الرومان على نجم الصباح، وقد تغير اسمه بعد ذلك إلى فينوس Venus، ونجم الصباح هو الكوكب الذي يبدو في السماء قبل الفجر مبشراً بشروق الشمس.

ولوسيفر في اللاتينية تعنى جلاب الضوء أو حامل الضياء.

ويرجح أن أول دخول لوسيفر إلى سفر إشعياء كان في ترجمة الكتاب المقدس من العبرية إلى اللاتينية التي قام بها القديس جيروم St. Jerome في القرن الرابع الميلادي، وفي هذة الترجمة وضع القديس جيروم كلمة: لوسيفر محل كلمة: هيلال Helal في النص العبرى التي تعنى نجم الصباح.

ثم انتقلت كلمة لوسيفر إلى كل ترجمات الكتاب المقدس وطبعاته، لأن ترجمة القديس جيروم كانت هي الأصل الذي ترجم عنه الفريق الذي كونه الملك جيمس الأول الكتاب المقدس إلى الإنجليزية.

وطبعة الملك جيمس هي الطبعة الإنجليزية الأم وأصل كل ما تلاها من طبعات وترجمات.

في سفر إشعياء وترجماته إذاً جاء اسم لوسيفر وصفاً لحاكم بابل الذي سبى بني إسرائيل وأذلهم فأسقطه الإله من السماء إلى الهاوية.

وفي التراث المسيحي أن لوسيفر هو وصف من أوصاف الشيطان Satan أو اسم آخر له، وووروده في سفر إشعياء كان تشبيهاً لملك بابل الذي أغضب الرب بالشيطان، فلوسيفر في المسيحية هو الشيطان ولا فرق بينهما.

أما عقيدة بايك الماسونية في لوسيفر التي أنشأ لها طقساً مستقلاً كونه من حائزي الدرجات العليا من الماسون من الطقس الاسكتلندي من أجل رأب الصدع بين فروع الماسونية فقد كشفها ليو تاكسيل Leo Taxil في كتابه: أسرار الماسونية Les mysteres de la Franc–maconnerie de voiles الذي أصدره وعلى غلافه صورة بافوميت كما رسمه إليفاس ليفي في كتابه.

وليو تاكسيل اسمه الحقيقي جابرييل أنطوان جيوجاند باجي Gabriel Giogand Pages، وهو فرنسي من أسرة كاثوليكية ألحد وانضم إلى محفل أصدقاء الشرق الفرنسي في باريس، ووصل في الطقس الاسكتلندى إلى الدرجة الثالثة والثلاثين، ثم تمرد على الماسونية وفصله المحفل فانتقم منه بفضح أسراره وأسرار الماسونية.

وعقيدة بايك كما جاءت في رسالته التي أرسلها إلى المجلس السامي للمحافل الماسونية العظمى، والتي نشر نصها ليوتاكسيل، هي أن:

"الماسون يؤمنون بالإله، لكنه الإله الذي يمكن للمرء أن يعبده دون خرافات وخزعبلات Superstition، فلا يمكن لعاقل أن يعبد إله المسيحيين God of Christians بقساوته Cruelty، وغدره Perfidy، وبغضه للإنسان Hatred of man، وبربريته Barbarism، وكراهيته للعلم Repulsion for science".

عند النابهين وذوي الدرجات العليا من الماسون الإله هو أدوناي Adonay، وأدوناى هو اسم الإله في سفر التكوين التوراتي.

لكن، كما يقول بايك في تنظيره لعقيدة لوسيفر:

"القانون الخالد والدائم أنه لا ضوء بلا ظلال، ولا جمال إذا لم يكن ثَمة قبح، ولا أبيض إلا مع أسود، وكذلك لا اتزان للكون إلا بقوتين، والقوتان موجودتان في الطبيعة وفي الفلسفة وفي الدين، وإن الإدراك العلمي لازدواجية الإله يتجلى في ظاهرة القطبية Polarity، وظاهرة التجاذب والتنافر Sympatly and Antipathy التي تستغرق الكون كله.إن العقيدة الحقة والحكمة الخالصة هي في الإيمان بلوسيفر، إله النور والخير، وكفء أدوناي، إله الظلام والشر، وأنهما في تقابل دائم وصراع خالد، ولا يجب أن يرد على الخاطر أن أحدهما أدنى من الأخر أو أقل قوة منه".

لوسيفر، كما يقول بايك:

"لم يخطئ ولم يهو أبداً، فهذه ليست سوى فبركة مسيحية Fabrication of Christians، لوسيفر هو نور العالم الذى يحب الإنسان ودله على المعرفة، وهو مساوٍ في القوة والفعل لأدوناي، إله الشر الذى يكره الإنسان، لذا حرمه من المعرفة وطرد لوسيفر من الجنة لأنه دله عليها".

وأحد أوائل المؤمنين بعقيدة بايك في لوسيفر والداخلين في طقسه صديقه الحميم

الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين والأستاذ الأعظم للشرق الأعظم الإيطالي ومؤسس المافيا سنة ١٨٦٠م، الثائر والزعيم الإيطالي جوتسيب ماتزيني Giuseppe Mazzini.

تقول مؤرخة الحركات السرية إديث ميللر Edith Miller الشهيرة باسم السيدة كوين بورو Lady Queen Borough في كتابها: حكم العقائد الخفية Occult Thesocracy إن بايك أرسل رسالة عن عقيدته في لوسيفر وقواعد طقسه ورموزه إلى صديقه ماتزيني وعرض عليه أمله في توحيد الماسونية الكونية في عقيدة لوسيفر وتوحيد درجاتها العليا في طقسه.

وعندما وصلت رسالة بايك إلى ماتزيني تحمس لعقيدة لوسيفر ولفكرة توحيد الماسونية في طقسه حماساً شديداً ترجمه في مقالاته التي كان ينشرها في صحيفة La Roma Del Popolo.

وفي رسالة أرسلها ماتزيني إلى بايك سنة ١٨٧٠م(•) تجاوز ماتزيني آمال بايك بطموحه إلى توحيد الجمعيات السرية في العالم جميعها، ماسونية وغير ماسونية، تحت لواء عقيدة لوسيفر من خلال الماسون حائزي الدرجة الثالثة والثلاثين.

فالماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، كما يقول ماتزيني:

"مرحب به في أي بلد، ومبجل في الماسونية أياً كان طقسها ومذهبها، ووجوده موقر وإرشاده متبع في أي جمعية سرية، ماسونية أو غير ماسونية".

وتمكن بايك وماتزيني بكفاحهما وبقدرهما الرفيع في الماسونية وتبجيلهما في محافلها في كل البلاد وفي طقوسها من مختلف الأنواع، تمكنا فعلاً من توحيد الماسون من الدرجات العليا في العالم كله في عقيدة لوسيفر، وأقاموا لها تنظيماً كونياً له أربعة مراكز قيادة سامية.

الأول في محفل شارلستون Charleston في ولاية كارولينا الجنوبية South Carolina في الولايات المتحدة الأمريكية، وأستاذه الأعظم ألبرت بايك مع تنصيبه حبراً أعظم للماسونية الكونية Grand Pontif، وهو لقب لم يحظ به أحد قبله.

ومحفل القيادة الثاني لطقس لوسيفر في روما، وأستاذه الأعظم ماتزيني.

(•) تقول إديث ميللر إن المعلومات عن أي منظمة سرية وطريقة تكوينها ومن كونوها وآثارها لا تكون معروفة في حينها، بل تستغرق في المتوسط من ٣٠-٥٠ سنة حتى يتم تسريبها واكتشافها وتظهر إلى العلن.

والمحفل الثالث في برلين، وأستاذه الأعظم الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين الزعيم الألماني وموحد ألمانيا ومستشارها أوتو فون بسمارك Otto Von Bismark.

والمحفل الرابع في لندن، وأستاذه الأعظم الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين وزير خارجية بريطانيا اللورد جورج بالمرستون George Palmerston.

ومحافل القيادة الكونية الأربعة لطقس لوسيفر يطلق عليها معاً اسم المجمع الأول Propaganda 1 أو P1.

ولوسيفر هو طقس الماسون من صفوة المجتمع ونخبة الولايات المتحدة الأمريكية المهيمنة عليها، وعبادته هي عقيدة النادى البوهيمي وأعضاء الغابة الوهيمية بعد أن صار له عائلة.

أما النادى البوهيمي Bohemian Club فقد تم تأسيسه سنة ١٨٧٢م في سان فرانسيسكو San Francisco ليكون ملتقى للكتاب والصحفيين والإعلاميين، ثم اتسعت عضويته لتشمل الفنانين ورجال الصناعة والتجارة وأقطاب المال والبنوك وكبار الساسة ورجال السلطة، وقد كان من بين أعضائه بعض رؤساء الولايات المتحدة.

والانضمام للنادي البوهيمي لا يكون إلا بقبول أعضائه القدامى، وبالتصويت على العضوية، وتوجد قائمة انتظار لطلبات العضوية يصل بعضها إلى عشرين عاماً.

وقبول العضو يقترن بتبرعه للنادي بخمسة وعشرين ألف دولار غير الاشتراك السنوي الباهظ.

ويبلغ عدد أعضاء النادي البوهيمي ألفين وخمسمائة عضو، هم صفوة الصفوة ونخبة المجتمع في الولايات المتحدة الأمريكية.

وأما الغابة البوهيمة Bohemian Grove، فهى غابة عمرها حوالي ألفي عام، وتقع على مساحة ٢٤٣٧ فداناً من الأشجار الحمراء الملتفة التي لم تمتد لها يد بالتهذيب ولا التقليم عبر عهدها الطويل، ويوجد بين هذه الأشجار ممرات وطرق وساحات خضراء واسعة، وأقيم في وسطها بحيرة صناعية.

وتقع الغابة البوهيمية على بعد ثلاثة أميال من مونت ريو Mont Rio شمال ولاية كاليفورنيا California.

ومنذ سنة ١٨٩٩م وأعضاء النادي البوهيمي يلتقون في شهر يوليو من كل عام في تجمع

احتفالي في الغابة البوهيمية يستمر لمدة أسبوعين.

وهذا التجمع الاحتفالي في الغابة البوهيمية سري ولا يسمح بحضوره إلا لأعضاء النادي وضيوفهم من كبار الساسة وأقطاب المال ورؤوس المؤسسات الصناعية والإعلامية والفنانين في الولايات المتحدة ومن خارجها.

وحضور التجمع الاحتفالي في الغابة البوهيمية يقتصر على الرجال فقط، ولا تحضره النساء إلا من تستثنى، ولا يستثنى من النساء لحضوره سوى البغايا وبعض النساء من ذوي النفوذ والبريق، وأشهر من سمح لها بشهود تجمع الغابة البوهيمية في السنوات الخيرة باريس هيلتون Paris Hilton وريثة سلاسل فنادق هيلتون المشهورة بنزقها وعشقها للأضواء ومغامراتها الجنسية.

ويبلغ العدد الكلي لحضور التجمع الاحتفالي السنوى من ٢٥٠٠ - ٣٠٠٠ شخص، يقيمون إقامة كاملة في الغابة البوهيمية خلال الأسبوعين داخل معسكرات، ولكل معسكر اسم، وكل معسكر مخصص لطائفة أو فئة من الحضور، فمثلاً معسكر ماندلاي Mandalay مخصص لكبار رجال الصناعة والتجارة، ومعسكر إنسان الكهف Cave Man هو معسكر الكتاب والمفكرين والإعلاميين وأساتذة الجامعات، ومعسكر المندسين Stwa Way لأسرة روكفلر Rockfeller ورؤساء شركات البترول وأقطاب البنوك، ومعسكر عش البومة Owl Nest للساسة وكبار قادة الجيش ورؤساء الولايات المتحدة ،ومن أعضاء التجمع الاحتفالي في الغابة البوهيمية وحضورة فى هذا الزمن الرئيس الأسبق بيل كلنتون والرئيس السابق جورج بوش الابن ووزير الخارجية السابق كولن بأول ووزير الخارجية الأسبق هنري كيسنجر، وهم جميعاً من الماسون.

ونشاط التجمع الاحتفالي في الغابة البوهيمية يشمل الأحاديث وإلقاء الخطب وشهود عروض مسرحية واحتفالية على مسرح مقام بين الأشجار العملاقة.

والطقس الرئيسي في الغابة البوهيمية يطلق عليه اسم طقس حرق الهموم Cremation of care، وله موعد محدد هو السبت الأول من شهر يوليو.

وها هنا بيت القصيد.

في سنة ٢٠٠٠م تمكن ألكس جونز Alex Jhones، وهو صحفي وصاحب محطة راديو وتلفزيون وعدة مواقع على الإنترنت، من اختراق التجمع البوهيمي في غابته وتمكن من تصوير طقسه الرئيسي بالفيديو.

والطقس السري كما صورة ألكس جونز وكما وصفه هو مسرحية تمثيلية تبدأ بإبحار قارب صغير عبر البحيرة الصناعية ليرسو عند شاطئها حيث يوجد نقش محفور في أحد الأشجار العملاقة يصور القديس يوحنا يضع إصبعه السبابة على شفتيه إشارة إلى سرية ما يدور وعدم جواز إفشائه.

وفي القارب تمثال اسمه تمثال الهموم Effigy of care يتلقاه الواقفون بملابسهم الاحتفالية، وينقلونه إلى المسرح المقام على شاطئ البحيرة، ثم يضعون التمثال ويشعلون فيه النار عند قدمي تمثال حجري هائل ارتفاعه خمسة وأربعون قدماً أو أربعة عشر متراً لبومة عملاقة، هى البومة ليليث.

وليليث Lilith في سفر زوهار في التلمود وفي القبالاه هي زوجة لآدم سابقة على حواء، خلقها الإله خلقاً مباشراً من التراب كآدم وليس من ضلعه كحواء، ثم أمرها بطاعة آدم فأبت وفرت إلى ساحل البحر الأحمر فمسخها الإله إلى بومة.

وأقدم مصدر معروف لقصة ليليث، والذي انتقلت منه إلى التلمود والقبالاه هو ألفبائية بن زعيرا The Alphbet of Ben Sira، وهي مجموعة أقاصيص كتبها الربي بن زعيرا في القرن الثامن عن أبطال التوراة.

ومن الطريف أن الترجمات الرسمية المختلفة للكتاب المقدس توافق، دون وعي ولا قصد من مترجميها، بل لعله عن وعي وقصد، حكاية بن زعيرا، وتتفق ضمناً مع رواية التلمود والقبالاه، بتوحيدها بين ليليث والبومة واستخدامها كمترادفين.

فقد جاءت كلمة ليليث في موضع واحد من التوراة العبرية، في الفقرة الرابعة عشرة من الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر إشعياء دون تحديد لمعناها أو المقصود بها.

ومن التوراة العبرية دخلت ليليث، كما هى، إلى بعض الطبعات البروتستانتية الحديثة من الكتاب المقدس، وأشهرها: الطبعة الأمريكية الحديثة New American Bible الصادرة سنة ١٩٧٠م.

والإصحاح الرابع والثلاثون من سفر إشعياء هو كله نبوءاته بخراب أدوم ونقمة الرب عليها انتقاماً لشعبه إسرائيل عند إعادته إلى أرضه التي أخرجه منها:

"لأنه قد روي في السموات سيفي. هو ذا على أدوم ينزل وعلى شعبه حرمته للدينونة" (إشعياء ٣٤: ٥٠).

والفقرتان الثالثة عشرة والرابعة عشرة هما وصف لما حل بأدوم من خراب:

"ويطلع في قصورها الشوك. القريص والعوسج في حصونها فتكون مسكناً للذئاب وداراً لبنات النعام. وتلاقي وحوش القفر بنات آوى، ومعز الوحش يدعو صاحبه. هناك يستقر الليل ويجد لنفسه محلاً" (إشعياء ٣٤: ١٣-١٤).

وكما ترى، آخر عبارة في الفقرة الرابعة عشرة لغو لا معنى له، لأن الليل يستقر ويجد له محلاً في أي مكان، خراباً كان أو عامراً.

وقد اضطر مترجم العبارة إلى العربية إلى هذا اللغو لكي يتحاشى ليليث، إذ ليليث في التوراة العبرية هي موضع كلمة: "الليل " في الترجمة العربية الرسمية.

فالنص في العبرية ترجمته الحرفية هي:

"هناك تستقر ليليث وتجد لها محلاً".

أما الطبعة الإنجليزية الأم، وهي طبعة الملك جيمس التي أشرف على تحريرها فرنسيس بيكون، وكذا كل ما اقتفى أثرها من طبعات، فقد مسخت ليليث إلى البومة الصارخة Screech Owl، بالضبط كما مسخها الإله في التلمود والقبالاه.

وهذا هو نص العبارة في طبعة الملك جيمس للكتاب المقدس:

The screech owl also shall rest there, and find for herself aplace of rest.

والبومة ليليث، زوجة آدم التي خلقت في استقلال عنه وأبت أن تطيعه صارت رمزاً في الحركات النسائية وجمعيات تحرير المرأة لاستقلال المرأة عن الرجل ومساواتها به وتحررها من سيطرته، وهي في الحركات السرية رمز الحرية والتمرد على الأديان وتعاليمها ورجالها.

ولأن ليليث تمردت على الإله وخرجت على طاعته فطردها فقد أحبها المتمرد والمطرود الأول، لوسيفر، وتزوجها، وكانت ثمرة هذا الزواج ابنها بافوميت!

خلفاء فرسان الهيكل

توجد في أوروبا والقارة الأمريكية اليوم عشرات المنظمات السرية والحركات الخفية، ماسونية وغير ماسونية، تقول إنها وريثة فرسان الهيكل، وأن جذورها تتصل بالتنظيمات والحركات التى تكونت من انشطار فرسان الهيكل، أو أنها هي نفسها منظمة فرسان الهيكل.

وكلها تضع في اسمها الهيكل أو فرسانه أو اسم أحد أساتذة منظمة فرسان الهيكل العظام وتحاكي في تنظيمها ودرجاتها ورموزها وطقوسها فرسان الهيكل.

ومن أمثلة هذه المنظمات والحركات والجمعيات تنظيم دي مولاي Order of de Molay، وهي منظمة ماسونية للشباب في الولايات المتحدة، والرئيس الأمريكي بيل كلنتون كان في شبابه من أعضائها وتخرج منها، ومنظمة فرسان الهيكل الاسكتلندية Militi Templi Scotia، وهي أيضاً ماسونية، وعصبة فرسان الهيكل الاسكتلندية The Confederatian of Scotish Knight Templars، ومنظمة هيكل الشمس Order of the Solar Temple، ومنظمة ديرصهيون Priure de Sion.

وإحدى أشهر المنظمات المنفردة والمستقلة عن مذاهب الماسونية وطقوسها الكبرى وأقدمها التنظيم العسكري السامي لهيكل أورشليم، واسمها الرسمي هو:

Ordo Supremus Militaris Templi Hierosolymitani

واسمها المختصر الذي اشتهرت وتعرف به هو: فرسان الهيكل Knight Tempars، وهي منظمة أسسها سنة ١٨٠٤م الماسوني الفرنسي فابري بالابرا Fabre Palaprat.

وفي سنة ١٨٠٨م حظيت المنظمة برعاية نابليون بونابرت وتنصيبه أباً روحياً لها.

ونابليون بونابرت ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وهي أعلى درجة في الطقس الاسكتلندي.

ومن بعده حظيت المنظمة برعاية الإمبراطور نابليون الثالث، وهو أيضاً ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين.

ومنذ سنة ١٨٩١م والتنظيم العسكري السامي لهيكل أورشليم عضو في تحالف السلام الدولي International Piece Bureau الذي أسسه اليهودي ألفريد نوبل

Alfred Nobel.

وفي سنة ٢٠٠١م اعترفت بها الأمم المتحدة كمنظمة غير حكومية عاملة من أجل السلام مع وضعها في قائمة الجمعيات المدنية التي تحظى باستشارة منظمة الأمم المتحدة لها في الأزمات وتفويضها في مهام السلام وفض النزاعات.

وللمنظمة فروع في كل دول أوروبا وفي الولايات المتحدة وكندا والمكسيك وبعض دول أمريكا الجنوبية.

وتقول المنظمة عن نفسها إنها تهدف إلى الحفاظ على الأراضي المقدسة في أورشليم وحولها، وإجراء البحوث الأثرية، أيضاً في الأرض المقدسة، ودعم السلام، وتشجيع الأعمال الخيرية والمهام الدبلوماسية، وفض النزاعات والحروب، وهي تقريباً الأهداف نفسها التي كان يتخذها فرسان الهيكل ستاراً لهم.

ومن خلف هذا الستار وتحت غطاء الشرعية الدولية من الأمم المتحدة ترسل المنظمة وفودها ولجانها ومبعوثيها إلى أماكن النزاعات والحروب مثل فلسطين والعراق والصومال والسودان، وكلها بالمصادفة دول عربية!

وفي الدراسات الصادرة عن المنظمة وتحمل اسمها وشعارها يقول التنظيم العسكري السامي لهيكل أورشليم إنه هو نفسه فرسان الهيكل.

فطبقاً لدراسات المنظمة ووثائقها فإن فرسان الهيكل لم تمت بحلها واعتقال أستاذها الأعظم وإحراقه وملاحقة فرسانها، بل ظلت حية في ألمانيا عبر السنين والقرون.

فقد عهد جاك دي مولاي برئاسة فرسان الهيكل وقيادتها إلى يوهانس لارمينيوس Johunnes Larmenius، وظل الأساتذة العظام يتعاقبون على قيادة المنظمة دون انقطاع.

وكان ما فعله فابري بالابرا هو إخراجها من الظلام إلى النور ومن السر إلى العلن بعد سقوط الملكية وتدهور سلطة البابوية بالثورة الفرنسية.

وتضع المنظمة في وثائقها قائمة بأساتذة المنظمة العظام عبر التاريخ تبدأ بمؤسس فرسان الهيكل وأول أساتذتها العظام هوج دى بايان ولا تنتهي بجاك دي مولاي، بل يتصل فيها الأساتذة العظام حتى منتصف القرن العشرين.

وهذه هي قائمة المنظمة لأساتذتها العظام من بعد جاك دي مولاي ومتصلة به:

٢٢	جاك دي مولاي	Jacque de Molay	١٢٩٥م- ١٣١٤م
٢٣	يوهانس لارمينيوس	Johannes Larmenius	١٣١٤م-١٣٢٤م
٢٤	فرانسيسكس ثيوبالدس	Franciscus Theobaldus	١٣٢٤م-١٣٤٠م
٢٥	أرنالد دي براك	Arnald de Braque	١٣٤٠م-١٣٤٩م
٢٦	جون دي كليرمون	Jhon de Clermont	١٣٤٩م-١٣٥٧م
٢٧	برتراند دي جيسلان	Bertrand de Guesclin	١٣٥٧م-١٣٨٠م
٢٨	جون دي لارماناك	Jhone de l'Armagnac	١٣٨٠م-١٣٨١م
٢٩	برتراند دي لارماناك	Bertrand de l'Armagnac	١٣٨١م-١٣٩٢م
٣٠	جون دي لارماناك	Jhone de l'Armagnac	١٣٩٢م-١٤١٨م
٣١	جون دي كروي	Jhone de Croy	١٤١٨م-١٤٥١م
٣٢	روبرت دي لينونكورد	Robert de Lenoncourd	١٤٧٨م-١٤٩٧م
٣٣	جالياس سالازار	Galeas Salazar	١٤٩٨م-١٥١٦م
٣٤	فيليب دي شابو	Philipe de Chabot	١٥١٦م-١٥٤٣م
٣٥	جاسبار دي شوبان	Gaspard de chobane	١٥٤٤م
٣٦	هنري، دوق مونتمورينسي	Henri,Duke de Montmorency	١٥٧٤م-١٦١٤م
٣٧	شارل دي فالوا	Charles de Valois	١٦١٥م
٣٨	جيمس دي جرانسي	James de Grancy	١٦٥١م
٣٩	جاك دي دورفور	Jucques de Durfort	١٦٨١م
٤٠	فيليب دوق أورليان	Plilipe, Duke de Orleans	١٧٠٥م- ١٧٢٣م
٤١	لويس أوجست دي بوربون	Louis August de Bourbon	١٧٢٤م- ١٧٣٧م
٤٢	لويس هنري دي بوربون	Louis Henri de Bourbon	١٧٣٧م- ١٧٤١م

٤٣	لويس فرانسوا دي بوربون	Louis Francois de Bourbon	١٧٤١م-١٧٤٦م
٤٤	لويس تيموليون	Louis Timoleon	١٧٧٦م-١٧٩٢م
٤٥	كلود دي شيفيلون	Claude de Chevillon	١٨٠٤م
٤٦	برنار فابري بالابرا	Bernard Fabri Palprat	١٨٠٤م-١٨٣٩م
٤٧	السير وليم سميث	Sir William Smith	١٨٣٩م-١٨٤٠م
٤٨	نارسيس فاليري	Narcisse Valleray	١٨٥٠م
٤٩	إيه. جي. إم. فيرنوا	A.G.M.Vernois	١٨٦٦م
٥٠	جوزيفين بيلادان	Josephin Peladin	١٨٩٢م
٥١	تأسيس السكرتارية الدولية للمنظمة في بلجيكا	International Secretary	١٨٩٤م
٥٢	جوزيف فاندنبرج	Joseph vandenberg	١٩٣٤م
٥٣	تيودور كوفياس	Theodor Covius	١٩٣٥م
٥٤	إيميل فاندنبرج	Emile Vandenberg	١٩٣٥م

وأما أبرز وجوه الشبه بين التنظيم العسكري السامي لهيكل أورشليم وبين فرسان الهيكل وما يثبت حقاً أنها، كغيرها من المنظمات والجمعيات السرية العلنية، إحدى بناتها فهو أن باطنها يخالف ظاهرها، وغلافها لا علاقة له بما فيه.

فالمنظمة تقول في التعريف بنفسها إنها تسعى إلى السلام وفض النزاعات واسمها عسكري، وتدعي أنها مسيحية وعنوانها يهودي، وتزعم أنها تؤمن بالخلاص المسيحي وفي موقعها على الإنترنت دراسة هي من أطول الدراسات على الشبكة الدولية عن منظمة دير صهيون وأسرار رينيه لوشاتو.

وفي هذه الدراسة التي تحمل اسم المنظمة وشعارها الرسمي دون مؤلف تنسب إليه يقدم التنظيم العسكري السامي لهيكل أورشليم تاريخ العالم وتاريخ منظمة دير صهيون الذي في وثائقها التي وضعها بيير بلانتار على أنه حقائق تاريخية دون إشارة إلى أن هذه رواية خاصة لتاريخ العالم لا وجود لها إلا في الوثائق، ودون أن تذكر تأسيس بلانتار لدير

صهيون وتسجيله لها سنة ١٩٥٦م.

والعنوان الفرعي للمنظمة الملحق باسمها الرسمي بصفة دائمة في سطر تحته هو:

سيدتنا، القديسة مريم المجدلية

Notre Dame Saint Mary of Magdalene

فالتنظيم العسكري السامي لهيكل أورشليم يرفع راية الخلاص المسيحي واسمه يهدم المسيحية ويقوض أركان الكنيسة الكاثوليكية!

منظمة دير صهيون

ولد بيير بلانتار لأب بقال وأم طباخة في باريس سنة ١٩٢٠م وفرنسا كلها تموج بالجمعيات السرية والمنظمات الماسونية والحركات الثورية من كل صنف واتجاه ولون.

وفي السابعة عشرة من عمره سنة ١٩٣٧م انضم بلانتار إلى جمعية الاتحاد الفرنسي French Union، والتي كان هدفها المعلن تجديد فرنسا وتنقيتها من الغرباء وإعادة تقاليد الفروسية إليها.

وكان نشاط الجمعية ومنشوراتها توحي بأنها معادية للسامية وتقف على طرف نقيض من المنظمات الماسونية.

وفي سنة ١٩٣٩م صار بلانتار رئيساً لتجمع الشباب الكاثوليكي الذي تدعمه وتموله أبرشية سان لويس Saint Louis d'Antin، ومع الوقت صار بلانتار سادن الكنيسة Sexton.

وفي السنة نفسها اختاره أعضاء جمعية ألفا جالاتس Alpha Galates السرية ليكون رئيساً لها، وليشارك في تحرير المجلة السرية التي تصدرها، وهي مجلة: قهر Vaincre.

وكانت المادة المنشورة في دورية قهر، التي لم يصدر منها سوى ستة أعداد ثم توقفت، تتسم بمعاداه السامية والاهتمام بتراث شعوب غرب أوروبا وتقاليد الفروسية في القرون الوسطى.

وفي السادس عشر من ديسمبر سنة ١٩٤٠م أرسل بلانتار رسالة إلى المارشال بيتان Marshal Petain رئيس حكومة فيشيVichy المتعاونة مع الاحتلال النازي إبان الحرب العالمة الثانية يحذره فيها من مؤامرة يهودية ماسونية فظيعة ضد فرنسا، ويحثه على العمل بسرعة لمواجهة هذ الخطر اليهودي الماسوني، ويعرض عليه التطوع مع مائة من أعضاء منظمة ألفا جالاتس ليشاركوا في هذه المهمة الجليلة.

وفي سنة ١٩٤٧م أسس بالانتار منظمة أخرى وأطلق عليها اسم: الأكاديمية اللاتينية Latin Academy، وجعل أمه رئيساً لها !

وفي تقرير للشرطة الفرنسية سنة ١٩٤١م بعد تتبع نشاطه ومنظماته المختلفة كان وصف بلانتار أنه:

"له اتصال بعدد كبير من الساسة، ويبدو من هذا الطراز من الرجال الذي يحب الظهور ويسعى جاهداً لتكوين منظمات والانضمام إلى حركات سرية ومثيرة لكي يبدو ذا خطر وأهمية في نظر الشباب، ولكي يحوز الشهرة بجذب انتباه الحكومة وسعيها خلفه ".

وفي السابع من مايو من السنة نفسها ١٩٥٦م تقدم بلانتار بطلب إلى الحكومة الفرنسية لتسجيل جمعية أو منظمة جديدة، مرفقاً بالطلب لائحتها الأساسية طبقًا لقانون تنظيم الجمعيات الفرنسي الصادر سنة ١٩٠١م، والذي ينص على أنه يشترط لإنشاء رابطة أو جمعية أو مجموعة أو منظمة أن تسجل لدى السلطات الفرنسية.

وتم تسجيل المنظمة حيث يوجد مقرها في مدينة أنيماس Annemasse جنوب شرق فرنسا قرب الحدود السويسرية.

وهذه المنظمة الجديدة التي سجلها بلانتار لدى السلطان الفرنسية هي منظمة Priure de Sion أو دير صهيون.

وSion هو النطق الفرنسي لكلمة صهيون، وهو أيضًا طريقة غير مشهورة تلفظ به الكلمة بالإنجليزية، والنطق الإنجليزى المشهور لها هو Zion.

وفي لائحة المنظمة الجديدة التي تقدم بها بلانتار ذكر أن مؤسسيها هم أندرية بونهوم Andre Bonhomme، وهو رئيس الجمعية، وبير بلانتار Pierre Plantard، وهو سكرتيرها، وجيان دي ليفال Jean De leaval، وأرماند ديفاجوArmand Defago.

وفي ٢٧ مايو ١٩٥٦م بدأت الجمعية الوليدة في إصدار دورية خاصة بها تعبر عن أفكارها وتعرف الناس بها وأطلقت عليها اسم: CIRCUIT، وهي الأحرف الأولى من عبارة طويلة هي:

Knighthood of catholic rule and institution and of independent traditionalist union.

أو: رابطة فرسان القواعد والتعاليم الكاثوليكية واتحاد التقاليد الحرة.

وبينت المنظمة في لائحتها الأساسية وفي أعداد دوريتها أن هدفها هو:

"صنع المعروف ومعاونة الكنيسة الكاثوليكية في روما وتعليم الفضائل والدفاع عن الضعفاء والمحرومين".

وبدأت الجمعية الجديدة في تدعيم روابطها مع الكنيسة الكاثوليكية المحلية في أنيماس، وهي كنيسة القديس جوزيف، وفي معاونتها على توفير الخدمات للفقراء وتلاميذ

المدارس.

وسجل بلانتار منظمته ونص في لائحتها وفى أدبياتها الأولى على أنها جمعية كاثوليكية هدفها معاونة الكنيسة وتدعيم الإيمان الكاثوليكي، ولكنه كان في الحقيقة يسير في طريق أخر ينقض الكاثوليكية من أصولها ويهز الكنيسة هزاً

الوثائق السرية:

بدءًا من سنة ١٩٦٤م أضاف بيير بلانتار إلى اسمه لقب سان كلير Saint Clair، ليصبح اسمه بيير بلانتار دي سان كلير Pierre Plantard de Saint Clair، وصار يوقع مقالاته في الدورية التي تصدرها دير صهيون وفي غيرها من كتابات بهذا الاسم.

وسان كلير هو اسم إحدى العائلات الشهيرة والعريقة في تاريخ الغرب التي قال عنها بلانتار وتقول هي عن نفسها إنها سليلة الأسرة الميروفنجة، وهي الأسرة الملكية التي كانت تحكم فرنسا منذ القرن الخامس الميلادي وحتى القرن الثامن، وأن دماءها الملكية تتدفق في عروقها.

ويدأ بلانتار يروج في أحاديثه وكتاباته أنه هو نفسه سليل الأسرة الميروفنجية، وفي مقالة نشرت في مجلة Vaincre في أبريل سنة ١٩٩٠م رد بلانتار على من ينفون نسبه للأسرة الميروفنجية ويرمونه بالادعاء والكذب بأنه بالفعل من نسل سيجسبير الرابع ابن داجوبرت الثاني آخر ملوك الأسرة الميروفنجية، لكنه ليس من فرع الرجال من أبناء سيجسبير الرابع، بل هو ثمرة زواج شارل دي ريدي Charles de Rhedae، وهو أحد أجداده من إحدى بنات أسرة سان كلير التي تنحدر من الأسرة الميروفنجية، فهو سليل أحد فروع النساء في الأسرة الميروفنجة.

وبين عامي ١٩٦٤م و ١٩٦٧م وضع بلانتار بالاشتراك مع صديقيه وعضوي منظمة دير صهيون جيرار دي سيد Gerard de Sede والكونت فيليب دي كريسي Philip de Cherisey مجموعة من الوثائق في المكتبة الوطنية في باريس Bibliotheque Nationale.

وقد حفظت الوثائق التي وضعت فى المكتبة على فترات متباعدة تحت اسم الوثائق السرية لهنري لوبينو Dossier secrets d`Henri Lobineau

وهذه الوثائق السرية تحوي تاريخ منظمة دير صهيون ودرجاتها وأساتذتها العظام أو

رؤسائها عبر التاريخ، ودورها في التاريخ وأثرها في صناعة أحداثه وغايتها منه، وتفسير كثير من خفايا تاريخ أوروبا وأحداثها الغامضة.

وتحوي الوثائق السرية أيضاً شجرة نسب للأسرة الميروفنجية وللأسر التي انحدرت منها عبر التاريخ، وما زالت الدماء الملكية تتدفق فيها حتى العصر الحديث.

وكان بلانتار قد فشل في أن يجد ناشراً لمسودات التي كتبها، فاتفق مع صديقه جيرار دي سيد، وهو كاتب محترف ومؤلف معروف، على إعادة صياغتها في كتاب شامل.

وصدر الكتاب، الذي جاء في عقده وفي مقدمته أنه تأليف اشترك فيه بلانتار وجيرار دي سيد وزوجته صوفي Sophei وفيليب دي كريسي سنة ١٩٦٧م، في باريس بعنوان: ذهب رينيه أو الحياة الغامضة لبرنييه سونير كاهن رينيه لوشاتو.

L'or de Rennes, ou la vie insolite de Brenger Saunier, cure de Renne le Chateau.

ولقي الكتاب عند صدروه رواجاً شديداً وإقبالاً كبيراً في فرنسا وأعيد طبعه عدة مرات بعنوان آخر هو: الكنز الملعون في رينيه لوشاتو

Le tresor maudit de Renne le Chateau

وفي الكتاب نشر دي سيد صورة الوثائق السرية التي حفظت في المكتبة الوطنية في باريس، تاريخ دير صهيون، وسلسلة النسب الملكي، وشجرة العائلات التي تجرى فيها الدماء المقدسة.

التأسيس والتاريخ:

طبقاً للوثائق السرية تعود جذور دير صهيون الأولى الى جمعية سرية غنوصية لا يعرف تاريخها على وجه التحديد كونها رجل اسمه أورمس Ormus ومزج فيها بين المسيحية والوثنية.

ويبدأ تاريخ دير صهيون المعروف من القرن الحادي عشر الميلادي.

في سنة ١٠٧٠م اجتمع سراً في كالابريا Calabria في إيطاليا مجموعة من الرهبان بقادة الأمير أرسس Prince Ursus، وتحت رعاية الكونت أرنولد دي شيني Arnold de Chiny قاموا بتأسيس جمعية أو منظمة سرية اسمها دير أورفال Abbey of Orval في منطقة أردينيه Ardennes في جنوب فرنسا.

وانخرط هؤلاء الرهبان وأتباعهم في الحملة الصليبية الأولى التي دشنها خطاب البابا

أربان الثاني Urban سنة ١٠٩٩م في جنوب فرنسا أيضاً.

وبعد سقوط بيت المقدس في يد الصليبيين دبر هؤلاء الرهبان مع اتباعهم انتخاب جودفروا دي بويون، وهو أحد قادة الحملة، ليكون أول ملوك مملكة أورشليم الصليبية، إذ كانوا يعتقدون أن دي بويون هو سليل الأسرة الميروفنجية ووريثها الشرعي، وأنه ينحدر في الوقت نفسه من نسل داوود الملك، ولذا فدي بويون هو وريث أورشليم الشرعي وملكها الحقيقي.

وفي السنة نفسها ١٠٩٩م استوطن هؤلاء الرهبان برعاية دي بويون وتحت حمايته ديراً في جبل صهيون Mont Sion أقاموه على أطلال كنيسة بيزنطية قديمة.

وبقيادة دي بويون وتدبيره كون هؤلاء الرهبان جمعية أو منظمة سرية في الدير شبيهة لتلك التي أقاموها في جنوب فرنسا، وأطلق دى بويون على المنظمة الوليدة اسم:

دير سيدتنا في جبل صهون Abbey of Notre dam de mont de Sion

وكانت مهمة دير صهيون الظاهرة عند تأسيسها مزدوجة، فالمهمة الأولى هي البحث عن كنز هيكل سليمان الذي نهبه الرومان أثناء اجتياحهم أورشليم إبان ثورة اليهود عليهم سنة ٧٠م.

والمهمة الثانية هي إعادة تكوين الأسرة الميروفنجية التي تسري فيها الدماء الملكية وإعادتها إلى حكم فرنسا التي هى صاحبة الحق الشرعي في حكمها، ثم إلى حكم أوروبا كلها من بعدها.

ومع الوقت صار لدير صهيون أديرة وجمعيات وأتباع في كل مكان من الأرض المقدسة، وكذا في بلدان أوروبا خاصة فرنسا وإيطاليا.

وأنشأ دي بويون منظمة فرسان الهيكل لتكون لدير صهيون جناحاً عسكرياً وجهازاً مالياً وإدارياً.

وطوال مائة عام تقريباً كانت دير صهيون وفرسان الهيكل فرعان لمنظمة واحدة تحت قيادة واحدة.

وفي سنة ١١٨٨م التقى فيليب الثاني Philipe II ملك فرنسا هنري الثاني Henry II ملك إنجلترا في صحبة أخيه ريتشارد قلب الأسد Richard The Lione Heart في الساحة المقدسة عند قلعة جيزور Gisor في فرنسا، وهو مكان اعتاد ملوك أوروبا لقرون

طويلة الالتقاء عنده للتفاوض وعقد الأحلاف وكتابة المعاهدات، وفى بعض الأحيان للقتال.

وانتهى اللقاء بمعركة في ساحة جيزور انتهت بهزيمة الإنجليز وجرح ريتشارد قلب الأسد وهروبه مع هنري الثاني إلى قلعة جيزور والاختباء بها.

والوقود الحقيقي لهذه المعركة كان الصراع حول شرعية الحكم، فشرعية الحكم وحيازة السلطة مصدره الوحيد الانحدار من الأسرة الميروفنجية.

المعركة كانت نزاعاً حول من الأحق بوراثة السلالة الميروفنجية والحكم باسمها، فهنري الثاني كان يريد قهر فرنسا ويطمع في ضمها إلى مملكته، لأنه يرى نفسه الوريث الشرعي لحكم فرنسا، إذ هو حفيد فولك الخامس Fulk V، ثالث ملوك مملكة أورشليم الصليبية.

وفي نسب هنري الثانى الميروفنجي علة، وهي أن نسبه الميروفنجي ثمرة زواج فولك الخامس من ابنة بولدون Baldwin، ثاني ملوك أورشليم وشقيق جودفردا دي بويون، وابنة بولدين هي الميروفنجية وليس فولك الخامس.

فالعلة هى أن نسب هنري الثاني للأسرة الميروفنجية أتى عبر امرأة.

وفيليب الثاني ملك فرنسا من نسل الملك الميروفنجي كلوفيس، بيد أن في نسبه الميروفنجي هو الآخر علة، وهي أنه يوجد في شجرة نسبه التي تمتد الى كلوفيس ثلاثة من النساء.

فلب النزاع بين هنري الثاني وفيليب الثاني هو أيهما الأقوى نسباً الى الأسرة الميروفنجة، ومن ثَم فهو الوريث الشرعي لها ومن يحوز شرعية الحكم باسمها.

وإحدى نتائج معركة جيزور كانت انفصال فرسان الهيكل عن دير صهيون، كلٌ في منظمة مستقلة وتحت قيادة مستقلة، إذ إن فرسان الهيكل كانت على وفاق وتحالف مع هنري الثاني الإنجليزي، بينما دير صهيون تحظى برعاية فيليب الثاني الفرنسي وحمايته، فانحازت فرسان الهيكل الى الانجليز ودير صهيون الى الفرنسيين، ومن ثَم كان انفصالهما.

ومعركة جيزور وما أعقبها من انفصال دير صهيون عن فرسان الهيكل كان هو المقدمات التاريخية التي أفضت إلى تدمير فرسان الهيكل سنة ١٣١٢م بتدبير وتحالف بين ملك فرنسا فيليب الرابع PlilipeIV والبابا كليمنت الخامس Clemant V، وكانت هي أيضاً مقدمات كارثة حرب المائة عام بين إنجلترا وفرنسا.

وبعد تحرير القدس واستعادة بيت المقدس دمر المسلمون الدير فوق جبل صهيون(*)، ليتناثر أعضاء دير صهيون فيما بقي من الإمارات الصليبية.

وبعد انتهاء الحروب الصليبية ورحيل الصليبيين عن الأرض المقدسة كلها سنة ١٢٩٢م عاد بعضٌ من رهبان دير صهيون وأعضائها إلى أورليان Orleans في فرنسا، وعاد بعضهم الآخر إلى كالابريا في جنوب إيطاليا.

وقرب نهاية القرن الثالث عشر وقبل حل منظمة فرسان الهيكل وتدميرها انفصل بعض أعضائها وهاجروا إلى منطقة رينيه لوشاتو ليؤسسوا فرعاً مستقلاً من فرسان الهيكل فوق جبل بيزو Bezu، حيث بنوا هناك كنيسة خاصة بهم وأقاموا نصباً حجرية تمثلهم.

وكان هذا الفرع من فرسان الهيكل هو الوحيد الذي نجا من التدمير إبان الحملة عليها، وفسرت وثائق دير صهيون هذه النجاة والاستثناء لهذا الفرع من التدمير بأن أستاذه الأعظم كان سينيه دي جوث Seigneur de Goth، وهو يمت بصلة قرابة للبابا كليمنت الخامس، واسمه الأصلي حين كان راهباً في بوردو قبل تنصيبه هو برتراند دي جوثBertrand de Goth.

الدرجات والمراتب والأساتذة العظام:

لدير صهيون تنظيم هرمي يتكون من تسع درجات في ثلاث مراتب، فالمرتبة الأولى هي مرتبة السادة Provinces، وفيها درجتان، درجة الرهبان Novices، ودرجة الصليبيين Croices.

والمرتبة الثانية هي مرتبة القادة Commanderies، وفيها أربع درجات، درجة الإخوة الأحرار Preux، ودرجة حملة الدروع Ecuyers، ودرجة الفرسان Chevaliers، ودرجة قادة الهيكل Commandeurs.

والمرتبة الثالثة مرتبة الرؤساء Arch Kyrea، وفيها ثلاث درجات، درجة المراقبين Connetables، ودرجة الوكلاء Senechaux، ودرجة المرشد Nautionier.

ويرأس دير صهيون أستاذ أعظم Grand Master، ويرمز لموقع الأستاذ الأعظم ورئيس المنظمة بمركب إيزيس Isis Boat.

(*) كان يوجد فعلاً دير في جبل صهيون بالقدس إبان الحروب الصليبية، وبعد انتهائها لم يدمره المسلمون بل حافظوا عليه وعلى حقوق رهبانه، وسيأتي بيان ذلك في عالم سر السر.

وهو رمز يصور الإلهة المصرية إيزيس تحمل في يدها اليمنى قارباً صغيراً مبحراً مع عجلة دوارة تتصل بالصاري، وفي قمة الصاري ينتصب إبريق له يد كأفعى، وهو شكل يرمز الى أن إيزيس تقود سفينة الحياة المليئة بالصعاب والمتاعب في أنواء محيط الزمن.

كما يرمز قارب إيزيس، رمز المنظمة، إلى الأنثى المقدسة، لأن القارب أو المركب في التراث المصري القديم رمز لعضو التناسل في الأنثى.

وهذه هي قائمة الأساتذة العظام الذين تولوا رئاسة منظمة دير صهيون عبر التاريخ منذ انفصالها عن فرسان الهيكل، كما جاءت في الوثائق السرية:

١	جيان دي جيزور	Jean de Gisors	١١٨٨م – ١٢٢٠م
٢	ماري دي سان كلير	Marie de Saint Clair	١٢٢٠م – ١٢٦٦م
٣	جويلوم دي جيزور	Guillaum de Gisors	١٢٦٦م – ١٣٠٧م
٤	إدوارد دي بار	Edouard de Bar	١٣٠٧م – ١٣٣٦م
٥	جيان دي بار	Jean de Bar	١٣٣٦م – ١٣٥١م
٦	جيان دي سان كلير	Jean de Saint Clair	١٣٥١م – ١٣٦٦م
٧	بلانش دي إيفرو	Blanche d'Evreux	١٣٦٦م – ١٣٩٨م
٨	نيكولاس فلاميل	Nicolas Flamel	١٣٩٨م – ١٤١٨م
٩	رينيه دي أنجو	Renne d'Anjou	١٤١٨م – ١٤٨٠م
١٠	يولاند دي بار	Yoland de Bar	١٤٨٠م – ١٤٨٣م
١١	ساندرو فيليبيي	Sandro Filipepi	١٤٨٣م – ١٥١٠م
١٢	ليوناردو دافنشي	Leonardo da Vinci	١٥١٠م – ١٥١٩م
١٣	كونيتابل دي بوربون	Connetable de Bourbon	١٥١٩م – ١٥٢٧م
١٤	فرديناند دي جونزاجو	Ferdinand de Gonzago	١٥٢٧م – ١٥٧٥م
١٥	لويس دي نيفير	Louis de Nevers	١٥٧٥م – ١٥٩٥م
١٦	روبرت فلاد	Robert Fludd	١٥٩٥م – ١٦٣٧م
١٧	يوهان فالنتين أندريا	Johann Valentin Andrea	١٦٣٧م – ١٦٥٤م

١٨	روبرت بويل	Robert Boyle	١٦٥٤م – ١٦٩١م
١٩	إسحق نيوتن	Isaac Newton	١٦٩١م- ١٧٢٧م
٢٠	تشارلز رادكليف	Charles Radclyffe	١٧٢٧م – ١٧٤٦م
٢١	شارل دي لورين	Charles de Lorraine	١٧٤٦م – ١٧٨٠م
٢٢	ماكسميليان دي لورين	Maximilian de Lorraine	١٧٨٠م- ١٨٠١م
٢٣	شارل نوديه	Charles Nodier	١٨٠١م- ١٨٤٤م
٢٤	فيكتور هوجو	Victor Hugo	١٨٤٤م – ١٨٨٥م
٢٥	كلود دي بوسي	Claude Debussy	١٨٥٥م – ١٩١٨ م
٢٦	جيان كوكتو	Jean Cocteau	١٩١٨م – ١٩٦٣م

وفي عدد ٣ سبتمبر ١٩٨٩م من دورية قهر Vaincre نشر بلانتار قائمة ثانية بأسماء رؤساء دير صهيون وأساتذتها العظام، وأضاف فيها بعد جيان كوكتو اسمين، الأول هو فرانسوا بورجيه Francis Bourget رئيس دير صهيون من عام ١٩٦٣م حتى عام ١٩٨١م، والثاني هو بيير بلانتار Pierre Plantard نفسه، رئيس دير صهيون من عام ١٩٨١م وحتى عام ١٩٨٤م.

ويشترك كل من وصلو إلى مرتبة الأستاذ الأعظم في دير صهيون ورئاستها عبر التاريخ في أنهم إحدى مجموعتين من الأشخاص.

المجموعة الأولى تضم أشهر أعلام أوروبا في العلوم كإسحق نيوتن وروبرت بويل، والأدب كجيان كوكتو، والفنون كدافنشي، ممن أسهموا عبر أعمالهم العلمية والأدبية والفنية فى صناعة تاريخ الغرب وأفكاره وتقاليده وتكوين مساره.

والمجموعة الثانية من الأساتذة العظام لدير صهيون تضم أشخاصاً ينتسبون إلى شبكة محددة من الأسر الارستقراطية العريقة والعائلات النبيلة، وبعضها أسر ملكية، وكلها أسر تربط بينها أواصر الزواج والمصاهرة كآل لورين، وآل بوربون، وآل سان كلير، وآل جيزور.

والأستاذ الأعظم التاسع لدير صهيون رينيه دي أنجو هو، حسب الوثائق السرية، من نسل أنّا اليهودية Anna The Jew، ابنة يوسف الذي من الرامة، ويوسف نفسه تسرى

في عروقه دماء داوود الملكية.

وعبر رينيه دي أنجو حفظت هذه الدماء في الأسر التي تفرغت منه أو امتزجت دماؤها بدمائه عبر الزواج والمصاهرة، وهي أسر لورين وجيزور.

ورينيه دي أنجو Renne d'Anjou تاريخياً هو أحد أبرز رموز عصر النهضة الغربي برعايته المادية والمعنوية للآداب والفنون وتمويله للأبحاث العلمية.

وكان دي أنجو، عبر تأثيره على كوسيمو دي مديتشي Cosimo de Medici وحثه له على تمويل دراسة الكتب الفلسفية القديمة والنصوص التاريخية، هو العامل الأول خلف بعث الأفلاطونية الجديدة.

ويشترك كل من حوتهم قائمة دير صهيون لأساتذتها العظام في ولعهم الشديد بالخفاء والرموز السرية، وفي خروج أفكارهم على التقاليد الكاثوليكية، وفى تأثرهم بالأفكار اليهودية، وفي تقديسهم لشخص يوحنا المعمدان Jhon The Baptist، وفي شغفهم بالخيمياء Alchemy وممارستهم لها.

وأحد أعظم الأسماء التي حوتها قائمة أساتذة دير صهيون العظام، ومن أكثرها بريقاً وشهرة الرسام والمخترع والمبتكر ليوناردو دافنشي أشهر أعلام عصر النهضة الغربي وأحد أشهر أعلام الغرب في كل عصوره، وهو الرئيس الثاني عشر لمنظمة دير صهيون.

وليوناردو دافنشي Leonardo Da Vinci نموذج مثالي آخر تجتمع فيه وتمتزج كل صفات رجال الحركات السرية وملامحهم.

ليوناردو دافنشي

في وثائق منظمة دير صهيون السرية في المكتبة الوطنية في باريس أن ليوناردو دافنشي كان أستاذاً أعظم لدير صهيون، وأنه فى قائمة أساتذتها العظام كان الرئيس الثاني عشر، تولى قيادتها تسع سنوات كاملة من سنة ١٥١٠م وحتى سنة ١٥١٩م.

فهل كان ليوناردو دافنشي حقاً عضواً في منظمة سرية؟

لا خلاف بين نقاد الفن والخبراء في أعمال دافنشي على أن لوحاته تحوي رموزاً خفية وإشارات إلى معتقدات وأفكار خارجة على الكاثوليكية، والخروج على الكاثوليكية والسعى إلى تقويضها وإزالة البابوية أحد القواسم المشتركة العظمى بين الحركات السرية والجمعيات الخفية عبر تاريخ أوروبا كله.

وفي رده على أحد الأسئلة عن روايته وشفرة دافنشي السرية التى تحويها لوحته العشاء الأخير ذكر دان براون في موقعة الرسمي على الإنترنت أنه معلوم لدى نقاد الفن والخبراء في تاريخه أن كثيراً من فناني عصر النهضة، وليس دافنشي وحده، كانوا يقومون بأعمال فنية تكلفهم بها الكنيسة الكاثوليكية للتعبير عن معتقداتها في الكنائس، أو تزين بها القصور، أو لتقام فى الميادين، وتمنحهم مقابلها أموالاً طائلة.

وكان كثير من هؤلاء الرسامين والنحاتين يتكسبون من الكنيسة ويرتزقون بالعمل لديها وهم ثائرون عليها خارجون على عقيدتها ولا يؤمنون بشئ من أفكارها.

ومن أشهر هؤلاء دافنشي نفسه، ورنزو برنيني Renzo Berniny، ورافائيل سانزيو Rafael Sanzio، فكانوا يرتزقون من الكنيسة ويحصلون على أموال طائلة مقابل أعمال فنية تعبر عن المعتقدات الكاثوليكية، وفي الوقت نفسه يضعون في هذه الأعمال رموزاً وإشارات لأفكارهم تطعن في الكنيسة وتنقض عقيدتها.

وقد كان دافنشي شخصية غريبة فعلاً وأفكاره تناقض العقيدة الكاثوليكية، بل وتنقض الإيمان والوجود الإلهي كله، وتجتمع فيه صفات رجال الحركات السرية والمنظمات الخفية كلها(•).

كان دافنشي يكتب مذكراته بالإيطالية القديمة بحروف معكوسة بحيث لا يمكن

(•) انظر بورتريه رسمه دافنشي لنفسه في ملحق الصور.

قراءتها إلا في المرآة حذراً من أن تقع مذكراته في براثن الكنيسة الكاثوليكية أو بعض عيونها.

وكان يؤمن بالوجود الذاتي للكون، أي أن الكون لا بداية له في الزمان ولا نهاية، وأنه لا حدود له في المكان، وهو ما يخالف العقيدة الكاثوليكية، بل ويناقض أصل الإيمان وينقض الوجود الإلهي وينفي قصة الخلق ووجود الخالق.

ومن خروجه على الكنيسة أنه لم يكن يحضر القداس الكاثوليكي إلا إذا اضطر لذلك، وكان يتعمد العمل يوم الأحد لكي لا يذهب إلى القداس.

ومن غرائب شخصية دافنشي أنه كان ينبش القبور من أجل تشريح أجساد الموتى لمعرفة صفات الأجسام وتكوينها ونسبها التشريحية لكي يوظفها في لوحاته.

وفي الوقت نفسه كان مؤمناً بإمكان تحضير الأرواح Necromancy، ويجري تجارب مع مجموعة من أصدقائه لتحضيرها.

وكان يمارس الخيمياء ويعتقد أن بإمكانه الوصول عبر التجارب إلى إكسير يطيل به العمر ويمنح الخلود.

وإحدى الصفات التي تصل دافنشي بفرسان الهيكل وما تفرع منها شذوذه الجنسي، فقد كان ليوناردو دافنشي شاذاً جنسياً، وكان يصطفي من تلاميذه ومن يتخذهم نماذج Models لرسمهم في لوحاته شباباً ومراهقين من ذوي الوجه الحسن والقوام الجميل يمارس معهم شذوذه الجنسي.

وقد اتهمته سلطات فلورنسا Florence ومنظمة ضباط الليل Officers of the night، وهي منظمة حكومية أسستها السلطات من أجل مكافحة البغاء واللواط الذي تفشى في فلورنسا، اتهمته سنة ١٤٧٦م بممارسة الشذوذ في مرسمه مع شاب في السابعة عشرة من عمره كان يتخذه نموذجاً في لوحاته اسمه جاكوبو سالتاريلي Jacopo Saltarelli.

وبعد شهرين من التحقيقات حُفظت القضية لعدم وجود شهود، وكان السبب الحقيقي في حفظها أبو سالتاريلي، فقد كان شخصية موقرة في فلورنسا وذا نفوذ عند سلطاتها.

أما معشوق دافنشي الكبير وحبه الوحيد ورفيقه الجنسي طوال عمره فتلميذه سالينو Salaino الذي كان يناديه باسم سالي Salai.

قدم سالينو إلى دافنشي سنة ١٤٩٠م وهو في العاشرة من عمره لخدمته والتعلم منه، وظل رفيقه حتى وفاته سنة ١٥١٩ م رغم أنه لم يكن أفضل تلاميذه، بل كان أسوأهم.

وكان سالينو، كما وصفه جورجيو فازاري Giorgio Vasari كاتب سيرة دافنشي: أبيض، مليح الوجه، جعد الشعر، طويله، جميل القوام.

ويؤكد جيانو باولو لومازو Gaiano Paolo Lomazzo، وهو ناقد فني معاصر لدافنشي في كتابه: عشق الذكور Male Love الذي كتبه أوائل القرن السادس عشر أن علاقة دافنشي بسالينو كانت علاقة جنسية شهوانية، وأن هذه العلاقة تركت آثارها في لوحات دافنشي.

وهو ما أكده اثنان من خبراء الفن المعاصرين بعد فحص لوحات دافنشي، وهما مارتن كيمب Martin Kemp، وجيمس ساسلو James Saslow.

يقول كيمب وساسلو إن عدداً من لوحات دافنشي بها شاب صغير يبرز دافنشي ملامح جسده ويصور تفاصيله بطريقة شهوانية Erotic، وملامح هذا الشاب شديدة الشبه بملامح الشاب الذي رسمه دافنشي عاري الأكتاف والصدر لتمثيل يوحنا المعمدان في لوحته الشهيرة التي تحمل الاسم نفسه.

والموديل الذي اتخذه دافنشي ورسم يوحنا المعمدان في لوحته شبيهاً به هو، كما يقول معاصره لامازو، تلميذه ورفيقه سالينو.

ولدافنشي عبارة في مذكراته يفلسف بها دارسوه شذوذه الجنسي وعشقه للذكور مع كرهه للجنس الطبيعي ونفوره من الإناث.

وهذه العبارة هي قوله:

"إن عملية الولادة وكل ما يتصل بها شئ مقزز ومقرف، فلولا الوجوه الجميلة والأوضاع الجنسية وما فيها من متعة لفني الجنس البشري".

ويقول أناند تايلور Anand Taylor في تفسير هذه العبارة إن دافنشي كان يكره الولادة ويتقزز من تخيل منظر الأنثى في أثنائها، لكنه كان يحب الأطفال والصبيان، وقد حاول الفنان الذي في داخله حل المعضلة عن طريق الحلم بالوصول يوماً إلى التناسل الذاتي دون جنس ولا ولادة Parthenogenes، أو الاتحاد بالإله لكي يستغني عن الجنس، لكن لأن هذه كلها أحلام مستحيلة فقد اضطر فى النهاية إلى ابتداع هذه الوسيلة لكي يشبع رغباته

وغرائزه الجنسية العارمة بطريقة تجلب له المتعة دون أن يشمئز أو يصيبه القرف.

والصفة الثانية التي تربط دافنشي بفرسان الهيكل والمنظمات السرية حقاً هي تقديس يوحنا المعمدان Jhon The Baptist.

فيوحنا المعمدان هو الشخصية المقدسة عند منظمة دير صهيون وهو رمزها الأعلى، وفي الوثائق السرية أن أول أستاذ أعظم لدير صهيون وهو نورمان دي جيزور Norman de Gizors اتخذ مع توليه رياستها وإمساكه بمقاليدها لقباً شرفياً هو يوحنا الثاني JeanII، مما فتح الباب أمام الباحثين والمنقبين عمن يكون يوحنا الأول، والاحتمالات تدور بين يوحنا المعمدان ويوحنا التلميذ.

وبين يوحنا المعمدان ويوحنا التلميذ رابطة، وهي أن من يقدسون يوحنا المعمدان وهو عندهم المسيا الحقيقي يعتقدون أنه منح تعاليمه وأسرار ديانته ليوحنا التلميذ، وكل من يرثها من بعده هو أيضاً يوحنا.

وفي وثائق دير صهيون أن كل أستاذ أعظم لها يصبح لقبه عند وصوله إلى رئاستها تلقائياً يوحنا Jean، ويأخذ كل أستاذ اعظم رقماً مع اللقب يلي سابقه، فأول أستاذ أعظم لدير صهيون هو يوحنا الثاني، والأستاذ الثاني هو يوحنا الثالث، وهكذا.

ويوحنا المعمدان هو أيضاً الشخصية المقدسة عند منظمة فرسان الهيكل، بل إن فرسان الهيكل كلها، عند ألبرت بايك، ليست سوى منظمة كونها أبناء طائفة يوحنا المعمدان من أجل بث ديانته ونشر تعاليمه، وهوج دي بايان أول أساتذة فرسان الهيكل العظام لم يكن سوى رئيس طائفة أتباع يوحنا والحبر الأعظم لكنيسته السرية.

ولا خلاف بين مؤرخي الفنون والخبراء في أعمال دافنشي أنه، مع خروجه على الكنيسة وما كان يبثه في أعماله من رموز تنقض الكاثوليكية، كان يقدس يوحنا المعمدان ويبجله، وأن أعماله تحوي إشارات عديدة إليه.

فقد كان دافنشي رساماً، والتمثال الوحيد الذي يُعرف أنه اشترك في نحته هو تمثال يوحنا المعمدان في كنيسة فلورنسا، وقد اشترك في نحته في سرية تامة ودون علم الكنيسة مع صديقه المثال جيوفان فرانشيسكو روستيكي Giovan Francesco Rustici، وروستيكي هذا كان هو نفسه من رفاق دافنشي المؤمنين مثلة بتحضير الأرواح ويمارس الخيمياء للوصول إلى سر الحياة.

وآخر لوحة رسمها دافنشي هي لوحة يوحنا المعمدان، وفيها رسمه يبتسم نصف ابتسامه كلوحة الموناليزا ويشير بإصبعه السبابة اليمنى إلى أعلى، وحيثما توجد هذه الإشارة في لوحات دافنشي فإنها، كما يقول خبراء لوحاته، تكون رمزاً ليوحنا المعمدان وشفرة حلها: تَذكَّر يوحنا المعمدان(•).

ومن فرط تقديس دافنشي ليوحنا المعمدان وحبه له رسمه في لوحته صورة من معشوقه ورفيق حياته سالينو!

وأما أشهر لوحات دافنشي وأحفلها بالرموز وأكثرها غموضاً وإثارة، فلوحة العشاء الأخير.

ولوحة العشاء الأخير Last Supper لدافنشي ليست لوحة مرسومة على قماش أو ورق، بل هي لوحة جدارية رسمها دافنشي على أحد جدران القاعة المواجهة للمذبح في كنيسة سانتا ماريا دي لاجراتزي Sainta Maria de la Grazi في ميلانو، واستغرق في رسمها أربع سنوات كاملة، فبدأها سنة ١٤٩٥م وانتهى منها في سنة ١٤٩٨م، وكان يقضي ساعات طوالاً في رسمها والعمل بها، ويجلس ساعات أطول يتأملها وينظر فيها دون أن يفعل شيئاً.

ولوحة العشاء الأخير رسمها دافنشي تلبية لطلب من الكنيسة الكاثوليكية التي كانت تكلفه ببعض الأعمال الفنية لتزيين الكنائس بمقابل مادي باهظ.

وكون اللوحة مرسومة على جدار في كنيسة وبتكليف من الفاتيكان نفسه لتكون تعبيراً عن عقيدة مسيحية وتمثيلاً لطقس العشاء الرباني، أحد أسرار الكنيسة، هو ما يزيد في إثارتها وغموضها وأثار الريب والتساؤلات حول دافنشي.

فحسب نص إنجيل متى شرب المسيح في العشاء الأخير نبيذاً من كأس ثم مررها إلى تلاميذه، وهو ما يحاكيه الكاهن في طقس العشاء الرباني أثناء القداس.

ومع ذلك تجاهل دافنشي الرواية الإنجيلية التي هى عقيدة مسيحية وطقس مقدس، فليس في لوحته العشاء الأخير كأس مطلقاً، بل ثلاثة عشر كوباً بعدد الجالسين في اللوحة، أمام كل جالس كوب(•).

(•) انظر لوحة يوحنا المعمدان في ملحق الصور.

(•) انظر لوحة العشاء الأخير في ملحق الصور.

وطبقا لنصوص الأناجيل الأربعة القانونية فإن الحاضرين في العشاء الأخير كانوا ثلاثة عشر رجلاً، هم المسيح وتلاميذه الاثنا عشر، ولا ذكر في أي مصدر مسيحي رسمي ولا منحول أن العشاء الأخير كان فيه امرأة.

وفي التقاليد الكاثوليكية فإن الذى جلس إلى يمين المسيح في العشاء الأخير كان يوحنا التلميذ.

أما في لوحة دافنشي فالجالس إلى يمين المسيح له ملامح أنثوية واضحة: وجه أمرد، وملامح ناعمة، وشعر طويل منسدل على الكتفين، وجلسة لينة مع ثني العنق وإلقاء الرأس إلى جانب في دلال.

وكل من عدا الجالس إلى يمين المسيح في اللوحة رجال لا تخطأ عين رجولتهم: ملامح خشنة، ولحية طويلة أو قصيرة، وأجسام قوية منتصبة.

وأمام عنق الشخص ذي الملامح الناعمة الجالس إلى يمين المسيح تمر يد ظاهر كفها إلى أعلى وباطنها إلى أسفل وكأنها تريد أن تذبحه(•).

وكل ما في اللوحة من تفاصيل يمكن تأويلها أو الاختلاف عليها إلا شئ واحد، الخنجر.

فهذا آخر شئ يمكن أن يتوقعه أحد في لوحة مرسومة في دار عبادة لتمثيل عقيدة والتعبير عن طقس مقدس.

ففي اللوحة خنجر تمسكه يد مجهولة ليست لأحد من الموجودين في اللوحة، وقد أخفى دافنشي اليد والخنجر في ثنايا لوحته بين زحام الأجسام، وبينها وبين المائدة بحيث لا يراها ولا يفطن إلى وجودها إلا فاحص مدقق، وهو ما لم يكن له وجود في الزمن الذي رسم فيه دافنشي لوحته(•).

وقد ذكر دان براون، وهو دارس لتاريخ الفن ومتخصص في أعمال دافنشي، في روايته شفرة دافنشي أن غموض لوحات دافنشي وما تحفل به من رموز وأسرار شائع بين نقاد الفن وخبرائه، وأن هذا الغموض وهذه الرموز كانت العوامل التي قدحت فكرة الرواية في ذهنه، إلا أنه لا شك عند من فحصوا رواية شفرة دافنشي وما سبقها من أعمال أن دان

(•) انظر اليد التي تذبح في ملحق الصور.

(•) انظر الخنجر في ملحق الصور.

براون اقتبس الفكرة الرئيسية التي بنى عليها تفسيره لما تحويه لوحات دافنشي خاصة لوحة العشاء الأخير من كتاب: كشف سر فرسان الهيكل Templar Revelation الذي صدر عن دار نشر تتش ستون Touch Stone سنة ١٩٩٦م، وهو الكتاب الذي ذكره دان براون نفسه في روايته على لسان المؤرخ الملكي البريطانى كأحد المصادر التاريخية التي تؤكد وجود سلالة ملكية تنحدر من المسيح.

والنظرية التي وضعها مؤلفا كتاب كشف سر فرسان الهيكل لين بيكنت Lynn Picknet وكلايف برنس Clive Prince هي أن المسيح كان الكاهن الأعظم لديانة مصرية سرية قديمة تقوم على عبادة إيزيس وأوزوريس، وأن كونه ابناً للإله هو تحريف حرفته الكنيسة الكاثوليكية لحقيقة المسيح.

وحقيقة المسيح هي أنه كان كاهناً مكرساً لعبادة الربة الإلهة ومنذوراً لخدمتها.

وقد أخذ دان براون كل الأفكار التي بثها في روايته عن أعمال دافنشي الفنية وما تحفل به من رموز وشفرات، وكذا تفسيره لرموز لوحة العشاء الأخير من الفصل الأول من كتاب بيكنت وبرنس، ولم يزد عليه شيئًا من عنده.

بل إن دان براون لم يسرق أفكار بيكنت وبرنس عن لوحات دافنشي فقط، بل سرق اسم روايته من عنوان الفصل نفسه الذي سرق أفكاره، وهو الفصل الأول من كتاب بيكنت وبرنس.

فاسم رواية دان براون: شفرة دافنشي هو نفسه عنوان الفصل المذكور، وعنوانه: شفرة دافنشي السرية The Secret Code of Leonardo Davinci.

وفي تفسيرهما لرموز لوحة العشاء الأخير ذكر المؤلفان أن الجالس على يمين المسيح في اللوحة ليس يوحنا التلميذ حسبما هو شائع في التقاليد الكاثوليكية، بل مريم المجدلية، الأنثى المقدسة في ديانة المسيح التي تقوم على عبادة الإلهة الأنثى المقدسة إيزيس.

وهذا هو التعديل الوحيد في تفسير رموز لوحة العشاء الأخير الذي خالف فيه بيكنت وبرنس ومعهما دان براون تفسير لنكولن ورفاقه.

لنكولن ورفاقه هم أول من بث فكرة أن الجالس عن يمين المسيح في لوحة العشاء الأخير ليس يوحنا التلميذ بل شخص آخر، ففتحوا بذلك الباب للتفسيرات والتخمينات.

ففي كتابهم التراث المسياني The Messianic Legacy ذكر هنري لنكولن ومايكل بيجنت وريتشارد لي أن دافنشي الرئيس الثاني عشر لمنظمة دير صهيون أخفى في لوحاته رموزاً وشفرات يحفظ فيها السر الذي يقوم على حمايته.

وفي تفسيرهم لرموز لوحة العشاء الأخير ذكر المؤلفون الثلاثة أن الجالس عن يمين المسيح في اللوحة هو في الحقيقة توأم المسيح يهودا!

دير صهيون الماسونية

من بين كل المنظمات والحركات التي انحدرت من فرسان الهيكل أو زعمت أنها هي فرسان الهيكل أو أحد فروعها كانت دير صهيون أكثرها إبداعاً وابتكاراً.

فهاتيك المنظمات والحركات كلها، ماسونية وغير ماسونية، تقول إنها امتداد لفرسان الهيكل وفرع منها، بينما قدمت دير صهيون نفسها ووضعت وثائقها باعتبار أنها الأصل وأن فرسان الهيكل هي التي فرع منها!

وما يجمع دير صهيون الحديثة بفرسان الهيكل القديمة حقاً ليس وثائقها التي وضعها بيير بلانتار والكونت دي كريسي في المكتبة الوطنية ولا التاريخ المدون فيها.

ما يجمع دير صهيون بفرسان الهيكل وما يربطهما معاً بالماسونية حقاً، وما يثبت أن بعضها من بعض تشابه البدايات، واتحاد الغايات، وتوحد الأسلوب، واتصال الأفكار، وتماثل الطقوس.

فرسان الهيكل تكونت وقدمت نفسها على أنها منظمة كاثوليكية غايتها معاونة الكنيسة وحماية الحجاج المسيحيين القادمين من أوروبا إلى الأرض المقدسة، ودير صهيون الحديثة سجلت نفسها على أنها منظمة كاثوليكية غايتها معاونة الكنيسة في أعمال البر والخير وتعليم الكاثوليكية ونشر تعاليمها الحقة.

وفرسان الهيكل ودير صهيون الحديثة كلتاهما كانت الراية التي رفعتها ليست إلا ستاراً لحجب ما يدور خلفه، وما يدور خلفه لا صلة له به، بل هو خلافه في كل شئ ويسعى إلى نقيضه.

فخلاصة غايات فرسان الهيكل الحقيقية هي نفسها خلاصة غايات دير صهيون الحقيقية، الطعن في شرعية البابوية وتقويض أصول الكاثوليكية وهدم المسيحية.

وكلتاهما يدور وجودهما حول هيكل سليمان، فرسان الهيكل بدأ تاريخها بالحفر والتنقيب من أجل البحث عن بقاياه وآثاره وما كان مخبوًا تحته من كنوز أو معارف أو تابوت العهد، ودير صهيون غاية تاريخها، كما قال بلانتار، إعادة هذه الكنوز إلى الهيكل عند إعادته وإقامة إسرائيل الكبرى.

وفرسان الهيكل أحلت الوثنية ومعبوداتها وطقوسها محل المسيحية والإله وطقوسها،

وكذلك دير صهيون نظريتها عن الأسرة الميروفنجية وحقها في حكم فرنسا ثم أوروبا كلها، والتي تهدم بها شرعية الكنيسة الكاثوليكية وتزيل بها سلطتها وسلطانها، فحواها الحقيقية إعادة فرنسا وأوروبا كلها إلى ما قبل المسيحية، إلى الوثنية.

والعذراء السوداء أو إيزيس معبودة فرسان الهيكل هي نفسها، كما قال بلانتار، معبودة دير صهيون Notre Dame de Lumiere، وإيزيس هي رمزها.

وأحد طقوس فرسان الهيكل والتهم التي اتهموا بها الشذوذ الجنس وممارسته بصورة جماعية منظمة، والطقس الجنسي العلني هيروجاموس Heirogamos الذي وصفه دان براون في رواية شفرة دافنشي هو فعلاً أحد طقوس دير صهيون، وهو الطقس الذي يمارس فيه الجنس علانية في محفل مع إنشاد وتراتيل غنائية احتفاء بحلول الإله في ذهن الرجل في لحظة فراغه التام عند بلوغ نشوة الجنس وهزة الجماع.

وفرسان الهيكل هي جذر الماسونية وأصلها، ودير صهيون هي إحدى ثمار الماسونية وفرع من فروعها.

دير صهيون والصليب الوردي وهيكل الشرق:

ذكر روبرت ريتشاردسون Robert Richardson في كتابه: الكنز المجهول، خداع دير صهيون والكنز الروحي لرينيه لوشاتو

The unknown treasure. The Priory of Sion fraud and the spiritual treasure of Renne le Chateau

أن دير صهيون هي صورة طبق الأصل من منظمة سابقة لها، وأن كل أفكار دير صهيون ووثائقها ونظريتها عن الدم الملكي ليست سوى اقتباس من أدبيات هذه المنظمة وتطوير لأفكارها وصياغة لها في نظرية متكاملة.

وهذه المنظمة التي كانت دير صهيون نسخة منها هي منظمة الصليب الوردي للهيكل والجريل.

ففي أدبيات منظمة الصليب الوردي هذه أنها وريثة فرسان الهيكل وامتداد لها، وأن لها صلات وروابط مع العديد من أعلام فرنسا ورموزها السياسية والثقافية، وأنها تملك معرفة نافذة بأسرار التاريخ المجهولة تفسر ما دار فيه من أحداث وما حفل به من خفايا.

ومن خفايا التاريخ التي ذكرت المنظمة أنها تعرفها وتحرسها بقاء الأسرة الملكية الميروفنجية عبر التاريخ، وتدبير فروعها المنتشرة في أوروبا ويسري دمها في بعض أسرها

الحاكمة لاستعادة حكم فرنسا وأوروبا كلها.

وأحد أكبر مزاعم منظمة الصليب الوردي للهيكل والجريل وأكثرها إثارة لمشاعر البسطاء من الفرنسيين كان ادعاؤها أنها اكتشفت قبر المسيح وتعرف مكانه، وأن لوحات الرسام الفرنسي نيكولاس بوسان تحوي شفرة سرية يوصل حلها إلى هذا القبر.

ومنظمة الصليب الوردي للهيكل والجريل التي أسستها جوزفين بيلادان Josphin Peladin في جنوب فرنسا سنة ١٨٩١م هي، كما يقول ريتشاردسون، منظمة عشوائية لا تتبع أحداً من الطقوس الماسونية الكبرى، وهي إحدى الحركات السرية والمنظمات الماسونية العشوائية والعنقودية التي انفجرت في فرنسا بالعشرات وتوالد بعضها من بعض من بعد الثورة الفرنسية وطوال القرن التاسع عشر.

ويقول ريتشاردسون إن المؤسس الحقيقي لمنظمة الصليب الوردي للهيكل والجريل وعقلها المدبر وسكرتيرها جورج مونتي أو الكونت إسرائيل، وهو ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين في الطقس الاسكتلندي، هو الأب الروحى لبيير بلانتار ومصدر أفكاره ونظرياته.

فقد كان الكونت إسرائيل أحد مؤسسي منظمة ألفا جالاتس Alpha Galates التي وضعت المراهق بيير بلانتار رئيساً وواجهة لها.

وغير ألفا جالاتس اشترك الكونت إسرائيل مع أليستر كراولي Aliester Crowley في تكوين جمعية الفجر الذهبى Golden Dawn لممارسة السحر وتعليمه.

وأليستر كراولي هذا نفسه يوصف بأنه أحد أكثر الشخصيات في تاريخ العالم غموضاً وخبثاً Most wicked، وهو أبو الشيطانية الحديثة Father of Modern Satanism.

فقد كان كراولي شاذاً جنسياً، وكان هو المفعول به، ووصل في الماسونية من الطقس الاسكتلندي إلى الدرجة الثالثة والثلاثين، واشترك في تأسيس عدة منظمات سرية بعضها ماسوني وبعضها لممارسة السحر، وترأس بعضها، وألف كتاباً مقدساً للجمعيات السرية التي كونها وترأسها.

والكتاب المقدس الذي ألفه كراولي هو كتاب القانون The Book of Low، وقد وضع فيه كراولي نظريته عن نظام الكون وفلسفة الكائنات وأسماها ثيليما Thelema، وكان كراولي قد بدأ الكتابة عن فلسفته سنة ١٩٠٤ م وظل يطور فيها ويكون الجمعيات

والمنظمات لممارستها طوال حياته.

ويعرف كراولي فلسفته بأنها فلسفة سيادة الإرادة Sovereignty of will، والفكرة الرئيسية فيها أن ما يريده الإنسان ويرغبه هو ما يجب أن يطيعه ويتبعه، فهو وحده القانون والنظام.

وإرادة الإنسان عند كراولي هي مزيج من رغباته الآنية وآماله المستقبلية، ومن غاياته العليا وأهدافه السامية، ومن استشعاره لمساره ومصيره.

وفي سنة ١٩٢٠م أسس كراولي منظمة دير ثيليما Abbey of Thelema ليطبق فيها فلسفته ولتكون نموذجاً واقعياً للمجتمع البشري الذي يسعى للوصول إليه.

والمجتمع الذي كان يسعى إليه وطبقه فعلاً في جمعيته هو أن يعيش الناس في المجتمع ويعيش أعضاء الجمعية فيها أحراراً من كل قيد، فلا لوائح ولا قواعد ولا تعاليم ولا قوانين، بل يفعل كل واحد ما تمليه عليه إرادته الحرة ويستمتع بفعل ما تقوده إليه رغباته.

وإحدى أشهر المنظمات التي رأسها كراولي وأعاد صياغتها بفلسفته وتعاليمه منظمة هيكل الشرق Ordo Templi Orients.

ومنظمة هيكل الشرق كونها كارل كلنر Carl Kellner وتيودور روس Theodor Reuss في ألمانيا، ولا يعرف أحد تاريخ تأسيسها تحديداً، والمرجح أنه في ثمانينات القرن التاسع عشر، وحتى سنة ١٩٠٤م لم يكن قد سمع بها أحد من خارجها أو علم عنها شيئاً.

وفي سنة ١٩٠٤م حصلت المنظمة على اعتراف الماسونية من طقس ممفيس المصري بها، وعلى ترخيص بمزاولة الطقس وترقي أعضائها في درجاته.

وفي سنة ١٩١٠م انضم كراولي بعد أن وصل إلى الدرجة الثالثة والثلاثين في الطقس الاسكتلندي إلى منظمة هيكل الشرق، وفي سنة ١٩١٢م أسس لها فرعاً في بريطانيا سماه: أقصى خفاء الخفاء Mysteria Mystica Maxima.

وفي سنة ١٩١٣م وضع كراولي القداس الغنوصي Gnostic Mass ليكون الطقس الرئيسي لهيكل الشرق، وفي سنة ١٩١٤م نقل المنظمة بسبب الحرب العالمية الأولى من بريطانيا إلى كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي الولايات المتحدة أعاد كراولي تكوين هيكل الشرق وصاغها من جديد بفلسفته ثيليما، وحاول سنة ١٩١٩م تأسيس فروع لمنظمته في ميتشجان Michigan وديترويت

Detroit فاصطدم بالمحافل الماسونية من الطقس الاسكتلندي، وأعلن مجلسها السامي في الولايات المتحدة رفضه لفلسفته وعدم الاعتراف بماسونية منظمته، فرد كراولي بتنقية المنظمة من الدرجات المأخوذة من الطقس الاسكتلندي واستبدل بها درجات أخرى ما عدا الدرجة الرابعة، درجة عقد سليمان الملكي، وهى الدرجة المقدسة في الماسونية بكل طقوسها وفروعها وانشقاقاتها.

وفي سنة ١٩٢٥ م بعد وفاة تيودور روس أصبح كراولي الأستاذ الأعظم لمنظمة هيكل الشرق بفروعها المختلفة والمنتشرة في أوروبا والقارة الأمريكية.

ويصف كراولي منظمة هيكل الشرق في كتابه اعترافات Confessions بأنها:

"تقدم الأسس العقلية لربط البشر في وحدة واحدة تستوعبهم جميعاً، فهي تضع خلاصة ما توصل إليه البشر من معارف وحكم عن الكون وعن الإنسان في رموز بسيطة Simple ، وفي الوقت نفسه سامية Sublime ومرتبة في تناسق وانسجام".

فهيكل الشرق تُمكِّن كل إنسان من اكتشاف نفسه واستبصار طريقه وتدله على الأفكار والقيم والأخلاقيات التي يحتاجها، والتي إن اعتنقها وطبقها بحرية امتلك سلاحاً قوياً لا حدود لقوته يُمكِّنه من معرفة نفسه ومن تطوير قدراته.

أما الأسس العقلية والأفكار والقيم والأخلاقيات التي تقدمها منظمة هيكل الشرق للإنسان لكي يعرف نفسه ويطور قدراته، ولكي يتوحد البشر جميعاً في دين واحد، فيمكن معرفتها من درجاتها ومراتبها.

لمنظمة هيكل الشرق ثلاث عشرة درجة مرقمة واثنتا عشرة درجة بلا أرقام، والمراتب الثلاث الرئيسية هي مرتبة الناسك Hermet، ومرتبة العاشق Lover، ومرتبة إنسان الأرض Man of Earth.

ودرجاتها الثلاث عشرة المرقمة والاثنتا عشرة التي بلا أرقام تدور حول ممارسة السحر مثل الساحر Magician، والساحر الأستاذ Master Magician، وحول ألفاظ الفروسية المأخوذة من الماسونية ومن فرسان الهيكل مثل فارس الشرق والغرب.

وبعض درجات المنظمة هي درجات عملية لممارسة الجنس والشذوذ الجنسي وتعليم فنونها كوسيلة من وسائل ممارسة السحر والوصول إلى المعرفة.

فالدرجة السابعة هي درجة عبادة الأعضاء الجنسية، وفلسفة الدرجة أن أعضاء ممارسة

الجنس هى أدوات خصوبة البشر وحفظ نوع الإنسان، فهي ترمز للشمس مصدر خصوبة الأرض وحفظ الإنسان والكائنات بحرارتها وضوئها.

والطقس الرئيسي في هذه الدرجة أن يُعد من يصل إليها كنيسة شخصية خاصة به Personal Chapel في منزله يؤدي فيها طقوس العبادة لمنحوتات من الفضة أو البرونز تمثل قضيب الذكورة منتصباً وعضو الأنوثة ببظره منفتحاً!

والدرجة التاسعة هي درجة لتعليم فنون الجنس الطبيعي بين الرجل والمرأة كطريقة من طرق ممارسة السحر Hetero sexual magical techniques.

والدرجة الحادية عشرة هي لممارسة الجنس الشرجي Anal sex وتعليم فنونه وتلقي تعاليمه باعتباره طقساً من طقوس ممارسة الجنس والسحر.

ومن حق السادة الحكماء من درجة أمير الصليب الوردي Prince of Rose Croix، وهي الدرجة الخامسة المرقمة في درجات هيكل الشرق والدرجة الأولى في مرتبة العاشق، من حقهم تكوين منظمات وجمعيات مستقلة عن الجسم الرئيسي لهيكل الشرق، تعترف بها وبرئاسة من كونها وأسسها.

وهذه المنظمات المستقلة عن هيكل الشرق وإن كانت تدور في فلكها هي منظمات الصليب الوردي Rose Croix، وهى غير الصليب الوردي الكبرى والتاريخية المنحدرة من فرسان الهيكل مباشرة، وهي الروزيكروشين.

وإحدى منظمات الصليب الوردي المتفرعة من هيكل الشرق منظمة الصليب الوردي للهيكل والجريل التي أسستها جوزفين بيلادان وصاغ أفكارها الكونت إسرائيل، ليعيد بيير بلانتار استنساخ هذه الأفكار بعد تطويرها وتنقيحها في دير صهيون.

دير صهيون الماسونية:

في سنة ١٩٧٣م أصدر ماتيو باولي Mattieu Paoli، وهو صحفى سويسري، كتابه: Les Dessows d'une ambition politique، وفى كتابه هذا ذكر باولي أنه اكتشف وجود جمعية ماسونية سرية في فرنسا تضم نخبة من المثقفين، وأن هذه الجمعية الماسونية الفرنسية على صلة وثيقة بمحفل الألب الأعظم Grand Lodge Alpina.

وقال باولي إنه اكتشف هذه الجمعية مصادفة حين وقع على بعض منشوراتها ومجلة تصدرها توزع في سويسرا بطريقة سرية وفي نطاق محدود للغاية بين أعضاء محفل الألب

الأعظم.

وأول عدد يقع بين يدي باولي من المجلة التي تصدرها هذه الجمعية الماسونية كان على غلافه خريطة لفرنسا وعليها نجمة داوود اليهودية أو علامة سليمان، وأحد أعداد المجلة كان بها مقالة لرئيس فرنسا شارل ديجول De Gaulle.

ووصل باولي من تعقبه للجمعية ومنشوراتها وأماكن صدورها إلى أن هذه الجمعية الماسونية السرية تضم نخبه من المثقفين وصفوة المجتمع الفرنسي، وأنها فرع من محفل الألب الأعظم وتدور في فلكه، فهو أصلها ومركز حركتها ومكان ضم أعضائها الجدد، ومنشوراتها ومجلتها توزع فيه وبين أعضائها وأعضائه فقط.

والجمعية السرية التي اكتشفها ماتيو باولي واكتشف صلتها بمحفل الألب الأعظم هي منظمة دير صهيون ومجلتها CIRCUIT.

أما عما كان يبدو من طابع العداء للسامية والماسونية على ما اشترك بيير بلانتار في تأسيسه أو ترأسه من منظمات سابقة لدير صهيون وما كان ينشره في مجلة Vaincre من قصص تعادي السامية، وكذا خطابه الذي أرسله إلى المارشال بيتان يحذر فيه الحكومة الفرنسية من مؤامرة يهودية ماسونية تحاك ضد فرنسا، فقد فسره بلانتار نفسه في لقائه مع هنري لنكولن ورفاقه بيجنت ولي بأنه كان مضطراً لأن يعطي للمنظمات التي يكونها طابع العداء لليهود والماسونية وأن يرسل خطابه إلى بيتان، لأن هذه هي الطريقة الوحيدة التي كانت تكفل له النجاة من ملاحقة المخابرات النازية وتبعد عنه شبح الاعتقال وتحفظ وجود منظماته وتحميها من التدمير، فقد كان الجستابو وحكومة فيشي المتعاونة معه في فرنسا إبان الحرب العالمية الثانية يعتقل كل من يشتبه فيه أنه من قادة الجمعيات السرية والماسونية ويضعهم في معسكرات اعتقال يجمعهم فيها معاً ويستولي على ما في حوزتهم من سجلات منظماتهم ووثائق عضويتها.

وأما محفل الألب الأعظم فهو محفل الماسونية الأعظم في سويسرا، وهو محفل الصفوة من كبار الماليين وأصحاب البنوك السويسرية ويملك من القوة والنفوذ ما يفوق قوة أي تجمع أو مجموعة فى أوروبا كلها.

ومحفل الألب الأعظم فى سويسرا هو نظير النادي البوهيمي في الولايات المتحدة، وبعض أعضائه على قائمة المدعوين لحضور التجمع الاحتفالي السنوي في الغابة البوهيمية

بصفة دائمة.

وفي ثمانينات القرن العشرين تأكد قيام محفل الألب الأعظم وبنوك أعضائه بالاشتراك مع منظمة المجمع الثاني Propaganda due أو P2 في إيطاليا بغسيل أموال ألمافيا الإيطالية عبر اختراق بنك الفاتيكان.

وP2 هي منظمة ماسونية أسسها وترأسها الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين في الطقس الاسكتلندي ليسيو جيللي Licio Gelli سنة ١٩٦٦م، وأسس لها فروعاً في معظم دول أمريكا الجنوبية.

وحظيت المنظمة الوليدة باعتراف الشرق الأعظم الإيطالي Grand Orient of Italy بها كمنظمة ماسونية.

وحتى سنة ١٩٨١م كانت المنظمة سرية وغير معروفة وتمارس أنشطتها في الخفاء، وفي سنة ١٩٨١م خرجت المنظمة إلى العلن وصارت في بؤرة اهتمام الصحافة والشرطة الإيطالية في أعقاب انهيار بنك أمبروزيانو Banco Ambrosiano، وهو أحد أكبر بنوك ميلانو، ومملوك في بعضه لبنك الفاتيكان.

وفي مارس ١٩٨١م اقتحمت الشرطة الإيطالية بيت ليسيو جيللي، الأستاذ الأعظم لمنظمة P2 ووجدت قائمة بها تسعمائة وخمسين اسماً، هم أعضاء المنظمة، وكانت هذه القائمة تضم صحفيين مشاهير وأعضاء في البرلمان الإيطالي وبعضاً من قادة الجيش ورجال الصناعة والتجارة.

وأحد أشهر الأسماء التي ضمتها قائمة أعضاء P2 سيلفيو بيرلسكوني Silvio Berlusconi، النائب في البرلمان الإيطالي آنذاك ورئيس وزراء إيطاليا لاحقاً.

وبعد التحقيق مع ليسيو جيللي والاستيلاء على مقر المنظمة وفحص وثائقها وأوراقها بتصريح من البرلمان الإيطالي بعد ضغوط من الحزب الديمقراطي المسيحي، كانت خلاصة تقرير الشرطة الإيطالية أن P2:

"منظمة إجرامية تشكل دولة مستقلة داخل الدولة الإيطالية، وتجند ويعمل في خدمتها وبتمويل منها أفراد يحتلون مواقع بارزة في المجتمع الإيطالي، في الصحافة، وفي البرلمان، وفي الشرطة والجيش، وفي البنوك والمؤسسات الصناعية، وفى الحكومة الإيطالية نفسها، وجرائمها تشمل الغش المالي والتحايل على البنوك والاغتيالات والإرهاب والاشتراك في

غسيل أموال ألمافيا".

واختراق P2 مع محفل الألب الأعظم لبنك الفاتيكان والصلة بينهما واشتراكهما في غسيل أموال المافيا عبره وعبر البنوك المملوكة له كشفه تفصيلاً ديفيد يالوب David Yallop في كتابه: باسم الإله In God's name، وبيني ليرنوكس Penny Lernox في كتابه: في البنوك نثق In banks we trust.

في كتابه ذكر ديفيد يالوب أن P2 كانت تتلقى في وقت واحد تمويلاً من المخابرات الأمريكية CIA ومن المخابرات السوفيتية KGB، وأنها كانت تسيطر على جهاز الشرطة الإيطالية سيطرة تامة طوال السبعينات من القرن العشرين، وأنها اشتركت مع منظمة الألوية الحمراء Red Brigades في التخطيط لاختطاف رئيس وزراء إيطاليا ألدو مورو Aldo Moro وقتله، وأنها هي التي قتلت روبرتو كالفي Roberto Calvi، رئيس بنك أمبروزيانو، لأنه كشف الصلة التي بينه وبين ليسيو جيللي واختراق P2 لبنكه التابع لبنك الفاتيكان.

وأما أكبر جرائم P2 وأعظمها فهي اشتراكها في قتل البابا يوحنا بولس الأول بدس السم له سنة ١٩٧٨م بعد شهر واحد من اعتلائه السدة البابوية، وهو ما نفاه الفاتيكان رسمياً وأيده ديفيد يالوب وكل من تتبعوا جرائم منظمة P2 واطلعوا على وثائقها.

حركة الجزويت اليسوعية

لا جديد تحت الشمس ، ولا في سيرة الحركات السرية وأساليبها.

فما حدث هو ما يحدث ويتكرر، لا لأن التاريخ يكرر نفسه ولكن لأن من صنعوا ما حدث بتكوينهم الذهني والنفسي ، وبغاياتهم وأهدافهم ، وبأساليبهم ووسائلهم هم أنفسهم من خلف ما يحدث.

فإليك صورة طبق الأصل من منظمة فرسان الهيكل وطريقة تكوينها وغلافها ومخالفة هذا الغلاف لحقيقتها ، حركة الجزويت اليسوعية.

في سنة ١٤٩١ م، وقد تساقطت ممالك الطوائف في الأندلس أمام زحف الإسبان الكوثوليك ، ولد إنيجو لوبيز Enigo Lopez قرب قلعة لويولا Loyola لأسرة من التجار الأثرياء في إقليم الباسك Basque شمال إسبانيا.

وفي سنة ١٥٠٩ م انضم إنيجو لوبيز إلى قوات أنتونيو مانريك دي لارا Antonio Manrique de Lara ، دوق ناجيرا Najera وحاكم مقاطعة نافار Navarre ، وخاض تحت إمرته معارك عديدة حتى غدا أشهر فرسانه.

وفي سنة ١٥١٢ م تمردت نافار على حكم الدوق وانتهى تمردها بانفصالها عنه في مملكة نافار المستقلة ، ومن حينها لم تنقطع المعارك بين الدوق دي لارا ومملكة نافار.

وفي سنة ١٥٢١ م ، وفي إحدى هذه المعارك ، حاصر الجيش الفرنسي- المظاهر لمملكة نافار قلعة بامبيلونا Pampelona التابعة لدوق دي لارا وأمطرها بالقذائف ، فأصيب إنيجو لوبيز وكسرت ساقه.

وفي أثناء فترة علاجه ونقاهته يقول إنيجو لوبيز في سيرته التي كتبها بنفسه Autobiography إنه قرأ عدة كتب عن حياة المسيح وأعماله ، وصارت تأتيه الرؤى وتنكشف له الغيوب نهاراً ، وزاره طيف القديس بطرس عدة مرات وهو يقظان ليهبه الإيمان والقوة والثبات.

وبعد شفائه قرر إنيجو لوبيز أن يهب نفسه وحياته من أجل هداية الكفار وإدخالهم في المسيحية ، وفي الأرض المقدسة تحديداً!

وبدء إنيجو لوبيز مشروعه لهداية الكفار في الأرض المقدسة بتغيير اسمه إلى إجناتيوس

دي لويولا Ignatius de Loyola ، ثم ارتحل في شهر مارس سنة ١٥٢٢ م إلى كنيسة القديسة مريم أو سانتا ماريا في مونتسيرات Santa Maria de Montserrat ، وهي منطقة جبلية شمال غرب برشلونه ، فانخلع من سيفه وعلقه أمام تمثال العذراء ووليدها.

وفي شهر سبتمبر سنة ١٥٢٣ م نظم إجناتيوس دي لويولا ، مع أصحابه ومن تبعوه وآمنوا برؤاه ورسالته التي نذر لها نفسه ، رحلة للحج إلى الأرض المقدسة من أجل التوبة والتبرؤ من الخطايا والانخلاع من الذات من أجل المسيح ، ولكنه لم يمكث في الأرض المقدسة سوى عشرين يوماً ، لأن أسقف الأرض المقدسة ونائب البابا فيها لم يرحب به ولم يطمئن إلى أقواله ولا طريقته فأمره بإتمام حجه والعودة إلى إسبانيا.

وعاد إجناتيوس دي لويولا وأصحابه المقربون منه من الأرض المقدسة إلى جامعة القلعة University of Alcala ، ثم منها إلى جامعة سلمنكا Salamanca ، وفي كل مكان يحل فيه هو ورفاقه يبدأ في الوعظ بين العوام في الأماكن العامة وتبشيرهم بالخلاص ، ويواكب وعظه وتبشيره تكوين تنظيم من الحواريات Female disciples يتبعه هو ورفاقه للتبشير والوعظ بين النساء.

وأثارت جولات دي لويولا ورفاقه ورفيقاته وما يفعلونه الشك والريبة عند محكمة التفتيش الإسبانية ، خاصة بعد اكتشاف وجود منظمة سرية في إسبانيا والاشتباه في أن دي لويولا أحد أعضائها ، فمثل إجناتيوس دي لويولا ورفاقه ورفيقاته أمام محكمة التفتيش للاستجواب والتحقيق حول أنشطتهم المريبة والغرض منها.

وبعد نجاته من محكمة التفتيش الإسبانية ترك دي لويولا وبعض من رفاقه إسبانيا كلها إلى باريس ومكثوا سبع سنوات في جامعة باريس لدراسة اللاهوت.

وفي صبيحة يوم ١٥ أغسطس سنة ١٥٣٤ م اجتمع إجناتيوس دي لويولا مع ستة من رفاقه في قبو Crypt كنيسة القديس دنيس Saint Denis في مونمارتر Montmartre ، وتعاهدوا على تكوين جمعية أو منظمة ونذرها ونذر أنفسهم من أجل مهمة واحدة محددة ، وأطلقوا على جمعيتهم اسم : صحبه يسوع Company of Jesus.

فأما المهمة التي نذروا أنفسهم وجمعيتهم لها ، فهي الدفاع عن الإيمان والخلاص الكاثوليكي ، وحماية الكنيسة والحفاظ عليها في مواجهة حركة الإصلاح البروتستانتي ،

وتكوين حركة كاثوليكية لمقاومتها.

وأما رفاق لويولا الستة الذين كون منهم جمعيته فهم : فرانسيس خافير Francis Xavier، وألفونسو سالميرون Alfonso Salmeron، وديجو لينز Diego Laynez،، ونيكولاس بوباديلا Nicholas Bobadilla ، والأربعة من إسبانيا ، وبيتر فابر Peter Faber من فرنسا ، وسيماو رودريجز Simão Rodrigues من البرتغال.

وفي سنة ١٥٣٧م ارتحل إجناتيوس دي لويولا مع أعضاء جمعيته إلى روما ليحصل على مباركة البابا وموافقته على تكوين منظمته ، وأذن البابا بولس الثالث Paul III في رسمهم كهنة وقساوسة ، فرسمهم أسقف أربي Arbe في فينيسيا في يوم ٢٤ يونيو سنة ١٥٣٧م ، وهو يوم عيد القديس يوحنا!

ولم يستطع إجناتيوس دي لويولا ورفاقه الانتقال بجمعيتهم الوليدة إلى الأرض المقدسة لبدء عملهم في تحويل أهلها إلى المسيحية كما كان يأمل ، لاندلاع الحرب بين الإمبراطور شارل الخامس Charles V المتحالف مع البابا وإمارة البندقية في مواجهة الدولة العثمانية منذ سنة ١٥٣٤م مما ترتب عليه غلق الطرق إلى الأرض المقدسة.

وفي سنة ١٥٤٠م قدم دي لويولا للبابا لائحة بنظام الجمعية وتكوينها وأهدافها بعد أن جعل اسمها جمعية يسوع Society of Jesus ، ليصبح أعضاؤها هم أتباع يسوع أو الجزويت Jesuits .

وفي ٢٧ سبتمبر سنة ١٥٤٠م أصدر البابا بولس الثالث مرسومه البابوي : Regimini militantis Ecclesiae بالموافقة على تكوين المنظمة وبدئها لنشاطها على ألا يزيد عدد أعضائها عن ستين عضواً ، وهو القيد الذي أزاله مرسوم البابا: Injunctum nobis الصادر في ١٤ مارس سنة ١٥٤٣م وبعد تحرر جمعية يسوع أو حركة الجزويت اليسوعية من قيد تحديد عدد أعضائها أطلق إجناتيوس دي لويولا بعد أن صار القائد الأعلى Superior General للمنظمة رسله وأتباعه إلى كل بلد في أوروبا من أجل تجنيد الأعضاء بالوعظ والتبشير ، وبإلقاء الخطب والمحاضرات ، وبإقامة المدارس والجامعات ، فانضم إلى عضوية الحركة مئات الكاثوليك في كان بلد تصل إليه.

وحين مات دي لويولا سنة ١٥٥٦م وتم تطويبه قديساً كان أعضاء منظمته قد بلغوا

ألف شخص ، ومع نهاية القرن العشرين وصل عددهم إلى ما يقرب من عشرين ألف عضو يعملون في أكثر من مائة دولة حول العالم في مجالات التعليم وحقوق الإنسان والأنشطة الخيرية والاجتماعية ومنظمات المجتمع المدني.

ثم صار التعليم وبناء المدارس وإقامة الجامعات والمعاهد التعليمية السمة العلنية الرئيسية لحركة الجزويت اليسوعية وأداتها المثلى في بث دعوتها ونشر أفكارها وتجنيد أتباعها في كل مجتمع تحل فيه غرباً وشرقاً.

والتعليم وبناء المدارس وإقامة الجامعات والمعاهد التعليمية صار النشاط العلني الرئيسي لحركة الجزويت لأن وجهها غير المعلن ، وإن لم يكن سرياً ، أنها ميليشيا الكنيسة الغربية وذراعها في مواجهة خصومها منذ تأسيسها ، وبكل وسيلة أو أسلوب تراه ما دامت تتحقق به غايتها المعلنة في الدفاع عن الكاثوليكية.

وحركة الجزويت اليسوعية ، بالضبط كأمها منظمة فرسان الهيكل ، قامت رافعة شعار الدفاع عن الكاثوليكية وحماية كنيستها ومواجهة الحركات والمذاهب المناهضة لها ، ولكن هدفها الحقيقي ، كما يقول موريس بيناي Maurice Pinay ، وهو كاثوليكي مخلص ، في كتابه : المؤامرة ضد الكنيسة The plot against the churche الذي تعقب فيه محاولات اختراق الكنيسة الكاثوليكية عبر التاريخ ، هدف حركة الجزويت الحقيقي ، كما يقول بيناي ، اختراق الكنيسة الغربية وتحوير عقائدها والسيطرة عليها وتغيير وجهتها لإزاحتها وعزلها.

إجناتيوس دي لويولا مؤسس حركة الجزويت اليسوعية وقائدها الأعلى والأب الروحي لها ولد أواخر القرن الخامس عشر وأفكار القبالاه أو التراث الباطني اليهودي ومعتقداتها وممارساتها تجتاح غرب أوروبا ، وتتكون بها الجمعيات والمنظمات والحركات ، وكلها تصارع الكاثوليكية وكنيستها من أجل إزاحتها من وعي الغرب وصداره مجتمعاته والحلول محلها.

وإسبانيا كانت البؤرة التي اندلعت من يهودها شرارة القبالاه ، لتتقد بها نارها في حواضر غرب أوروبا ومدنها واحدة في إثر أخرى.

وإحدى المنظمات التي تكونت بأفكار القبالاه في إسبانيا منبع القبالاه منظمة النور الإسبانية أو ألوس لومبرادوس Alos Lumbrados .

ومنظمة الألومبرادوس أو النور الإسبانية تكونت سنة ١٤٩٢م تقريباً ، والفلسفة الرئيسية للمنظمة ، كما تقول الموسوعة البريطانية وموسوعة ويكيبيديا ، أن الإنسان يمكنه أن يصل بروحه إلى درجة من الصفاء والكمال تجعله يدرك كنه الإله وتمكنه من التوحد به.

وحين يصل الإنسان إلى الكمال ويتوحد بالإله تكون الطقوس والشعائر والعبادات بلا فائدة ، وتفقد المقدسات قداستها ، ويصير الإثم مستحيلاً ، ويصبح الإنسان معصوماً Impeccable ، فيمكنه أن يطلق شهواته ويشبع غرائزه وأن يفعل كل الموبقات والآثام دن أن تتلوث روحه!

وإذا كنت يقظاً فتنبه أن هذه هي أفكار الحركات السرية التي مررنا بك عليها في كل عصر.

وأما فكرة التوحد بالإله عبر التأمل والتفكر في ذاته فهي لب القبالاه وعقيدتها الرئيسية.

في القبالاه أن الإنسان الأول كان متوحداً بالإله ثم صدر عنه على صورته ، وأنه بالتفكر والتأمل والممارسات الروحية يمكنه أن يرتقي ويعود إلى التوحد بالإله مرة أخرى.

وإجناتيوس دي لويولا الذي أسس حركة الجزويت اليسوعية من أجل حماية الكاثوليكية ومقاومة خصومها كان أحد أعضاء منظمة النور الإسبانية القبالية!

ويقول مؤرخ الحركات السرية جيم مارس Jim Marss في كتابه : الحكم بالسر Rule by secrecy إن إجناتيوس دي لويولا لم يكن أحد أعضاء منظمة الألومبرادوس أو النور الإسبانية ، بل كان رئيس المنظمة وأستاذها الأعظم.

وفي سنة ١٥٢٧م اعتقلت السلطات الإسبانية إجناتيوس دي لويولا ، وكان سبب اعتقاله اكتشاف منظمة الألومبرادوس واعتقال بعض أعضائها ، واتهمته السلطات رسمياً بعضوية المنظمة والسعي لتجنيد الرفاق والرفيقات لها.

وأمام المفتش العام في محكمة التفتيش الإسبانية ألونسو مانريك دي لارا Alonso Manrique de Lara طلب إجناتيوس دي لويولا المثول بين يدي البابا بولس الثالث ، فاستقبله البابا ، وانتهت المحاكمة بإطلاق سراحه مع توجيه إنذار شديد Admonition له بعقوبة قاسية إن عاد إلى ممارساته المشبوهة.

أما موريس بيناي المدافع عن الإيمان الكاثوليكي وكنيسته بحرارة فيقول في كتابة :

المؤامرة ضد الكنيسة إن إجناتيوس دي لويولا لم يكن فقط عضواً في الألـومبرادوس أو منظمة النور الإسبانية وأحد معتنقي القبالاه ، بل إنه هو نفسه كان يهودياً!

يقول بيناي إن أسرة لوبيز التي ينحدر منها إجناتيوس دي لويولا هي أسرة يهودية من أسر المارانو Marranos التي اضطرت إلى إخفاء يهوديتها والتظاهر بالمسيحية بعد سقوط ممالك الأندلس المسلمة خوفاً من بطش الإسبان الكاثوليك وفراراً من تعقب محاكم التفتيش.

وما قاله بيناي يؤكده جون توريل Jhon Torrel في دراسة له عن : كيف تحكم الحكومة العالمية الأمم How the world govrnment rules the nations ، ويؤكده ديفيد ليفنجستون David Livingstone في كتابه : الإرهاب والتنوير Terrorism and the Illuminati الذي تعقب فيه التنوير وأفكاره ومنظماته وتدبيراته لإسقاط المسيحية عبر التاريخ.

ويقول بيناي وتوريل وليفنجستون إن حركة الجزويت اليسوعية كاثوليكية رومانية في غلافها فقط ، أما قلبها فيهودي ، كونه ويسيطر عليه اليهود الأخفياء Crypto Jews ، وهم اليهود الذين يعتنقون ديانات المجتمعات التي يحلون فيها من أجل التوغل فيها والوصول إلى مناطق النفوذ والتأثير والسيطرة على مقاليدها.

فإليك مصداق ما قاله بيناي وتوريل وليفنجستون.

الاستراتيجية الرئيسية لحركة الجزويت في نشر أفكارها واختراق المجتمعات بها كانت إنشاء المدارس والكليات وإقامة الجامعات وتكوين أرقى المؤسسات التعليمية في كل بلد تصل إليه المنظمة من أجل اجتذاب أبناء الأغنياء والصفوة والطبقات العليا فيه ، والتي نمت وازدهرت وصارت مؤسسات شهيرة وراسخة مع مر السنين والقرون.

وإحدى ثمار هذه الاستراتيجية جامعة إنجولشتاد Ingolstadt اليسوعية في ألمانيا.

وأحد أساتذة القانون الكنسي Canon Law في جامعة إنجولشتاد اليسوعية وأحد أعضاء حركة الجزويت كان آدم فيسهاويت Adam Weishaupt ، وهو يهودي آخر مشكوك في يهوديته!

وآدم فيسهاويت هو الذي أسس سنة ١٧٧٦م الإليوميناتي أو منظمة النور الألمانية!

فالإليوميناتي هي الترجمة الألمانية واللاتينية الحرفية لكلمة ألومبرادوس الإسبانية ،

والإليوميناتي الألمانية والألومبرادوس الإسبانية ، هما معاً ، الترجمة الحرفية لاسم سفر زوهار Zohar في التلمود ، وهو المصدر الرئيسي للقبالاه!

فالأستاذ الأعظم لمنظمة النور الإسبانية هو نفسه مؤسس حركة الجزويت اليسوعية ، وأحد أبناء حركة الجزويت اليسوعية هو الذي أسس منظمة النور الألمانية!

والإليوميناتي أو منظمة النور الألمانية هي المنظمة التي دبرت مع المحافل الماسونية في المانيا وفرنسا للثورة في فرنسا ، وخطة الثورة الفرنسية وصناعة واجهاتها وتدريب كوادرها وتمويلها كان في محافلها(*).

فأستاذ القانون الكنسي في إحدى كليات حركة الجزويت اليسوعية ، التي قامت وغلافها الدفاع عن الكاثوليكية ، هو الرجل الذي كون المنظمة التي أسقطت العروش الكاثوليكية وأطاحت بالكنيسة الكاثوليكية من قلب أوروبا إلى هامشها!

ومن الجزويت نعود بك إلى فرسان الهيكل مرة أخرى.

كنيسة سانتا ماريا في جبل مونتسيرات التي بدء إجناتيوس دي لويولا رحلته للدفاع عن الكاثوليكية بالحج إليها هي إحدى الكنائس التي كرسها فرسان الهيكل في القرن الثاني عشر لعبادة العذراء السوداء، وتمثال العذراء ووليدها الذي علق إجناتيوس دي لويولا سيفه أمامه ليبدأ تكوين منظمته والصعود بها في العالم الكاثوليكي هو نفسه تمثال العذراء السوداء ، معبودة فرسان الهيكل!

* راجع حقيقة الثورة في فرنسا ومن الذي صنعها في كتابنا: اليهود والماسون في الثورات والدساتير. مكتبة مدبولي.

في عالم سر السر وأخفى الخفاء

فتش عن اليهود:

- عالم سر السر
- بذور
- الملك الإلهي
- الأسرة الميروفنجية
- ماخور اليهود
- القديس اليهودي
- الباباوات اليهود
- الحملة الصليبية يهودية
- خلف فرسان الهيكل
- أجداد وأحفاد

عالم سر السر

ما هي حقيقة ما حدث وما يحدث في العالم، وما هو تاريخه الحقيقي، وما هو مساره الذي يسير فيه، وهل سار العالم في مساره الذي سار فيه عفواً، وأحداثه التي صنعته هل كانت عشوائية وتحدث من تلقاء نفسها، فلا تدبير لأحد ولا غاية له من ورائها ومن ورائه؟

وهل الرواية التي يرويها المؤرخون لظاهر أي حادثة أو واقعة أو مسألة هي حقيقتها ؟

عالم التاريخ والمؤرخين هو عالم تتبع حركة الأحداث وتسجيلها، ورصد ظواهر الحوادث وتدوينها، هو عالم البيانات والوثائق والأرقام والإحصاءات واليوميات، وهو كله عالم القشرة الظاهرة التي يُحكم من يصنعها صياغتها لكي لا يُعلم من الأحداث إلا ما يريد، ولكي لا يُعرف مما أراد أن يُعرف إلا الوجه الذي يريد.

عالم التاريخ والمؤرخين هو عالم الغلاف الذي تُرصد أحداثه وحوادثه من أجل أن يُذهل صخبها وتلاحقها الأذهان عن الحقيقة التي في داخله.

وعالم التاريخ والمؤرخين، الغلاف، هو عالم الأحداث المتناثرة والحوادث التي لا رابط بينها والمسار العشوائي الذي سار في أدمغة المؤرخين بتراكمها وحده، فعالم التاريخ هو العالم الذي حدثت أحداثه وتحدث وحدها دون تدبير ولا هدف ولاغاية، صنعتها وصنعت المسار الذي تكون بها الملابسات والصدف والظروف.

عالم التاريخ هو عالم لا فاعل فيه، بطله الأحداث وحدها، فهي التي صنعت نفسها، ومن ثَم يُعنى المؤرخون فيه أشد عناية بالبحث والتنقيب وتتبع كل شيء ما عدا الإنسان!

أما عالم السر والخفاء فهو الطبقة الداخلية من الحقيقة وما تحت غلافها، عالم من صنعوا الأحداث فعلاً ومن حركوها وسيروها في مسارها حقاً، وليس من وُضعوا على صدرها ليكونوا واجهة تختفي بها الحقائق وينطمس المسار وتتموه الغاية.

فعالم السر والخفاء هو العالم الذي يحرص فيه من صنعوا الأحداث ورسموا مسار التاريخ على إخفاء أنفسهم حرص من كانوا من صنائعهم على البروز وإظهار أنفسهم.

عالم السر والخفاء الذي تُصنع فيه الأحداث ويُرسم فيه مسارها واتجاه التاريخ دون أن يراه ولا يفطن لوجوده أحد لأنه، كما يقول ألبرت بايك، العالم الذي يحكم من فيه العالم

بصنع من يحكمون، ويُسّيرون التاريخ إلى غايتهم وهم في قرارهم المكين في أذهان من يتصدرون أحداثه وفي نفوسهم.

وعالم السر والخفاء هو العالم الذي تتصل فيه أحداث العالم وتترابط حوادثه ليستبين باتصالها وترابطها المسار الذي يسير فيه تاريخ العالم والوجهة التي يتجه إليها، ولتسفر بهذا الاتصال والترابط وبظهور مسار العالم الحقيقي غاية من صنعها ورسمه.

في غلاف التاريخ وقشرته الخارجية أن العلوم الطبيعية سارت في مسارها الذي سارت فيه لتكون كل لبنة في صرحها معول هدم في بناء الأديان وستاراً لحجب مسألة الألوهية والوحي عفواً ودون تدبير من أحد، بل إفرازاً تلقائياً للظروف الاجتماعية والاقتصادية، ومساراً حتمته العلوم الطبيعية نفسها وما اكتشفته.

لكن في طبقة الحقيقة أن هذا المسار للعلوم الطبيعية الذي تخاصم عند بدايته العقائد وتنفى وحي الإله وتصطدم في كل خطوة منه بالوجود الإلهي لم يكن تلقائياً،بل كان قصداً مقصوداً وتدبيراً مدبراً.

فمسار العلوم الطبيعية كما تكون وعرفه العالم رسمته، ودفعتها ودفعت العالم إليه وسيرت أهلها فيه، يتبع اللاحق منهم السابق حركة الروزيكروشين والماسونية الاسكتلندية.

والثورة الفرنسية في عالم الرصد والتسجيل الأعمى صنعها الرعاع وكتل العوام ومصادفات التقت مع أزمات خانقة وظروف طاحنة.

لكن في حقائق عالم السر والخفاء أن الثورة الفرنسية كانت تدبيراً عبر القرون دبرته وسهرت عليه فى دأب المنظمات السرية ولم تكن هبة عشوائية وليدة لحظتها.

والوجهة التي اتخذتها فرنسا بعد الثورة وإعادة صنعها في صورتها التي صارت إليها لم يكن عفواً ولا إفرازاً تلقائياً للثورة وظروفها، بل كانت هي الوجهة المرسومة لها والصورة المرادة من قبل أن تكون ثورة ولا ثوار بمئات السنين.

والكشوف الجغرافية التي تغير بها تاريخ العالم لم تكن، كما سجلها المؤرخون في عالم رصد ظواهر الأحداث، إبحاراً من مجانين في ظلمات المجهول بلا وجهة ولا غاية ليكون ما اكتشفوه وغير وجه العالم وصفته وصبغته مجرد صدفة.

تاريخ العالم لم يغيره ويحول مساره المجانين، بل منظمة فرسان المسيح، خلفاء فرسان

الهيكل، وإبحارهم في ظلمات الأطلنطي كان من أجل غاية، وهي الغاية الخالدة التي يغلفها أصحابها في كل زمان بظروفه وفي كل مكان بظواهر أحداثه، أورشليم.

هل غزا نابليون بونابرت مصر وفعل ما فعل في الشرق لأنه فرنسي أم لأنه ماسوني، وهل غايته فيه كانت قطع طريق بريطانيا إلى الهند أم أن غايته هذه لم تكن سوى غنيمة وغلاف لغاية الماسونية الخالدة، أورشليم والهيكل؟

وهل غزا جورج بوش العراق ومزقه لأنه أمريكي أم لأنه أيضاً ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وهل غايته من غزوه وتمزيقه البترول أم أنه غنيمة وإخفاء لهدف نابليون وهدف كل ماسوني، هو هو نفسه ؟

للسؤال إجابتان، كل إجابة تصنع شخصاً وتكتب تاريخاً وترسم مساراً وتفتح باب عالم غير ما تصنعه وتكتبه وترسمه وتفتحه الإجابة الأخرى، فأيها الحقيقة وأيها التمويه؟

التاريخ والمؤرخون لا يعرفون عن نابليون إلا أنه فرنسي وعن بوش إلا أنه أمريكي، ولكن عالم السر والخفاء يقول إن نابليون وبوش كلاهما ماسوني ومن درجة واحدة، أعلى درجات الماسونية من الطقس الاسكتلندي.

فعالم التاريخ سقط منه ومما يرصده مؤرخوه ما يجمع بين من تصدروا الأحداث وتحركت بهم في ظواهرها الحوادث ليكون تفسيرها الوحيد هو الصدف وظروف زمانها وملابسات مكانها، ولكن طبقة الحقيقة وما وراء الغلاف والقشرة تكشف الروابط بينهم لتنتفي الصدف وتختفي الظروف وتتراجع الملابسات ويحل محلها صفة واحدة ومسار واحد ثابت إلى غاية خالدة لا تتغير.

في عالم التاريخ والرصد الظاهر فرنسيس بيكون فيلسوف العلم، وإسحق نيوتن عالم الفلك الأشهر، والأمير هنري الملاح مستكشف، وكولمبس بحار مغامر(*)، وبسمارك زعيم سياسي، وماتزيني ثائر قومي، ونابليون غاز وقائد عسكري، وجورج بوش رئيس قوة عظمى، ودافنشي رسام ومبتكر، وموتسارت موسيقار، فلا رابط بين أي اثنين منهما، لا في الزمان ولا في المكان ولا في المجال والموهبة.

لكن حقائق عالم السر والخفاء تربطهم معاً وتجمعهم جميعاً فيه، فإذا بيكون هو دافنشي،

(*) كولومبس، رائد الكشوف الجغرافية ومكتشف العالم الجديد، إيطالي الأصل من جنوة، وفي تراث الماسونية، كما ذكر بايك، أنه من يهودها.

ونيوتن هو الملاح، وكولمبس هو بسمارك، وماتزيني هو موتسارت، ونابليون هو بوش، يربطهم جميعاً تكوينهم الذهني والنفسي والغاية التي أرادوها، ويوحد بينهم من صنعوهم لتكون هذه هي أذهانهم ونفوسهم، وما غرسوه فيها ورووه هو الغاية التي أرادوها.

وعالم السر والخفاء هو عالم التاريخ في طبقته الداخلية، طبقة الحقيقة والمعامل التي تُصنع فيها الأحداث وتُدبر الحوادث ويُرسم المسار وتُصنع معها رؤوس من ينفذونها وتظهر أسماؤهم عليها، لكن نواة الحقيقة ولب لبابها ليست في عالم السر والخفاء، بل في عالم سر السر وأخفى الخفاء.

وعالم سر السر وأخفى الخفاء هو العالم الذي لا أحداث فيه ولا حوادث ولا بيانات ولا وثائق ولا محافل ولا درجات ولا أساتذة عظام.

هذا هو عالم الأفكار الخالصة، هي منبع ما يخطط ويدبر له عالم السر والخفاء، وهي الطاقة التي تتحرك بها وبآثارها أحداث عالم المؤرخين وحوادثه.

عالم سر السر وأخفى الخفاء هو نواة الحقيقة التي يخرج منها كل شيء، ويرتبط بها ويدور حولها، فأفكار العالم منها وحركته من آثارها ومساره من رسمها، وهو عالم الظلام الدامس الذي لا وجود له إلا في قراره المكين في أذهان أهله ونفوسهم ولا دليل عليه إلا ما تسرب منها.

بذور

في ثلاثينيات القرن العشرين شاعت أفكار فيلسوف التاريخ والمنظر الإيطالي جوليوس إيفولا Julius Evola، وهو نفسه مؤسس لجمعية سرية اسمها مجموعة اليو آر U R Group، شيوعاً كبيراً في مختلف أنحاء أوروبا وكانت ذا أثر هائل فى العديد من ساستها وزعمائها.

وكانت هذه الأفكار هي إحدى الدعامات التى استلهمها زعماء النازي، خاصة هينريش هملر Heinrech Himmler رئيس الجستابو Gestupo وهتلر Hitlr نفسه.

ونظرية إيفولا التي أشاعها فى كتاباته ومحاضراته هي أن الملك في تكوين العالم في كل عصوره قبل العصر الحديث كان يُعَد من قِبل الناس كائناً مقدساً تتجلى فيه فضائل الإله وقوته، وأن مؤسسات الدولة ومكوناتها كانت ترتكز في وعي الناس على أنها تراث مقدس، والدولة كلها كان لها معانٍ سامية وجليلة وليست مجرد أداة لتنظيم شؤون الناس وإدارة المجتمع.

ودعوةً للثورة والتمرد على العصر الحديث ونظامه ودوله ذكر إيفولا أن الإنسان لن يستعيد نفسه ولن تعود له إنسانيته إلا عبر صفوة تحمل روح الملكية وتجرى في عروقها دماؤها السامية.

وفي كتاباته ذكر إيفولا أن الدم الملكي المقدس موجود وانه مازال يجري في عروق بعض البيوت الملكية، والتي ورَّثت دماءها الملكية السامية للأسر التي انحدرت منها وما زالت تعيش فى أوروبا.

واعتبر إيفولا أن جودفروا دي بويون Godfroi de Bouillon، حاكم مملكة أورشليم الصليبية إبان الحملة الصليبية الأولى، هو الملك النموذجي دماءً ومعنى ورمزاً.

وصاغ إيفولا أفكاره صياغة نظرية متكاملة في كتابه: ثورة على العالم الحديث Revolt against the modern world.

وفى سنة ١٩٢٨م نشر والتر يوهانس شتاين Walter Johannes Stein أطروحته التي حصل بها على درجة الدكتوراه بعنوان: القرن التاسع، تاريخ العالم فى ضوء الكأس المقدسة The ninth century.World history in the light of the Holy Grail

وفى أطروحته وكتابه وضع شتاين نظرية لتفسير الأحداث التاريخية المرتبطة بتاريخ الجريل والرموز الكامنة في رواياتها وما يتصل بها من أحداث، وفى كتابه وضع شتاين سلسلة نسب أو شجرة عائلة وأطلق عليها اسم: شجرة نسب الجريل أو دماء الجريل المقدسة Holy Grail Bloodline.

وشجرة النسب التي ألحقها شتاين بكتابه تتكون من فرعين، فرع يتصل بالأسرة الملكية التي كانت تحكم فرنسا، والآخر يمتد في التاريخ حتى جودفروا دي بويون.

وكانت فرضية شتاين التي دعمها بشجرة النسب التي وضعها أن الأشخاص والأسر المتصلة بالدماء الملكية وانحدرت منها كانوا على علم في حياتهم بذلك، وأن كل جيل منهم يرث شجرة النسب عمن سبقه، ويتوارثون معها المعلومات التي تخبرهم عن أصولهم الملكية وعن الدماء السامية التي تجرى في عروقهم والأرواح المقدسة التي تسري في أجسامهم.

وكانت خلاصة ما وصل إليه شتاين أن القوى الروحية والمعاني السامية التي تمثلها الجريل وواياتها كانت تتجلى في أعمال هؤلاء الأفراد وفى حياة هاتيك الأسرة الملكية، وأن هذا التجلي فى الأفعال والحياة والتكوين العقلي والروحي كان أحد المؤثرات القوية والخفية في تكوين المجتمعات الأوروبية، وفي صناعة أحداث تاريخها.

وفى سنة ١٩٦٠م نشرت مجلة تاريخية هي Les Cahiers de l'Histoire مقالة للؤرخ الفرنسى لويس سوريل Louis Saurel عن الملك داجوبرت الثاني Dagobert II امتدح فيه الأسرة الميروفنجية Merovingian التي كانت تحكم فرنسا من القرن الخامس حتى القرن الثامن الميلادي، وما شهدته فرنسا في عصرها من خصوصية واستقلال عن البابوية قبل أن تقع في قبضة الأسرة الكارولنجية Carolingians، حجاب القصور(•) Myors of the palace الذين أفقدوها استقلالها وحولوها إلى ولاية تابعة للفاتيكان.

(•) حجاب القصور مصطلح يطلق على الأسرة الكارولنجية من باب السخرية والاستهزاء، لأنهم كانوا بالفعل قبل استيلائهم على عرش فرنسا حجاباً لملوك الأسرة الميروفنجية.

الملك الإلهي

في سنة ٢٠٠٠ م صدر عن دار نشر Element Books كتاب: Rex Deus، وعلى غلافه الأمامي هذه العبارة:

السر الحقيقي لرينيه لوشاتو وسلالة المسيح

وعلى غلافه الخلفي عبارتان،الأولى هي:

سر يمكنه أن يهز الكنيسة ويقوض أصولها

والثانية:

مؤامرة عبر القرون تشمل دماً مقدساً

A Conspiracy that spans Centuries involving a Sacred bloodline

وRex Deus، عنوان الكتاب الذي اختاره له مؤلفوه الثلاثة: ماريلين هوبكنز Marilyn Hopkins، وجراهام سيمانز Graham Simmans، وتيم والاس ميرفي Tim Wallace Murphy، عبارة لاتينية، ترجمتها الحرفية: الملك الإلهي.

في بداية الكتاب يقول تيم والاس ميرفي إن المصادفات جمعته بشخص نحيل الجسم غريب الأطوار ذكر أن اسمه ميشيل Michael دون أن يذكر لقبه ولا صفته.

وإخفاء مؤلفي الكتاب لشخص ميشيل غريب الأطوار، ومعلوماته هي مصدرهم الأساسي وصلب الرواية التي أوردوها للتاريخ، فتح الباب للتخمينات عمن يكون.

وجل من فحصوا الكتاب يرجحون أن هذا الشخص الغريب مصدر معلومات مؤلفيه هو ميشيل، أمير ألباني Prince Michael of Albany.

والأمير ميشيل المولود سنة ١٩٥٨م في بروكسل اسمه ميشيل روجر لافوس Michael Roger Lafosse، وهو ليس أميراً حقيقياً، فهو لا ينتمي لأحد من الأسر الملكية الأوروبية.

غير أنه في سنة ١٩٧٩ م اتخذ ميشيل لافوس لقباً له هو: الأمير ميشيل جيمس ألكساندر ستيورات، الكونت السابع لألباني.

HRH Prince Michael James Alexander Steuart, The count of Albany

وفي تفسير اللقب الذي صار علماً عليه يقول الأمير ميشيل إنه سليل أسرة ستيوارت

التي كانت تحكم اسكتلندا.

وأسرة ستيوارت عند المؤرخين انقرض نسلها من الرجال، أو فرع الرجال فيها، بوفاة هنري بنديكت ستيوارت Henry Bendict Steuart الملقب بالملك هنري التاسع King Henry IX سنة ١٨٠٧ م، وكان أخوه الأكبر تشارلز Charles قد مات سنة ١٧٨٨م ولم يخلف سوى ابنة واحدة هي تشارلوت دوقة ألباني Charlotte، Duchess of Albany.

ويقول الأمير ميشيل إن ما دونه المؤرخون ليس صحيحاً، وأن نسل آل ستيوارت لم ينقرض بوفاة هنري ستيوارت، فقد تزوج أخوه الأكبر تشارلز ستيوارت بمباركة البابا زواجاً شرعياً من الأميرة لويس أوف ستولبرج Louis of Stotberg، لكنه تزوج بعد ذلك سراً من امرأة أخرى، هي مرجريت كونتيسة ماسيلان Marguerete O, Dea Contesse de Massilan، وقد أثمر هذا الزواج الثاني سنة ١٧٨٦م ولداً هو إدوارد جيمس ستيوارت، كونت ألباني، وميشيل هو حفيده.

وقد دعم الأمير ميشيل دعواه بحفظ نسل آل ستيوارت فيه وأنه وريثها الشرعي بشجرة نسب مفصلة لآل ستيوارت ينتهي فيها نسلها به، ثم أصدر في سنة ١٩٩٨م كتاباً عن: ملكية اسكتلندا المنسية The Forgotten Monarchy of Scotland.

وفي كتابه هذا عرض ميشيل الزيجات المجهولة لأسرة ستيوارت الملكية وما أثمرته من مواليد عبر تاريخها، وعلى رأسها زواج تشارلز ستيوارت من كونتيسة ماسيلان الذي كان هو ثمرته.

أما تيم والاس ميرفي فيقول في كتاب: الملك الإلهي إن ميشيل الذى جمعته به المصادفات قد أخبرة هو ورفيقيه مؤلفي الكتاب أنه:

"أحد أفراد مجموعة من الأسر ينحدر فرع منها من نسل داوود الملك والأسرة الحشمونية Hashmonean التي كانت تحكم إسرائيل التوراتية، ويعود الفرع الآخر من هذه الأسر إلى رؤساء الكهنة الأربعة والعشرين الذين كانوا يحكمون الهيكل الثاني، ومن ثَم فهذا الفرع الثاني يمتد في نسبه إلى هارون Aaron، لأن كهانة الهيكل في الشريعة اليهودية محصورة في نسل هارون. وهذا هو السبب في أن كل الأحبار والكهنة في أوروبا لا تقبل رسامتهم أحباراً وكهاناً إلا بعد إقرارهم أن نسبهم يمتد إلى هارون".

وهذه الأسر عندها شجرة نسب تعود بأصولها ودمائها إلى داوود وإلى رؤساء كهنة بني إسرائيل فى عهد المسيح وزمن تدمير الهيكل الثاني، ومنها إلى هارون.

وتقوم هذه الأسر بتوريث نسبها وأصولها عبر الأجيال سراً، وفي كل أسرة واحد منها فقط يؤتمن على شجرة النسب ووثائق الأسرة التي تحوي أصولها وما تفرع منها، وتاريخها الخبيء المحجوب بما يعلن من تاريخها الظاهر.

وهذا الواحد المؤتمن على شجرة النسب والوثائق يختار واحداً من أبنائه، الأكبر سناً أو الأرشد عقلاً أو الأكثر إخلاصاً أو الأقوى إيماناً، ليُورثه ما ورثه.

وتحفظ هذه الأسر نقاء نسبها وتحافظ على صفاء دمائها بالمصاهرة والزواج فيما بينها، وقد ظل أمرها سراً محصوراً بينها عبر التاريخ وطوال ألفي سنة ولم يتسرب منه شئ ويظهر إلى العالم إلا في أواخر القرن العشرين!

وتسمي هذه الأسرة المنحدرة من داوود والأسرة الحشمونية ومن حكام الهيكل الثاني من الكهنة نفسها فيما بينها: أسر الملك الإلهى Rex Dues Families، أى الأسر التي تنحدر من الملك الذي اختاره الإله ليحكم باسمه وليكون الحكم باسمه محصوراً في نسله.

يقول ميشيل إنه قبل سقوط أورشليم في يد الرومان سنة ٧٠م كان يوجد في الهيكل مدرستان داخليتان منفصلتان، إحداهما للصبيان والأخرى للفتيات، يديرهما ويعلم الفتية والفتيات فيهما كبار الكهنة.

ومدرسة الفتيان كانت تخرج كهنة الهيكل والربانيين والأحبار ليكونوا صفوة المجتمع اليهودي وقادته، وكان تلاميذ هذه المدرسة يختارون من أشرف العائلات الثابت انحدارها من سبط لاوي Tribe of Levi، ذلك أن الكهانة في بني إسرائيل كانت وراثية، فلا كهانة ولا كهان إلا فى نسل هارون من سبط لاوي.

وكان هؤلاء الفتيان ملزمين بحكم الشريعة وبالعرف بين بني إسرائيل أن يتزوجوا من بنات السبط، مع السماح لمن شاء أن يتزوج من بنات الأسباط الأخرى شريطة ألا يترقى في مراتب الكهانة.

ورؤساء كهنة الهيكل الأربعة والعشرون كانوا هم قمة هرم الديانة اليهودية وصفوة بني إسرائيل، فهم قادة الشعب اليهودي ومرشدوه، ولم يكن يجوز شرف دخول قدس الأقداس أحد غيرهم.

وبعد سقوط الهيكل سنة ٧٠م وهدم الإمبراطور الروماني فسباسيان Vespesian له فر رؤساء الكهنة وأسرهم ومن تبعهم ليتناثروا في أرجاء الأرض، واستقر عدد كبير منهم في ربوع أوروبا خاصة أوروبا الغربية.

والتقاليد التي ورثتها هذه الأسر وما انحدر وتفرع منها تقضي بأن يندمج أفرادها فيما حلوا فيه من مجتمعات وما وجدوا فيه من ثقافات، وأن يتظاهروا باتباع الدين السائد فيما نزلوا فيه من بلاد وعاشوا بينه من أقوام، ولكنهم يتوارثون سراً ديانتهم الحقة وعقائدها وأفكارها وتعاليمها ويتوارثون معها أنسابهم ودماءهم.

وقد كان دافع هذه الأسر لإخفاء أصولها وأنسابها واندماجها الظاهر في ثقافات ما حلوا به من أمم وأقوام وفي دياناتهم، خلافاً للسواد الأعظم من اليهود ممن يعلنون أنسابهم ويظهرون عقائدهم ويمارسون شعائرهم، أنها تتوارث مع أنسابها ودمائها ومع عقائدها وتعاليمها هدفاً تريد الوصول إليه وغاية تريد توجيه مسار التاريخ في الاتجاه الذي يفضي إلى تحقيقها ولو بعد آلاف السنين.

وهذا الهدف لا يمكن الوصول إليه، وهذه الغاية لا يمكن تحقيقها، مع تبعثرهم بين الأمم وافتقادهم للقوة والسلطة، ومع سيطرة الإمبراطورية الرومانية والكنيسة الكاثوليكية على أوروبا، إلا بالتغلغل في نسيج مجتمعاتها والوصول فيها إلى مواقع السيطرة والتوجيه التي تمكنهم من تحويل دفتها وتوظيف أحداثها وتوجيه مسارها نحو الهدف وفي اتجاه الغاية.

وهذا الهدف الذي يدور حوله وجود هذه الأسر وهذه الغاية التي تتوارثها وتدفع مسار التاريخ نحوها هي استعادة أورشليم وإعادة بناء الهيكل!

ويقول هوبكنز ورفاقه إن مصدر معلوماتهم، ميشيل، أخبرهم أنه من نسل هوج دي بايان مؤسس فرسان الهيكل وأول أساتذتها العظام، الذي ينتمي هو نفسه إلى مجموعة أسر الملك الإلهي، وأن أسرة ميشيل، بسبب انحدارها من هوج دي بايان عبر الزواج والمصاهرة، هي وارثة فرع أسر الملك الإلهي ووارثة سرها والحافظة له والقيمة عليه في المملكة المتحدة.

وطوال عصور الظلام الغربي وهذه الأسر التي تنحدر من داوود وسبط يهوذا ، سبط المُلك، ومن هارون وسبط لاوي، سبط الكهانة،لا تفعل شيئاً ظاهراً يكشف حقيقتها، لم

تكن تفعل شيئاً سوى الانتشار في أوروبا وآسيا الصغرى، والتوغل في مجتمعاتها والالتحام بنسيجها، وتقوية مراكزها والصعود مع الطبقات الصاعدة إلى قمتها، والتسلل إلى مواقع السيطرة والتوجيه فيها.

فأحد فروع أسر الملك الإلهي هذه صار مع الوقت هو صلب الأسرة السكسونية Saxon Family الحاكمة في إنجلترا.

وفي فرنسا امتزج فرع آخر من هذه الأسر مع الأسرة الميروفنجية التي وصلت إلى حكم فرنسا في القرن الخامس الميلادي.

وأحد الفروع، وهو آل سيتوارت، وصل إلى عرش اسكتلندا ليصير هو أسرتها الحاكمة.

وأحد أبرز هذه الأسر وأحد أكبر النماذج على تغلغلها في نسيج المجتمعات الأوروبية وما تمكنت من الوصول إليه من نفوذ وسلطة وما تبوأته من مواقع التأثير والسيطرة آل سان كلير.

فآل سان كلير هم إحدى الأسر التي تنحدر من بني إسرائيل الهاربين من أورشليم إبان سقوطها في يد الرومان وتدمير الهيكل إلى أوروبا.

وباتباع الاستراتيجية التي ابتدعتها أسر الملك الإلهي، والتي تقضي بالاندماج في المجتمعات والتظاهر باعتناق ثقافاتها والإيمان بأديانها وتدعيم نفوذها فيها والصعود إلى سدتها بالزواج والمصاهرة وبالتجارة وبعقد الأحلاف والمشاركة الباسلة في حروبها ضد أعدائها، تمكن آل سان كلير من الوصول إلى مكانتهم الرفيعة داخل النسيج الأوروبي.

فأول من يصل من آل سان كلير إلى نورماندي شمال غرب فرنسا هو أورولوف Horolof أو رولو Rollo الملقب بالضوء الساطع Santos Claros، بن رونجفالد العظيم Rongvald The Mighty، والذي أخذت الأسرة من لقبه اسمها.

ورولو اسم يهودي، وأسرته كانت إحدى الأسر المتحالفة مع قبائل الفايكنج Viking التي غزت نورماندي في القرن التاسع الميلادي، ومع استيلاء الفايكنج على نورماندي صار رولو سان كلير أول دوق لنورماندي.

وبعد استقراره في نورماندي تحول رولو وأسرته إلى المسيحية، وقد كانت الأسرة كلها قبل غزو نورماندي وثنية كجماعات الفايكنج التي كانوا يعيشون بينها، فلما انتقلوا بالغزو من الوسط الوثني إلى الوسط المسيحي تحولوا إلى المسيحية اتباعاً لتعاليم أسر الملك الإلهي

المتوارثة.

وهو ما يؤكده تاريخ آل سان كلير، فقد بنوا في المسيحية كنيسة، هي روزلين، ليس فيها ولا في تصميمها وما تحويه ولا في ما تشهده من طقوس ولا ما يخرج منها من أفكار شيء له علاقة بالمسيحية سوى اسمها.

وبعقد الأحلاف مع الأسر الكبيرة والمؤثرة في نورماندي وما حولها، وبالغزو والفتح تمكن رولو الداهية العاشق للحروب من تمكين سلطته ونفوذه والاستيلاء على أراض شاسعة.

ثم سعى خلفاؤه من آل سان كلير إلى ربط الأسرة بالزواج والمصاهرة مع مجموعة من الأسر القوية والعريقة في فرنسا وما حولها كآل جيزور Gisors، وآل شومو Chaumont، وآل بلوا Blois، وأسرة كونت شامبان Champagne، وأسرة كونت بولون Boulogne، وهى كلها أسر تقع في محيط دائرة أسر الملك الإلهي، وتنحدر حسب شجرة أنسابها التي تخفيها وتتوارثها من نسل داوود وهارون.

وخلال عدة أجيال كانت أسرة سان كلير قد صارت صلب طبقة نبلاء نورماندي وطبقا لرواية ميشيل، مصدر معلومات هويكنز ورفاقه، فإن وليم الفاتح الذي عبر المضيق إلى انجلترا واستولى على حكمها كان هو نفسه من أحد فروع النساء في أسرة سان كلير وترتبط أسرته بفرع الرجال فيها عن طريق المصاهرة، وهذا هو سبب تحالف آل سان كلير معه في غزو إنجلترا ومشاركة والدرن سان كلير مع ابنه وتسعة من أسرته في معركة هاستنجز.

وانتقال آل سان كلير إلى اسكتلندا بعد خلاف وليم سان كلير مع وليم الفاتح، وترحيب الملكة مرجريت والملك مالكولم به، ورفعه إلى رئاسة قصرهما، وتمكين آل سان كلير في اسكتلندا وتحالفهم مع ملوكها كان لأن مرجريت ومالكولم وأسرة ستيوارت الحاكمة لاسكتلندا هي كلها إحدى أسر الملك الإلهي.

وعلى ذلك فآل سان كلير لم يكونوا مجرد حلفاء لآل ستيوارت، بل هم إخوانهم وأبناء عمومتهم من بني إسرائيل، وغايتهم من التاريخ وهدفهم في العالم واحد!

ومع شروق شمس القرن العاشر الميلادي على أوروبا كانت مجموعة أسر الملك الإلهي المنحدرة من سبط يهوذا ومن سبط لاوي قد أصبحت أسراً مسيحية خالصة في ظاهرها،

تندمج في المجتمعات المسيحية في أوروبا وتصعد إلى قمتها وتصير صفوتها وتقاتل باسمها ومن أجلها دون أن تعتنق المسيحية حقاً ودون أن تمارس شيئاً من طقوسها، بل وهى تتماسك بالزواج والمصاهرة كنخبة وصفوة تجمعها أصولها ونسبها، ويربط بينها اعتقادها أنهم الملوك الذين اختارهم الإله للحكم باسمه Kings of God، ويوحدها غايتها الخالدة، استعادة أورشليم وحكم العالم من هيكلها!

وقد تتشكك ويأخذك العجب: أمن المعقول أن تعيش عشرات الأسر أو مئاتها قروناً مزدوجه الهوية ويخالف ظاهرها باطنها، فتتوارث عقائدها وأهدافها وغاياتها وأنسابها في الخفاء وتعيش حياة أخرى بين الناس داخل المجتمعات التي حلت فيها في العلن؟!

وربما تساءلت: كيف استطاعت هذه الأسر أن تتوغل عبر هذه القرون كلها في المجتمعات الغربية وتتمكن من الصعود إلى رأسها والسيطرة عليها دون أن يفطن إليها ولا أن يدرك حقيقتها وما الذي تفعله وتسير إليه هذه المجتمعات أحد فيها؟

فإليك ما يزيل عجبك ويزيدك يقيناً ويرد على تساؤلك في ثنايا قصة أخرى، أو القصة نفسها في زمان آخر ومكان آخر.

إليك صورة طبق الأصل من أسر الملك الإلهي، ألا وهي يهود الدونمه.

في سنة ١٦٢٦م ولد في إزمير في تركيا شَبتَاي زئيفي Sabati Zevi، وكان أبوه مردخاي زئيفي تاجراً غنياً ينحدر من إحدى الأسر المهاجرة من إسبانيا التي فتحت لهم الدولة العثمانية أبوابها واستقبلتهم بترحاب يعيشوا في كنفها آمنين بعد سقوط الأندلس وطرد الإسبان الكاثوليك لهم.

وأتم شبتاي زئيفي دراسة التوارة والتلمود على يد مشاهير الحاخامات في عصره ثم صار حاخاماً.

وفي سنة ١٦٤٨م أعلن شبتاي في أتباعه وتلاميذه أنه الهامشيحاه أو المسيا Messiah الذي ينتظر اليهود إرسال الرب له من نسل داود ليخلصهم ويعود بهم إلى أرضهم المقدسة، ثم أصدر بياناً وجهه إلى اليهود في كل مكان من العالم يعلنهم فيه أنه:

"أول ابن للإله شبتاي زئيفي الهامشيحاه مخلص شعب إسرائيل، إلى جميع أبناء إسرائيل، لما كان قد قدر لكم أن تكونوا جديرين برؤية اليوم العظيم وإنجاز وعد الإله لأبنائه... لأنكم لن تبكوا بعد الآن، فاستمتعوا وغنوا واستبدلوا باليوم الذي كان يمضي

من قبل في حزن وآلام يوم عيد لأني قد ظهرت".

وبدأ شبتاي وأتباعه التبشير بين اليهود بظهور الهامشيحاه واقتراب الخلاص، وأرسل رسائله إلى التجمعات اليهودية، فاستنفرت دعوته اليهود في كل مكان من الدولة العثمانية، وفي كل بلد وصلت إليه في أوروبا، وصارت كل الجماعات اليهودية تقريباً من بولندا إلى كييف من أتباعه.

وقدمت على شبتاي زئيفي وفود اليهود من تركيا وألبانيا واليونان ورودس وألمانيا، وامتنع اليهود في الدولة العثمانية عن الدعاء في معابدهم للسلطان العثماني محمد الرابع وأبدلوا به الدعاء للهامشيحاه شبتاي بن سليمان بن داوود.

وطاف شبتاي زئيفي في أنحاء الدولة العثمانية، وارتحل إلى سالونيكا في اليونان، ثم إلى فلسطين فأعلن في القدس أنه:

" الهامشيحاه المتصرف في مصير العالم كله".

وفي غزة تبعه حاخامها ناتان ليفي الغزاوي وصار داعيته والمبشر به بين اليهود في كل مكان.

وفي القاهرة آمن به رئيس الطائفة اليهودية في مصر رفائيل يوسف جلبي وجمع له الأموال من أجل تخليص أورشليم.

ثم في سنة ١٦٦٦م واليهود في كل مكان من الدولة العثمانية، وفي كل بلد في أوروبا يجمعون الأموال والسلاح والذخائر ويعدون العدة للزحف إلى أورشليم أمر السلطان العثماني محمد الرابع، بناء على شكوى من حاخامات تركيا وبولندا الأرثوذكس، باعتقال شبتاي زئيفي ومحاكمته.

فلما مثل شبتاي زئيفي أمام المحكمة خيَّرته في حضور السلطان بين توبته وتراجعه عن دعوته أو أن يأتي بمعجزة يثبت بها أنه المسيح المنتظر، والمعجزة التي طلبتها المحكمة هي أن يقبل شبتاي أن يجردوه من ثيابه ويجعلوا جسده غرضاً لسهام المهرة من الرماة، فإن لم تصبه السهام بأذى ولم يمت صدقوه وكان هو الهامشيحاه!

وكان رد شبتاي على المحكمة أن أعلن إسلامه وأطلق على نفسه اسم محمد عزيز أفندى، وعينه السلطان في وظيفة حاجب القصر السلطاني، فصار اسمه الجديد: محمد أفندي البواب.

ومن حينها صار شبتاي زئيفي رجلين مختلفين، أو رجلاً واحداً له ظاهر لا علاقة له بباطنه، فهو في العلن محمد أفندي المسلم الذي يصوم ويقيم الصلوات، وفي السر هو شبتاي زئيفي اليهودي والهامشيحاه مخلص اليهود.

وبعد شيوع نبأ إسلامه أرسل شبتاي زئيفي رسائله إلى أتباعه ومريديه لينشروها في كل مكان أن:

" شبتاي القديم صعد إلى السماء، وبأمر من يهوه حل محله هامشيحاه آخر، ولكن تحت جبة وعمامة".

وأن:

"الملائكة قد أتتني وقالت لي: أنت الهامشيحاه الذي سيخلص الأمة اليهودية، ولكن عليك أن تظهر الإسلام لكي تتمكن من تخليص اليهود ".

وارتابت السلطات العثمانية في شبتاي زئيفي فاعتقلته داخل معبد يهودي محاطاً بأتباعه يقرأون مزامير داوود ويتدارسون التلمود، فحكم عليه بالنفي إلى دولسينجو في ألبانيا، فظل فيها إلى أن مات سنة ١٦٧٥م.

وكان قد انفض من حول شبتاي ودعوته بعد أن أعلن إسلامه من كان قد اجتمع إليه من اليهود ما عدا مائتي أسرة يهودية بقيت على إيمانها به وتصديقها لدعوته واتباعها لتعاليمه الجديدة التي كان هو قدوتهم فيها وأوفى نموذج لها.

وهذه الأسر المائتان هي ما أتيناك بموجز سيرة شبتاي زئيفي ودعوته من أجله.

فقد صارت هذه الأسر التي هاجر أغلبها إلى سالونيكا طائفة جديدة لا هي باليهودية ولا هي بالمسلمة، بل هي يهودية ومسلمة في الوقت نفسه.

وهذه هي طائفة الدونمه Donmeh، وهي كلمة تركية تعني لغوياً المرتدين أو العائدين، والتي انقسمت بعد موت شبتاي زئيفي على يد خلفائه إلى ثلاث فرق، اليعقوبية، والقره قاشية، والقابانجية أو القبانجيلرية.

وطائفة الدونمه عبرت عشرات السنين ومئاتها دون أن يعلم أحد من خارجها عن حقيقتها شيئاً، بل ودون أن يعلم أحد أصلاً أنه توجد طائفة اسمها الدونمه.

ظلت هذه الأسر عبر القرون تعيش مسلمة بين المسلمين في تركيا، وتسمي أبناءها وبناتها بأسماء مسلمة، وتوقر التعاليم الإسلامية، وتصلي في المساجد وتصوم رمضان

وتحتفل بعيدي الفطر والأضحى اتباعها لإحدى تعاليم العقيدة الجديدة التي وضعها شبتاي زئيفي لأتباعه، وهي:

"يجب مراعاة عادات الأتراك المسلمين ذراً للرماد في أعينهم، وعدم إظهار الضيق من صوم رمضان أو عند تقديم الأضحية".

أما في سرها وخفائها وفيما بينها كانت هذه الأسر يهودية، يحمل كل فرد من أفرادها اسماً عبرياً يقابل اسمه التركي ولا يُنادى به إلا بين أسرته، ويصلون صلوات اليهود ويتعبدون طبقاً لشعائرهم، ويتعلمون التوراة والتلمود، ولا يتزاوجون إلا من بينهم، وتدون كل أسرة منهم تاريخها وشجرة نسبها ومصاهراتها في سجلات مخطوطة يرثها كل جيل فى هذه الأسر عن سابقه، فيضيف إليها ويسلمها إلى لاحقه، ولا يطلع الفرد منهم على نسبه ونسب أسرته وتاريخها وتاريخ الطائفة وتعاليمها إلا مع وصوله إلى سن البلوغ.

وظلت سجلات أسر الدونمه ووثائقها سراً خفياً إلى أن شب حريق في سالونيكا سنة ١٩١٧م فالتهم جزءًا كبيراً من هذه السجلات والوثائق، وما تبقى منها استقر به المقام في مثواه ومستقره في أرشيف سري في مكتبة الجامعة العبرية في إسرائيل، ولا يسمح بالاطلاع عليه إلا لأفراد نادرين، وبضوابط وإجراءات صارمة.

وأول مصدر يشير إلى وجود طائفة اسمها الدونمه ويذكر شيئاً من تاريخها وتعاليمها كان في بداية القرن العشرين، بعد مائتين وخمسين عاماً من نشأة الطائفة، وبعد أن وصل تعدادها إلى ما يقرب من عشرين ألفاً، وبعد أن كانوا قد توغلوا في جسد تركيب العثمانية وتدفقوا فى شرايينها وسروا فى أعصابها وسيطروا على مفاصلها وكونوا مع الماسون واليهود التقليديين الحلف الذي أسقط الخلافة العثمانية.

ففي سنة ١٩٠٠م نشرت في الأستانة رسالة صغيرة بعنوان: الدونمه كانت أول مصدر مطبوع يُعرف منه أنه توجد طائفة اسمها الدونمه، تلاها سنة ١٩١٧م أول كتاب عن الدونمه لمؤرخ اسمه روزانس، ولأنه دونمي فقد كان المؤرخ الوحيد الذي دخل مكتبة القابانجية قبل احتراقها في حريق سالونيكا سنة ١٩١٧م.

وفي أول يوم من سنة ١٩٢٤م أرسل رشدي قره قاش زاده، وهو دونمي نشأ بينه وبين طائفته نزاع عنيف عقب طلاقه لزوجته فاتهمته الطائفة بالجنون فخرج عليها، أرسل رسالة إلى البرلمان التركي يكشف فيها أسرار الطائفة وما فعلته عبر القرون من أجل نشر

الانحلال والفساد في تركيا وعملها على إسقاط الدولة العثمانية.

وقد نشرت رسالة رشدي قره قاش في صحيفة: وقت التركية في حينه، ونشر نصها نقلاً عن جريدة وقت المؤرخ التركي مصطفى طوران في كتابه: يهود الدونمه، ورسالة قره قاش هي الآن ضمن الأرشيف السري للدونمه في إسرائيل.

أما ما الذى كان يفعله يهود الدونمه في تركيا عبر القرون فهو نفسه ما كان يفعله اليهود من أسر الملك الإلهي في الغرب: التغلغل في نسيج المجتمع والإندماج الظاهر فيه من أجل الصعود إلى سدته والوصول إلى مواقع التوجيه والسيطرة من أجل تغيير وجهته واتجاه الدولة ودفعها نحو غاية التاريخ اليهودي وهدفه.

إحدى أكبر القنوات التي توغل الدونمه عبرها في نسيج المجتمع التركي الطرق الصوفية المنتشرة في طول تركيا وعرضها.

اندس كثير من الدونمه في تكايا الطرق المولوية والملامتية والبكتاشية والخلوتية، بل ومول يهود الدونمة إنشاء بعض التكايا مثل تكية عزيز محمود خداي شيخ الطريقة الخلوتية وتكية البدوي في الأستانة، إلى جانب سيطرتهم المطلقة على كل التكايا في مدينتهم سالونيكا، مدينة اليهود والماسون.

ومن خلال الطرق والتكايا عمل يهود الدونمه على تغيير عقل تركيا وزعزعة عقيدتها عبر تسريب أفكار القبالاه أو التراث الباطني اليهودي ودس رموزها داخل التكايا وخلطها بالتصوف الإسلامي.

والقناة الكبرى الثانية التي سرى فيها يهود الدونمه وسيطروا عليها وسخروها من أجل تخريب المجتمع التركي وإسقاط الدولة العثمانية هي المحافل الماسونية.

فأول محفل ماسوني تم تأسيسه في الدولة العثمانية كان في سالونيكا مدينة الدونمه واليهود سنة ١٧٢١م، والرجل الذي ترأس اللجنة التي أبلغت السلطان عبد الحميد الثاني بقرار خلعه هو الدونمي عمانويل قره صو الأستاذ الأعظم لمحفل مقدونيا ريزورتا Macedonia Resorta في سالونيكا، وهو المحفل الذي كان مركز التدبير للانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني ثم لإسقاط الخلافة من بعد ذلك.

وعمانويل قره صو الأستاذ الأعظم المحفل مقدونيا ريزورتا كان أحد ثلاثة نواب عن سالونيكا في مجلس المبعوثان أو البرلمان التركي، والثلاثة جميعاً كانوا من اليهود.

وأول أستاذ أعظم للشرق الأعظم التركي هو الدونمي طلعت باشا وزير الداخلية في أول حكومة لحركة للاتحاد والترقي بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني، والصدر الأعظم أو رئيس الوزراء في الحكومة التي تلتها.

وحزب الاتحاد والترقي أوفى نموذج على تغلغل الدونمه في المجتمع التركي، وتسربهم إلى مواقع التأثير في الدولة التركية، وعلى اتحادهم مع الماسون واليهود الصرحاء من أجل تمزيق الدولة العثمانية ليكون هذا التمزيق تمهيداً لإقامة إسرائيل، بالضبط كما أوصاهم الهامشيحاه شبتاي زئيفي.

حركة الاتحاد والترقي التي قادت التمرد على السلطان عبد الحميد الثاني وبث القلاقل والاضطرابات في أنحاء الدولة وبين قومياتها المختلفة حتى تمكنت من خلع السلطان أسسها سنة ١٨٩١م الدونمي إبراهيم تيمو Ibrahim Temo، والدونمي عبد الله جودت Abdullah Cevdet.

وكتاب الطورانية، وهو الكتاب المقدس لحركة الاتحاد والترقي مؤلفه اليهودي موئيز كوهين.

ومن أجل بعث الطورانية والدعوة إلى التتريك ألف موئيز كوهين خمس مؤلفات، ودبج مئات المقالات في الصحف التركية والغربية، وعقدت له عشرات المؤتمرات والمحاضرات، واشتعل بكتاباته وكلماته آلاف الشباب الأتراك وألفوا بأفكاره الجمعيات والحركات وهم لا يعلمون عنه سوى أنه التركي القُح ألب تكين!

وقد صار كتاب الطورانية وسياسة التريك التي قدح شرارتها كوهين ناراً أذابت روابط الدولة العثمانية لتخرج من أتونها عشرات الحركات الانفصالية السياسية والعسكرية التي مزقت الدولة من أجل الاستقلال عنها.

وبعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني تم نفيه إلى سالونيكا واعتقل في قصر التاجر اليهودي الدونمي موشيه آلاتيني.

ولأن تاريخ الدونمه غامض وأغلبه سري، ووثائق الطائفة وتاريخها أغلبها مخطوط ومحفوظ في أرشيف سري في إسرائيل، فثمة خلاف بين المؤرخين حول مصطفى كمال أتاتورك أكان من يهود الدونمه أم لا.

وأما ما لا خلاف بينهم فيه فهو أن أتاتورك هو أحد آثار تغلغل الدونمه في تركيا

وسيطرتهم على وسائل صناعة الوعي وتكوين العقول والنفوس وبث الأفكار والآراء فيها، كما هو شأن اليهود في كل عصر وفي كل مصر، وتسخيرها لإشاعة الإنحلال والفوضى وزعزعة العقائد وبث الإلحاد.

أحد أبرز أنشطة الدونمه ووسائلهم في اختراق المجتمع التركي كانت تكوين الصحف للسيطرة على الأفكار وصناعة الرأي العام، وإنشاء المدارس لتكوين وعي الناشئة وملئها بما يريدون.

وأبرز الصحف التركية وأشهرها، مؤسسوها كانوا جميعاً من الدونمه، فصحيفة صباح أسسها سنة ١٩٠٧م الدونمي أحمد أمين يلمان، وصحيفة حريت مؤسسها الدونمي سداد سيماوي، وصحيفة ملليت أسستها وتملكها عائلة إيبكجي الدونميه، وصحيفة ترجمان تملكها أسرة كبار الدونميه.

ومن أشهر المدارس التي أنشأها الدونمه وأرقاها المدرسة الفيضية ومدرسة الترقي في اسطنبول، والمدرسة الفوزية في سالونيكا.

وأما أشهر مدارس الدونمه على الإطلاق فهي مدرسة شمس أفندي في سالونيكا، وهى أشهر مدارس الدونمه لأنها المعمل الذي تم تكوين مصطفى كمال أتاتورك فيه.

ما لا خلاف بين المؤرخين فيه، وما جعل بعضهم يجزم أن أتاتورك من الدونمه ثلاثة أشياء.

الأول: هو أفكار أتاتورك وسلوكه وسياساته التي تتطابق مع أفكار الدونمه وأهدافهم.

فتمزيق الدولة العثمانية وإسقاط الخلافة وسلخ تركيا من الإسلام الذي أتمه أتاتورك هو ما كان يسعى إليه يهود الدونمه ويعملون من أجله منذ ظهور الهامشيحاه الكذاب شبتاي زئيفي، لأن تخليص اليهود وتحرير أورشليم وإقامة الدولة اليهودية ما كان ليحدث إلا بعد إسقاط الخلافة وتمزيق بلدانها وفصل فلسطين عنها.

والثاني: أن أتاتورك ولد ونشأ في سالونيكا مدينة اليهود والدونمه والماسون.

والثالث: أن أتاتورك تلقى تعليمه الأولي والثانوي في مدرسة شمس أفندي التي أنشأها سنة ١٨٧١م بتمويل من فرقة القبانجيلرية الدونميه.

وشمس أفندي هو الاسم الظاهري أو العلني لأحد يهود الدونمه، واسمه اليهودي الباطني أو الحقيقي شمعون زئيفي.

وشمس أفندي أو شمعون زئيفي هو أحد كبار أحبار القبالاه أو التراث الباطني اليهودي، وكان أستاذاً للتلمود ويقوم هو نفسه بتدريس أسفاره وشرحها لتلاميذه.

وقد ذكر أتاتورك نفسه في مذكراته أنه تلقى تعليمه في مدرسة شمس أفندي لأنها كانت إحدى المدارس القليلة في سالونيكا التي تدرس فيها العلوم الحديثة واللغات الغربية، بل وأفرد أتاتورك مساحة كبيرة في مذكراته لشمس أفندي ذاته، وذكر أنه كان من أكثر الأشخاص تأثيراً فيه.

فأتاتورك الدونمي المشكوك في دونميته كان يقيناً تلميذاً للدونمه، تكون عقله ونفسه بأفكارهم، وصنع أهدافه وغاياته ما نفثوه في وعيه ووجدانه.

فارجع إلى عالم السر والخفاء وراجع ما كشفه لك حبر الماسونية الأعظم ألبرت بايك من أن استراتيجية الماسون والحركات السرية لتحقيق اهدافهم والوصول إلى غاياتهم عبر التاريخ ليست الوصول إلى السلطة واعتلاء العروش بل صناعة من يصلون إلى السلطة واستيطان عقول من يعتلون العروش، لتعلم أن الذي أسقط الخلافة ليس أتاتورك في الحقيقة، بل من كونوا أتاتورك وصنعوه.

والآن اقرأ هذه العبارة بعناية:

يقول يتسحق زئيفي Ytzhak Zevi، وهو ثاني رؤساء إسرائيل، وأحد الباحثين في تاريخ الدونمه، ومن النوادر الذين اطلعوا على أرشيف الدونمه السري في إسرائيل في كتابه: الدونمه الصادر سنة ١٩٥٧م:

"إن يهودًا كثيرين جداً يعيشون بين الشعوب بطبيعتين، إحداهما ظاهرة وهي اعتناق دين الشعب الذى يعيشون بين أفراده ظاهرياً، والثانية باطنية وهي إخلاص عميق لليهودية".

فأعد قراءة العبارة بتأن وتأمل، وأغفل ما عرفناك به من اسم الكتاب الذي جاءت فيه وصفة مؤلفه، واختبر ذكاءك أتستطيع أن تميز إن كانت هذه العبارة وصفاً ليهود الدونمه في بلاد الإسلام أم لليهود من أسر الملك الإلهي في بلاد المسيحية؟!

الأسرة الميروفنجية

في عالم التاريخ:

الأسرة الميروفنجية Merovingian Dynasty في عالم التاريخ هي فرع من قبائل الفرانكا Franks القوطية الجرمانية التي دخلت التاريخ في القرن الثالث الميلادي بعبور نهر الراين Rhine وغزو الامبراطورية الرومانية مع الهجرات الواسعة التي شهدتها أوروبا بسبب زحف قبائل الهون Hun على شرق أوروبا ووسطها.

وكان أول ظهور الأسرة الميروفنجية في التاريخ مع المعارك التي خاضتها واكتسحت فيها بعض فروع قبائل القوط الغربية Visigoth والساكسون Saxons، والتي انتهت سنة ٤٥٧م بوصول الأسرة الميروفنجية إلى غالة Gaul واستيلائها عليها، ليصبح ملكها شلدريك الأول Childeric I هو أول ملوك غالة.

وبعد وفاة شلدريك الأول سنة ٤٨١م تمكن ابنه كلوفيس الأول Clovis من توحيد غالة كلها بعد أن هزم سياجريس Syagrius الحاكم الروماني الكاثوليكي للمناطق الشمالية والشرقية من غالة في معركة تولبياك Tolbiac سنة ٤٩٦م، ثم سحق مملكة القوط الغربيين في تولوز Toulouse في معركة فوي Vouille سنة ٥٠٧م.

وغالة التي حكمتها الأسرة الميروفنجية من منتصف القرن الخامس إلى منتصف القرن الثامن كانت تضم ما صار بعد ذلك فرنسا وبلجيكا وسويسرا وجزءًا من إسبانيا وكل ما يقع من ألمانيا غرب نهر الراين.

وبعد وفاة كلوفيس الأول سنة ٥١١م انقسمت المملكة بين أبنائه الأربعة، وظل انقسام المملكة تقليداً تتوارثه الأسرة الميروفنجية الحاكمة، فكانت المملكة في أغلب فتراتها مقسمة إلى عدة ممالك، لكن دون تنازع ولااقتتال، بل هي عدة ممالك تُحكم بملوكها وكأنها مملكة واحدة تحت حكم ملك واحد.

ويقول يتسحق هن Yitzhak Hin في كتابه: الثقافة والدين في غالة الميروفنجية Culture and religion in Merovingian Gaul إن شرعية الحكم في الأسرة الميروفنجية:

"كانت شرعية دينية، فشرعية الملك في الحكم وشرعية الأسرة كلها مبنية في أذهان رعاياها على اصطفاء الإله لها لتحكم وإسباغه من قوته عليها، وهي القوة التي تتجلى في

انتصاراتها الحربية المتوالية على اعدائها".

فلا عجب أن كان اللقب الذي اشتهرت به الأسرة الميروفنجية هو: الملوك المقاتلون Worrior Kings.

وقد كان تحول الأسرة الميروفنجية وقبائل الفرانكا إلى المسيحية عن طريق الرهبان، وأشهر هؤلاء الرهبان وأكثرهم أثراً في الأسرة الميروفنجية القديس كولومبانوس St. Columbanus، وهو راهب أيرلندي كان ذا سطوة كبيرة ونفوذ هائل عند الملكة بالتيلد Balthild، وبنفوذه وأثره على الملكة تحولت إلى المسيحية وتعمدت هي وزوجها الملك كلوفيس الأول ليكون أول المسيحيين من الأسرة الميروفنجية.

وتمكن القديس كولومبانوس بما حازه من مكانة في المملكة من تأسيس عدة أديرة للرهبنة في مناطق مختلفة من غالة، أشهرها دير لومباردي Lombardy الذي صار مركز الدراسات اللاهوتية في غالة.

ومع الوقت وترحيب الأسرة الميروفنجية انتشرت الأديرة في كل مكان من غالة وتحولت تعاليم القديس كولومبانوس وأديرته إلى تجمعات كبرى للرهبان والراهبات.

واكتسبت الأديرة ورهبانها مكانة رفيعة عند الأسرة الميروفنجية وملوكها، فتقاطرت عليها وعليهم الهبات والعطايا من الأراضي والأموال، واستثنى ملوك الأسرة الميروفنجية الأديرة وما يتبعها من أراض ومزارع من الضرائب الثقيلة التي كانوا يفرضونها على كل شيء في غالة من أجل تمويل حملاتهم الحربية.

وضماناً لولاء الأديرة ورهبانها وضماناً لسيطرتهم عليها، مع انتشارها وكثرة عددها واتساع نفوذها وتضخم ثرواتها، كان ملوك الأسرة الميروفنجية يرسلون أفراداً من الأسرة الملكية نفسها،ذكوراً وإناثاً، للرهبنة في الأديرة الكبرى والمركزية.

وكان لهذه الاستراتيجية فوائد عدة، أولها إحكام السيطرة على الأديرة وتجمعات الرهبان وضمان ولائها للأسرة الميروفنجية، وبث أفكارها فيها وتسخيرها لبث هذه الأفكار التي تحفظ ولاء غالة وأهلها للأسرة وملوكها.

والفائدة الثانية كانت إبعاد أفراد الأسرة الميروفنجية الذكور ممن ليس لهم نصيب في وراثة المملكة بأقسامها عن مركز الحكم ضماناً لاستقرار الأسرة وتجنباً لحدوث قلاقل وانشقاقات فيها بتنصيبهم ملوكاً على مملكة الأديرة والرهبان.

فكثير من أفراد الأسرة الميروفنجية دخلوا في سلك الرهبنة وخدموا في الأديرة المنتشرة في غالة كآباء ورهبان Monkos وأساقفة Bishops ومطارنة أو كرادلة Archibishops.

وبعضٌ من هؤلاء الأساقفة والمطارنة، كما يقول ألبان بتلر Alban Butler في كتابه: حياة القديسين The live of saints، تم رسمهم قديسين، بل وتم رسم بعض من أفراد الأسرة الميروفنجية ونبلائها قديسين مع أنهم لم يكونوا رهباناً لرعايتهم للأديرة والرهبان وإسباغهم الأموال والهبات عليها وعليهم.

وقد أثبتت جوديث أوليفر Judith Oliver من فحصها لقائمة القديسات التي وجدت في أسقفية ليبج Diocese of Liege، وهي وثيقة تحوي قائمة طويلة للقديسات منذ تأسيس الأسقفية في القرن السادس وحتى القرن الثالث عشر، أثبتت وجود خمس قديسات في القائمة من بنات الأسرة الملكية الميروفنجية!

وشاعت في عهد الأسرة الميروفنجية أنباء الخوارق والمعجزات على يد الرهبان والأساقفة، وكانت هذه إحدى وسائل تقديس أبناء الأسرة، فكل فرد من أبناء الأسرة دخل في الرهبنة وعالم الأديرة يروي عنه أتباعه معجزة أو يخبر من حوله عنه خارقة وتُشاع أنباؤها ثم يرسم قديساً!

وبالإغداق عليها، وبانتشارها واتساع نفوذها، وبتراكم ثرواتها وتغلغل أبناء الأسرة الملكية في نسيجها وارتقائهم فيها ووصولهم إلى سدتها صارت مملكة الأديرة والرهبان هي صفوة غالة وأعلى طبقاتها بعد الطبقة الحاكمة وأكثرها نفوذاً وسلطة وتغلغلاً في النسيج الاجتماعي.

كان الرهبان والأساقفة أعظم رجال غالة الميروفنجية وأفضلهم تعليماً، ومعرفة القراءة والكتابة تنحصر في الرهبان والراهبات، وكانت المحاكم التي تعقدها الأديرة هي التي تفصل بين المتنازعين في الشؤون الدينية والدنيوية، والأديرة تبسط حمايتها على اليتامى والضعفاء والأرامل، وتقيم المشروعات والمنشآت الاجتماعية، فانتشرت المستشفيات التابعة للأديرة والأسقفيات، وأشهرها مستشفى نزل الإله Hotel de Dieu الذي أنشأة القديس جيرمان St. Germain في باريس سنة ٦٥١م، وأنشأ معه عشرات المستشفيات الأخرى في جميع أنحاء غالة وما حولها من بلدان.

وهذب فليكس Flex أسقف نانت Nant مجرى نهر اللوار Loire، وأنشأ ديديه

Didier أسقف كاهور Cahor قنوات لنقل مياه الشرب إلى منازل أهل البلدة.

وأما الهدف الأكبر والأعظم للأسرة الميروفنجية من تأسيس الأديرة وبث تجمعات الرهبان في كل مكان يصل إليه نفوذها مع ضمان ولائها لها بالإغداق عليها وبإدخال أبناء الأسرة وبناتها فيها ودمجهم في عالمها وتصعيدهم إلى سدتها، فهو تكوين مملكة من الأديرة والرهبان تقابل الكنيسة الكاثوليكية، وتكون حاجزاً منيعاً أمامها يمنع تسرب أفكارها وأثرها إلى الشعوب التي تحكمها الأسرة، وتحد من تغلغل تعاليم البابوية ونفوذها السياسي فيها.

وبإغلاق الطريق أمام الكنيسة الكاثوليكية بمملكة الأديرة وبمحو آثار البابوية ونفوذها الروحي بعالم الرهبان والقديسين تحتفظ الأسرة الميروفنجية بغالة مستقلة ومنفصلة عن الكنيسة، وشعوبها راضية مستقرة تحت حكمها وسلطتها.

بل ومع ازدهار الأديرة في غالة، وما حظي به الرهبان وعالمهم فيها من رفعه ورعاية، وما حازوه من أموال وأراض، وما وصلوا إليه من نفوذ وسلطة، عبر نفوذ الأسرة الميروفنجية حدود غالة وصار لأديرتها ورهبانها سلطة معنوية داخل الأديرة وبين تجمعات الرهبان التي تقع خارجها وبعيداً عن حكم الأسرة.

صارت الأديرة في جنوب أوروبا وغربها خاصة في المناطق التي تسيطر عليها قبائل القوط الغربية توابع لمملكة الأديرة في غالة، فهي مراكز لبث أفكارها ونشر تعليمها، وبعضها يتلقى منها الهبات والأموال، ورهبانها على اتصال دائم برهبان غالة، وهي كلها تتطلع إلى الأسرة الميروفنجية وتلهج ألسنة رهبانها وأساقفتها ومطارنتها بالثناء عليها لما تسبغه على الأديرة والرهبان من فضلها وأموالها، ولما توليه لعالمها من رعاية وما تبسطه عليه من حماية وما تمنحه له من نفوذ وسلطان.

والأسرة الميروفنجية التي تحولت إلى المسيحية وأقامت مملكة الأديرة والرهبان من أجل مناقضة الكنيسة الكاثوليكية ومنازعة البابوية لم يكن للمسيحية التي تحولت إليها أثر عليها ولا على ملوكها، بل كانوا مسيحيين في ظاهرهم وبالاسم فقط، فهم كما يصفهم وِل ديورانت في قصة الحضارة:

"ولسنا نجد في التاريخ طبقة عليا لا تعبأ بالمبادئ الأخلاقية كما لم تعبأ بها هذه الطبقة، ولم يكن لاعتناقها للمسيحية أثر فيها على الإطلاق، فقد بدت المسيحية لهم كأنها مجرد

وسيلة للحكم وتهدئة الشعب، وكانت البربرية صاحبة الكلمة العليا طيلة حكمهم، وكان الاغتيال وقتل الآباء والإخوة والتعذيب وبتر الأعضاء والغدر والزنى ومضاجعة المحارم، كان هذا كله هو الوسيلة التي يخففون بها ملل الحكم".

فلا غرو أن كانت الكنيسة الكاثوليكية تتربص بالأسرة الميروفنجية وتترقب اليوم الذي تتخلص فيه من حكمها الذي يحول دون بسط سلطتها وسلطانها على مناطق واسعة من أوروبا، بل وتنازعها زعامة العالم المسيحي وتهدد شرعيتها بمملكة الأديرة التي أقامتها وأغدقت عليها حتى امتد نفوذها إلى ما تبسط الكنيسة عليه سلطانها من بلاد وممالك.

وقد جاء هذا اليوم مع ضعف ملوك الأسرة الميروفنجية وانشغالهم بالقتال واللهو وتركهم سياسة المملكة وتدبير أمورها وتصريف شؤونها لوزرائهم وحجاب قصورهم، الأسرة الكارولنجية Carolingians، حتى صاروا هم من يحكمون المملكة في الحقيقة.

ففي عهد شلدريك الثالث Childric III آخر ملوك الأسرة الميروفنجية كان بيبان الثالث Pepin III، الذي يوصف تارة بأنه قصير The short وتارة بأنه بدين The fat، حاكم المملكة الفعلي هو وابناه شارلمان وكارلومان، فالمملكة في عهده كان يحكمها شلدريك الثالث ظاهراً، ولكن سياستها وتصريف شؤونها كان في الحقيقة مقسماً بين بيبان وأبنائه.

وفي النهاية، وبعد صراع طويل، بعضه علني وأكثره خفي، تمكن بيبان الثالث سنة ٧٥١م، بالاتفاق مع البابا زخارى Zachary وبمباركته، وبالتحالف مع بعض الأسر النبيلة في قبائل الفرانكا، من إنهاء حكم الأسرة الميروفنجية وتأسيس الإمبراطورية الرومانية المقدسة المؤمنة بالكاثوليكية والمتحالفة مع البابوية.

وبعد استيلاء الأسرة الكارولنجية على السلطة وإعلان بيبان نفسه ملكاً على الفرانكا نفى الكارولنجيون الأسرة الميروفنجية إلى الأديرة المنتشرة في طول المملكة وعرضها.

والملك شلدريك الثالث نفسه أُرسل إلى دير القديس بيرتان Saint Bertin، وأرسل ابنه ثيودريك (•) Theuderic إلى دير القديس وندريل Saint Wandrille.

وكانت هذه هي الطعنة التي وجهتها الأسرة الكارولنجية إلى الكنيسة الكاثوليكية،

(•) ثيودريك ابن شلدريك الثالث هو خامس من يحمل هذا الاسم من الأسرة الميروفنجية الحاكمة، فقد سبقه أربعة ملوك بنفس الاسم، غير أنه لم يحمل لقب الخامس لأنه لم يعتل العرش.

وهي لا تدري، لتظل جروحها تنزف منها منذ سقوط الأسرة الميروفنجية وحتى شفرة دافنشي!

أما أشهر ملوك الأسرة الميروفنجية فهو داجوبرت الثاني Dagobert II مع أنه لم يكن آخر ملوك الأسرة الميروفنجية ولم يكن حاكماً لمملكة الفرانكا كلها.

ولد داجوبرت الثاني سنة ٦٥٠م، وكان أبوه سيجسبير الثالث Sigisbert III ملكاً على أوستراسيا Austrasia، إحدى ممالك الفرانكا التي تحكمها الأسرة الميروفنجية.

وعند موت سيجسبير الثالث استولى وزيره وحاجب قصره جريمولد الكبير Grimoald The Elder على العرش، ونصَّب ابنه شيلدبرت Childbert ملكاً على اوستراسيا، وأشاع أن داجوبرت الثاني وريث العرش الشرعي قد مات.

وأُبعد الصبي الصغير، داجوبرت الثاني، باتفاق أمه مع جريمولد، إلى بواتييه Poitiers ليكون تحت وصاية اسقفها ديزيدريوس Desiderius، ثم أُرسل إلى دير سلان Slane قرب دبلن في أيرلندا، وكان يتلقى تعلياً ارستقراطياً تمهيداً لإدخاله بلاط إحدى الأسر الأنجلوسكسونية الحاكمة.

وفي أيرلندا تزوج داجوبرت من ماتيلد Mathilde إحدى الأميرات السكسونيات.

وفى أثناء نفيه وغيابه استولى كلوفيس الثاني Clovis II ملك نوستريا Neustria الفرانكية على أوستراسيا وضمها لمملكته بعد أن قتل جريمولد وابنه شيلدبرت سنة ٦٥٧م.

وفي النهاية، وبعد صراع واغتيالات وتداول أوستراسيا بين الأيدي، عاد داجوبرت الثاني سنة ٥٧٤م ملكاً لأوستراسيا وهو فى الرابعة والعشرين من عمره بمعاونة ولفريد Wilfrid، أسقف يورك York.

وفي سنة ٦٧٩م، في أثناء إحدى رحلاته للصيد في غابة أردينيه Ardennes قرب ستيناي Stenay، اغتال داجوبرتَ الثاني أحدُ خدمه، في جريمة يرجح تاريخياً أن تدبيرها كان في بلاط مملكة نوستريا.

ولم يكن لداجوبرت الثاني وريث ذكر، إذ لم ينجب من ماتيلد سوى ثلاث بنات، فاستولى وزيره وحاجب قصره، بيبان الثاني Pepin II على أوستراسيا وظل يحكمها فعلياً دون أن ينصب نفسه ملكاً عليها إلى سنة ٦٨٧م، وفي هذه السنة اضطر إلى قبول إعلان

ثيودريك الثالث Theuderic III نفسه ملكاً على اوستراسيا بعد انتصاره في معركة تيرتري Tertry.

وداجوبرت الثاني هو التخوم التي يتلقى عندها عالم التاريخ بعالم سر السر وأخفى الخفاء الذي تختلط فيه الوقائع بالأكاذيب، وبعضٌ من أساطير عالم التاريخ هي من حقائقه.

وفي عالم سر السر:

قبل ظهور الأسرة الميروفنجية وقبائل الفرانكا في حوض نهر الراين هرباً من زحف الهون لا يعلم التاريخ وعالمه عنهم شيئاً، فلا وثائق عن أصولهم ولا سجلات لأنسابهم ولا مصادر لبدايتهم ولا لتاريخهم.

الأصول والأنساب والبداية والتاريخ في عالم سر السر.

في كتابهم: الدم المقدس والكأس المقدسةThe holy blood and the holy grail يقول مؤلفوه الثلاثة هنري لنكولن Henry Lincolin وميشيل بيجنت Baigent Michaelوريتشارد لي Richard Leigh إن الأسرة الميروفنجية تعود أصولها إلى طروادة الإغريقية وأنها كانت تعلم ذلك وتبته فيها يُكتب عنها، وأنهم خلصوا من فحصهم لوثائق دير صهيون وشجرة نسب الأسرة الميروفنجية وأصولها التي تحويها إلى أن أسلاف الأسرة الميروفنجية كانوا يعيشون في منطقة أركاديا Arcadia الإغريقية وكانت لهم روابط بأسرتها الملكية.

وطبقاً لهذه الوثائق فإنهم هاجروا مع ظهور المسيحية إلى حوض نهر الدانوب Danub قبل أن يتحركوا مع زحف الهون إلى حوض نهر الراين.

وما ذكره لنكولن ورفاقه وما نقلوه عن وثائق دير صهيون من عودة أصول الأسرة الميروفنجية إلى طروادة وأركاديا له شواهده من عالم التاريخ.

ففي الموسوعة البريطانية Britannica وفي موسوعة ويكيبيديا Wikipedia أن الفرانكا، كغيرهم من الشعوب الجرمانية، كانوا يدعون انحدارهم من شعوب التاريخ القديم العريقة.

والشعب الذي كان يدعي الفرانكا انحدارهم منه وأنهم سلالته هو شعب طروادة Trojans وشعب سيكامبري Sicambri، وكلتاهما مدن إغريقية.

وفي الموسوعتين أن أسطورة انحدار الفرانكا والأسرة الميروفنجية من الإغريق لها أصل في مصدرين تاريخيين.

أما المصدر الأول فهو عمل تاريخي اسمه: تاريخ الفرانكا Liber Historiae Francorum يعود إلى أوائل القرن الثامن الميلادي وواضعه غير معروف، وفيه أن بريام Priam ملك طروادة قاد بعد سقوطها اثني عشر ألفاً من أهلها إلى نهر تانيس Tanais واستقر بهم في بانونيا Panonia قرب بحر أزوف Azov، وهناك أسس مدينة سيكامبريا Sicambria التي صار اسمها علماً على هذا الفرع من القبائل الجرمانية: القبائل السيكامبرية.

وبعد جيلين من سقوط طروادة تحركت هذه القبائل إلى الدانوب ومنه إلى الراين.

وأما المصدر الثاني فهو تاريخ فريديجار Fredegar، وهو مؤرخ كان يعيش في منتصف القرن السابع الميلادي، وفي تاريخه أن بريام ملك طروادة هو أول حاكم لقبائل الفرانكا، وخلفه فريجا Friga، وفي عهده انقسم المهاجرون من طروادة إلى قسمين، الأول تحرك مع فريجا إلى الدانوب، والقسم الثاني هاجر مباشرة إلى حوض الراين تحت قيادة فرانكيو Francio الذي اكتسبت من اسمه اسمها.

وأركاديا أو طروادة هي أصول الفرانكا والأسرة الميروفنجية القريبة، أما أصولهم البعيدة فهي في التوراة!

في كتابهم: الدم المقدس والكأس المقدسة يقول لنكولن ورفاقه إن أصول الأسرة الميروفنجية في وثائق دير صهيون السرية ضاربة الجذور في التاريخ وهي أقدم من طروادة وحصارها.

ويقول لنكولن ورفاقه إن وثائق دير صهيون السرية تحوي إشارات عدة إلى أحد أسباط إسرائيل الاثني عشر، مع ثلاث اقتباسات من التوراة تدور حوله.

في سفر القضاة أن نزاعاً نشب بين سبط بنيامين وباقي أسباط إسرائيل الاثني عشر، ثم ثار حرباً انتصر فيها الأسباط المجتمعون وكادوا يبيدون سبط بنيامين:

" وكان جميع الساقطين من بنيامين خمسة وعشرون ألف رجل مخترطي السيف فى ذلك اليوم. جميع هؤلاء ذوو بأس. ودار وهرب إلى البرية إلى صخرة رمون ست مائة رجل وأقاموا في صخرة رمون أربعة أشهر" (قضاة ٢١:٤٦-٤٧).

وتقول وثائق دير صهيون السرية إن أغلب الستمائة الذين نجوا من هذا النزاع من سبط بنيامين نزحوا من اسرائيل على متن سفن فينيقية Phoenician إلى بيلوبونيسوس Peloponnesus في أركاديا الإغريقية قبل أن يهاجروا مرة أخرى إلى الدانوب والراين.

فطبقاً لوثائق ديرصهيون الأسرة الميروفنجية هي سبط بينامين!

ويستدل لنكولن ورفاقه على صحة رواية وثائق دير صهيون بأسطورة دانوس Danaus الإغريقية، وفيها أن دانوس بن الملك بيلوس Belus قدم إلى اليونان مع بناته على سفينة حملته من خلف البحر، وتسجل الأسطورة، التي سجلها المؤرخ روبرت جريفز Robert Graves، وصول مستوطنين من فلسطين إلى بيلوبونيسوس.

ودليلهم الثاني أن سفر المكابيين الثانى Maccabees II في التوراة العبرية ينص على هجرة يهود من فلسطين إلى لاسيديمونيا Lacedeemonia، وهو الاسم القديم لإسبرطة Sparata الإغريقية، طالبين الحماية عند أهلها لقرابتهم إليهم.

وفي سفر المكابيين الأول أن اليهود وشعب إسبرطة إخوة ينحدرون معاً من نسل إبرام، ودولة إسبرطة كانت هي التى تحكم منطقة أركاديا الإغريقية.

أما داجوبرت الثاني فيقول لنكون ورفاقه، نقلاً عن وثائق دير صهيون، إن اغتياله كان بتدبير من حاجب قصره ببيان الثاني وباتفاق بينه وبين الكنيسة الكاثوليكية، لأنه كان يخاصم الكنيسة علانية ويحتقر أساقفتها، ونفوذها وتعاليمها تقف عند حدود مملكته.

ثم عمدت الكنيسة الكاثوليكية إلى ملاحقة سيرة داجوبرت الثاني ومحو اسمه من التاريخ، وحتى عام ١٦٤٦م، كانت كل الوثائق والسجلات التي تؤرخ لفرنسا وأسرها الحاكمة تحذف اسم داجوبرت الثاني وتقفز من داجوبرت الأول إلى الثالث مباشرة، ولم يكن لاسمه وجود في أي مصدر تاريخي.

وحسب رواية وثائق ديرصهيون فإن داجوبرت الثاني كان آخر ملوك الجذر الأصيل في الأسرة الميروفنجية الذي ينحدر من كلوفيس الأول، وباغتياله انتهى حكم الأسرة الميروفنجية فعلياً، فكل من تلاه من الملوك حتى آخرهم شلدريك الثالث كانوا من نسل فروع صغيرة من الأسرة وبعيدة عن سلسلة النسب الأصلية التي تبدأ بكلوفيس، ومن ثَم لم يكن أحد منهم أهلاً لوراثة العرش الميروفنجي، بل كانوا دمى يلهو بها حجاب قصورهم.

غير أن نسل الأسرة الميروفنجية الأصيل لم ينقطع ودماؤها الملكية لم تتوقف باغتيال داجوبرت الثاني.

فما غاب عن المؤرخين، وتعمد أصحابه إخفاءه من التاريخ خوفاً من ملاحقة الكنيسة الكاثوليكية أن داجوبرت الثاني تزوج سنة ٦٧١م، بعد وفاة زوجته الأولى وهي تضع مولودتها الثالثة من جزيل Gisselle ابنة كونت ريز Razes وابنة أخت ملك القوط الغربيين، وكان زواجه بها في الكنيسة التي كرست فيها بعد لمريم المجدلية في رينيه لوشاتو.

وأثمر هذا الزواج سيجسبير الرابع Sigisbert IV سنة ٦٧٦م بعد أن كان داجوبرت الثاني قد استعاد عرش مملكته في أوستراسيا.

وبعد اغتيال داجوبرت الثاني هربت إحدى بناته مع أخيها الطفل إلى حيث مملكة أمه وأخواله في جنوب فرنسا، ثم ورث سيجسبير الرابع خاله وأصبح كونت ريز ورينيه لوشاتو.

وفي سيجسبير الرابع حُفظ نسل داجوبرت الثاني وبقيت سلالة الأسرة الميروفنجية واستمرت في التدفق دماء سبط بنيامين.

ماخور اليهود

سبتمانيا Septmania مقاطعة أو إمارة قديمة كانت تقع في أقصى جنوب غالة، وSept في اسمها هو رقم سبعة بالفرنسية، فهي إقليم المدائن السبعة لاحتوائها على سبع مدن كبرى.

ويقابل سبتمانيا في فرنسا الحديثة منطقة لانجدوك روزيون Languedoc Rossillon.

وتاريخياً كانت سبتمانيا على تخوم الإمبراطورية الرومانية التي أسستها الأسرة الكارولنجية في فرنسا، ورغم أنها جزء من فرنسا جغرافياً إلا أنها كانت تختلف عنها ثقافياً وتنفصل عن شمالها ووسطها سياسياً، ولم تكن تخضع للسلطة الملكية المركزية.

وتاريخ إمارة سبتمانيا حافل بالغزو والصراع، وبالتمرد والعصيان وتقلب السلطات.

كانت سبتمانيا تحت سيطرة قبائل القوط الغربية، وفي سنة ٥٠٧م بعد معركة فوي وهزيمة القوط الغربيين غزا الملك الميروفنجي كلوفيس الأول سبتمانيا واستولى على عاصمتها ناربون Narbonne القريبة من البحر المتوسط، ونفى ملكها الصبي أمالاريك Amalaric إلى شبه جزيرة إيبريا Iberia، وأقام مكانه جده لأمه ثيودوريك حاكمًا لها وتابعًا له.

وبعد عامين في سنة ٥٠٩م تمكنت قبائل القوط الغربية متحالفة مع أبناء عمومتهم القوط الشرقيين Ostragoth من استعادة سبتمانيا ليؤسس ثيودوريك مملكة سبتمانيا المستقلة ويكون أول ملوكها باسم ثيودوريك العظيم Theodoric The Great.

وفي سنة ٥٣١م غزتها قبائل الفرانكا مرة أخرى واستولى الملك الميروفنجي شيلدبرت الأول Childbert I على ناربون، فنقل حكامها من القوط الغربيين عاصمتهم ومقر حكمهم خلف جبال البرانس Pyrenees إلى برشلونه Barcelona، ثم أعادوها إلى ناربون، ثم نقلوها مرة أخرى وأعادوها سنة ٦١١م.

ومنذ أوائل القرن السابع الميلادي تحولت سبتمانيا الى دوقية، وكان اسمها الرسمي غاليا Gallia، أو ناربونية Narbonesis.

وفي عهد القوط الغربيين هاجرت جماعات كبيرة من اليهود واستوطنت سبتمانيا قادمة من شرق أوروبا وجنوبها، واختلط اليهود بالقوط حتى صارت كلمة يهودي وكلمة قوطي مترادفتين، فاليهودي هو القوطي والقوطي هو اليهودي.

ومع استيطان اليهود لها فشا في سبتمانيا الفساد والانحلال، وشاعت الهرطقة والأفكار التي تطعن في الكاثوليكية وتستهزئ بالبابوية حتى أطلق جوليان Julian حاكم توليدو (طليطلة) Toledo على سبتمانيا اسم: ماخور اليهود Brothel of Jews.

وفي سنة ٥٩٠م أصدر مجلس توليدو الثالث منشوراً وصم فيه سبتمانيا وبرشلونه التي تتاخمها بإهانة المسيحية وتدنيس المقدسات وتجذر الممارسات الوثنية وشيوع الفساد والانحلال.

وفي سنة ٧١٩م فتحت جيوش الإسلام سبتمانيا واستولى والي الأندلس السمح بن مالك على عاصمتها ناربون واتخذها عاصمة له، وهي المعروفة في المصادر العربية باسم: أربونه، فصارت سبتمانيا ولاية إسلامية يحكمها والٍ يتبع إمارة قرطبة.

وفى سنة ٧٣٢م هُزمت جيوش المسلمين واستشهد قائدها عبد الرحمن الغافقي في المعركة التي دارت بين مدينتي تور Tours وبواتييه Poitiers، وكان يقود جيش الفرانكا فيها شارل مارتل Charles Martel، وهو حاجب قصر الملك الميروفنجي ثيودريك الرابع Theuderic IV.

وحاول شارل مارتل سنة ٧٣٧م، بعد استيلائه على تولوز وما حولها، دخول العاصمة ناربون فقوبل بمقاومة عنيفة من المسلمين والقوط واليهود بقيادة حاكمها المسلم يوسف بن عبد الرحمن، فدمر شارل مارتل المناطق الريفية المحيطة بها ثم رفع حصارة عنها وانسحب منها.

وفي سنة ٧٥٢م غيَّر بيبان الثالث القصير البدين، وهو ابن شارل مارتل، سياسة أبيه، فبدأ في استمالة أمراء الأسر القوطية في سبتمانيا وعقد أحلافاً معهم، فأعلن كونت نيمس Nimes، وكونت أجدى Agde، وكونت بيزيه Beziers، وكونت ميلجيل Melguel انفصالهم عن إمارة قرطبة وولاءهم لبيبان الثالث ملك الفرانكا.

وكان بيبان الثالث آنذاك قد خلع آخر ملوك الأسرة الميروفنجية شلدريك الثالث وأسس الأسرة الكارولنجية والإمبراطورية الرومانية المقدسة، وصار أقوى ملوك أوروبا ورجل الكنيسة الكاثوليكية الأول.

وبعد أن صارت سبتمانيا كلها في قبضة بيبان الثالث شرع هو وأمراء القوط المتحالفين معه في حصار ناربون، واستمر الحصار سبع سنوات كاملة دون أن تتمكن جيوش

الفرانكا والقوط من دخولها أو إجبارها على الاستسلام، والمدينة حصينة بقلعتها ممتنعة بما يأتيها من مدد عبر البحر المتوسط.

وفي سنة ٧٥٩م، وفجأة، انقلب اليهود في ناربون على سكانها وقادتها من المسلمين وباغتوهم، ثم فتكوا بحراس قلعتها وفتحوها، وأباحوا المدينة للفرانكا وأعلنوا ولاءهم لملك الفرانكا بيبان الثالث.

وعندما اعتلى شارلمان Charlemagne عرش الإمبراطورية الرومانية خلفاً لأبيه بيبان الثالث كانت الحروب المتواصلة قد دمرت سبتمانيا وهجرها أهلها إلى الجبال، فأقطعهم أراض واسعة ليزرعوها، وأنشأ فيها عدداً كبيراً من الأديرة، وأقام لها تخوماً آمنة في برشلونه، وعهد بحكمها إلى أحد النبلاء من الفرانكا، وحولها إلى إمارة مقر حكمها في تولوز ويحمل حاكمها لقب كونت تولوز Count of Toulouse.

وبعد عهد شارلمان (٧٦٨م – ٨١٤م) فقدت سبتمانيا اسمها ليصبح اسمها: قوطية Gothia.

وفى القرن العاشر كان اسم سبتمانيا قد اختفى، واختفى أيضاً اسم قوطية وصارت تعرف باسم لانجدوك، ومازال هو اسمها حتى اليوم.

وتاريخ سبتمانيا، المتمردة، شبه المعزولة عن الإمبراطورية الرومانية، الخارجة على الكاثوليكية العاصية للبابوية، المسكونة باليهود والفرانكا وبقايا الأسرة الميروفنجية ويحكمها حاكم من نسل الفرانكا تاريخ غامض غير معروف، وحكامها منذ استعادة الفرانكا لحكمها في القرن الثامن الميلادي بعد صراعات طويلة أغلبهم مجهول وتتابعهم غير معروف بدقة.

القديس اليهودي!

يقع وادي جيلون Gellone قرب لوديف Lodeve في سبتمانيا أو لانجدوك جنوب فرنسا، وإليه ينسب القديس جويليم، فهو جويليم دي جيلون Guilhem de Gellone.

وجويليم الفرنسية هي فلهلم Willhelm الألمانية ووليام William الإنجليزية.

وجويليم دي جليون، كما تقول الموسوعة الكاثوليكية والموسوعة البريطانية، هو بطل أنشودة جويليم Chanson de Guilhem، المعروفة باسم أنشودة المركيز ذي الأنف القصير Marquis au Courtnez التي كُتبت في منتصف القرن التاسع الميلادي تقريباً، وهذه الأنشودة الغنائية هي أقدم مصدر لسيرة القديس جويليم دي جيلون.

أما أقدم مصدر تاريخي عن حياة القديس جويليم دي جيلون، فهو: حياة فيليلمس Vita de Willelmus، وهي سيرته التي كتبها مؤرخ مجهول باللاتينية في فترة تقع بين القرن العاشر والقرن الحادي عشر.

ولد جويليم دي جيلون سنة ٧٥٠م في الموسوعة البريطانية، وسنة ٧٥٥م في الموسوعة الكاثوليكية.

وليس في الموسوعة البريطانية شيء عن أصله أو نسبه، وفي الموسوعة الكاثوليكية أن أباه اسمه ثيودريك Theoderic، وفي موسوعة ويكيبيديا أنه ثيري الرابع Thierry IV.

وفي الموسوعتين أن أباه المختلَف في اسمه هو كونت أوتون Autun وتولوز Toulouse، وأمه هي ألدانا Aldana ابنة شارل مارتل.

وعلى ذلك فجويليم دي جيلون هو ابن أخت بيبان الثالث مؤسس الأسرة الكارولنجية وابن عمة شارلمان العظيم.

ولقرابته بالأسرة الكارولنجية من جهة أمه رُبي جويليم في قصر شارلمان ونشأ في بلاطه.

وتقول الموسوعة البريطانية إن شارلمان عهد إلى جويليم بتأديب ولي عهده وخليفته وتهذيبه وتعليمه، وهو أكبر أبناء شارلمان واسمه لويس بيوس Louis The Pious أو لويس الأول.

وفي سنة ٧٩٠م نصبه شارلمان كونت تولوز خلفاً لأبيه.

وفي السنة نفسها أرسل هشام بن عبد الرحمن الداخل، ثاني خلفاء الدولة الأموية في

الأندلس جيشاً عرمرماً بقيادة حاجبه عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث، عبر جبال البرانس ثم قسمه إلى قسمين، وجه الأول منهما إلى مملكة أوستراسيا الفرانكية، وقاد هو الثاني فاخترق به سبتمانيا واستولى على قلاعها وحصونها، ثم ضرب الحصار حول ناربون، وفي المصادر العربية، كنفح الطيب والبيان المغرب، أنه افتتحها.

وأما المصادر الغربية فتقول إن الجيش الإسلامي لم يستطيع فتح ناربون لمنعة قلعتها واستبسال جيشها فارتد عبد الملك إلى كاركاسونCarcassone، وكان شارلمان في شغل بمعركة أخرى مع خصومه الساكسون في شمال فرنسا، فجهز ابنه لويس بيوس، وهو يومئذ كونت إمارة أكوتان Aquitaine، جيشاً للقاء عبد الملك وأمَّر عليه معلمه ومهذبه جويليم دي جيلون كونت تولوز، فالتقى الجيشان في فيليدان Villedaigne على ضفاف نهر أُربيو Orbiex في منطقة أورانج Orange.

وتُجمع المصادر العربية، كما يقول المؤرخ محمد عبد الله عنان في كتابه: دولة الإسلام في الأندلس، على أن الموقعة لم تكن حاسمة، وأن المسلمين ارتدوا على إثرها إلى الجنوب مثقلين بالسبي والغنائم ومكتفين بها.

وتقدر المصادر العربية أخماس السبي وحدها بنحو خمسة وأربعين ألفاً من الذهب، وأُرغم الأسرى على حمل أو جر أحمال من الأحجار والتراب من سور أربونه حتى قرطبة، وأمر الخليفة هشام بن عبد الرحمن الداخل أن يُبنى بها جناح جديد للمسجد الجامع تخليداً للظفر.

وأما في المصادر الغربية فقد هَزم جويليم كونت تولوز جيش عبد الملك بن عبد الواحد وأرهقه واضطره إلى الانسحاب خلف البرانس إلى إسبانيا.

وفي سنة ٨٠٣م سيَّر شارلمان جيشاً ضخماً بقيادة ابنه لويس بيوس كونت أكوتان إلى إسبانيا لاستعادة برشلونه، وهي تخم سبتمانيا الذي أنشأه ليكون حدوداً آمنة لها، فقسم لويس بيوس الجيش إلى قسمين، وجعل على رأس أحدهما جويليم كونت تولوز.

وبعد معارك متوالية وحصار طويل ومدد كثيف من شارلمان سقطت برشلونه.

وببسالته وبلائه، وبوفائه وولائه الخالص لشارلمان وابنه، وبصده لجيش الإسلام عن سبتمانيا ثم إسهامه في استعادة برشلونه تحول جويليم كونت تولوز إلى أسطورة والبطل الذي تدور حوله وتروي سيرته وانتصاراته عدة أعمال شعرية وغنائية في العصور

الوسطى، أشهرها أنشودة المركيز ذي الأنف القصير في القرن التاسع، وأناشيد جست Chansons de Geste في القرن الثاني عشر.

وختم جويليم حياته بتأسيس دير في وادي جيلون، وهو الدير الذي مازال موجوداً ويحمل اسمه حتى اليوم: دير القديس جويليم الصحراوي Saint Guilhem le Desert.

وفي سنة ٨٠٦م اعتزل جويليم كونت تولوز الإمارة ودخل إلى ديره وصار راهباً حتى وفاته سنة ٨١٢م، وبعد وفاته رُسم قديساً، ليصبح القديس جويليم دي جيلون.

والآن من عالم التاريخ إلى عالم سر السر.

في سنة ١٩٧٢م أصدر المؤرخ اليهودي آرثر زوكرمان Arthur Zockerman كتابه: إمارة يهودية في فرنسا الإقطاعية A Jewish princedom in feudal France عن مطبعة جامعة كولومبيا Columbia University Press.

وكتاب زوكرمان يؤرخ لأسرة مخير Machir، وهي أسرة يهودية بغدادية الأصل هاجرت من العراق واستوطنت ناربون عاصمة سبتهانيا أواخر القرن الثامن الميلادي، وبلغت منزلة رفيعة في عصر شارلمان وخلفائه وتحولت إلى أسرة نبيلة منها الحكام والأمراء.

والمصدر الوحيد لأصول أسرة مخير واستيطانها لناربون وبداية تاريخها فيها، كما تقول الموسوعة اليهودية The Jewish Encyclopedia، هو سفر القبالاه Sefer la Qabbalah للربي والمؤرخ اليهودي أبراهام بن داوود Abraham Ibn Daud.

يقول أبراهام بن داوود إن ملك فرنسا شارلمان أرسل إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد يطلب منه أن يرسل إليه من بغداد أحد اليهود من السبي البابلي على أن يكون من السلالة الملكية وصريح النسب إلى بيت داوود.

وقد استجاب الرشيد لطلب شارلمان وأرسل إليه قطب اليهود وأرفعهم منزلة والملقب فيهم بالحكيم، وهو الربي مخير، فوطَّنه شارلمان في ناربون عاصمة سبتهانيا بعد أن استعادها، وأقطعه أراض واسعة هو وأسرته، وجعله أميراً وأدخل أسرته ضمن الأسر النبيلة.

وقد كان شارلمان يهدف من وراء ذلك كله إلى إيجاد أسرة يهودية ذات نسب ملكي في

اليهود لكي يتمكن بها من السيطرة على يهود ناربون وسبتهانيا.

وقد أغدق شارلمان على أسرة مخير ورفع منزلتها لكي يضمن ولاءها وولاء اليهود له وللإمبراطورية والأسرة الكارولنجية، ولكي يقطع اتصالهم بعرب الأندلس وولاءهم لخلفائها وولاتها مع مابلغه اليهود فيها من ثروة وسعة ومنزلة عالية.

كان هدف شارلمان استمالة اليهود لتأمين الإمبراطورية الرومانية، ومحو آثار يهود الأندلس على يهود سبتهانيا، وهي بوابة الإمبراطورية الجنوبية وثغرتها وموطن ضعفها والفناء الخلفي لجيوش الأندلس.

وما دونه إبراهيم بن داوود عما بلغته أسرة مخير اليهودية في عهد الأسرة الكارولنجية من منزلة تؤكده الموسوعة البريطانية وموسوعة ويكيبيديا، ففي الموسوعتين أن اسرة مخير تمتعت بمنزلة رفيعة في عهد شارلمان وخلفائه وصارت أسرة نبيلة يحمل من ينتمي إليها لقب أمير Nasi.

وفي الوثائق الفرنسية لعهد شارلمان وخلفائه رسائل ملكية تنص على وجود ملك يهودي Jewish king في ناربون.

وزار الربي بنيامين Benijamin من توديلا Tudela ناربون سنة ١١٦٥م، وسجل إعجابه بما وصلت إليه أسرة مخير من نفوذ وسلطة وثروة.

وما أضافه المؤرخ اليهودي آرثر زوكرمان في دراسته الأكاديمية الصادرة عن جامعة كولومبيا هو أن مخير اتخذ اسما فرانكياً هو ثيودريك، ولكي يضمن شارلمان ولاء الأسرة الملكية اليهودية القادمة من بغداد ويضمن ولاء من يحكمونهم من يهود سبتهانيا زوَّج ثيودريك اليهودي من ألدانا ابنة شارل مارتل ونصَّبه حاكماً على سبتهانيا وجعل لقبه الرسمي كونت سبتهانيا وتولوز، بينما كان لقبه الفعلي الذي يَحكم ويُعرف به هو ثيودريك ملك اليهود.

أما ثمرة زواج ثيودريك وألدانا فهو جويليم دي جيلون، فجويليم دي جيلون هو ابن مخير، سليل بني اسرائيل وحامل دماء داوود الملكية.

ويستدل زوكرمان على أن دي جيلون يهودي من نسل داوود ومن سبط يهوذا، سبط الملوك، وأنه كان يعلم ذلك بأنه كان يتكلم العبرية بطلاقة، وشعاره الذي كان يضعه على درعه ورايته هو أسد يهوذا، وأنه كان يوقر يوم السبت ولا يعمل فيه حتى وهو في حملاته

الحربية، وإبان حصار برشلونه تم تسجيل أحداث حملته وتدوين يومياته حسب التقويم اليهودي.

أما لنكولن ورفاقه فقد وافقوا زوكرومان في كتابهم: الدم المقدس والكأس المقدسة في أن ثيودريك ملك اليهود كان من نسل داوود، ولكنهم زادوا عليه أنه هو وابنه جويليم دي جيلون كانوا ايضاً من نسل الأسرة الميروفنجية، فثيودريك هو حفيد سيجسبير الرابع بن داجوبرت الثاني، وأحد ألقابه، كونت ريز Count de Razes، هو نفسه لقب سيجسبير الرابع الذي ورثه عن أخواله، وكونت ريز وابنته جزيل أم سيجسبير الرابع، القوط، هم في الحقيقة يهود من نسل داوود.

والفرضية التي افترضها لنكولن ورفاقه وخالفوا فيها دراسة زوكرمان الأكاديمية هي أن ثيودريك كان من نسل داوود الملكي، لكنه كان من يهود سبتمانيا، يهود الغرب، وليس من يهود بغداد، يهود الشرق، فثيودريك ليس هو نفسه الربي مخير، وشارلمان إنما أتى بمخير صريح النسب في بني إسرائيل وإلى بيت داوود لا لكي يكون هو ملكاً على اليهود، بل لكي ينصّب ثيودريك اليهودي الفرانكي ويمسحه بالزيت ويمنحه شرعية حكم اليهود في سبتمانيا.

وعلى ذلك فقد امتزجت في عروق جويليم دي جيلون دماء داوود بدماء الأسرة الميروفنجية، ولأن الأسرة الميروفنجية هي نفسها يهودية، فقد التقى في دي جيلون ونسله سبط يهوذا وسبط بنيامين.

البابوات اليهود!

على شبكة المعلومات الدولية دراسة بالغة الطول عنوانها:

الاختراق الميروفنجي للعالم المسيحي عن طريق الرهبنة!

The Merovingian infiltration of the christian world through monasticism

وواضع الدراسة مجهول، غير أن من فحصوا دراسته وأيدوها أو عارضوها اتفقوا على أن هذا المؤلف المجهول يتصف بصفتين، الأولى هي أنه روماني كاثوليكي Roman Catholic، والثانية أنه على إحاطة تامة بتاريخ الكنيسة الكاثوليكية وتاريخ باباواتها، وعلى إطلاع واسع على أرشيف الفاتيكان ووثائقه.

يقول المؤلف المجهول إن هدف دراسته كشف أحد أخفى الأسرار في تاريخ العالم، وأحد أخفى الأسرار هذا هو أن الأديرة وتجمعات الرهبان كانت عبر التاريخ إحدى أهم وسائل اختراق العالم المسيحي والنخر في الكاثوليكية والعمل على تقويض البابوية!

وينبه المؤلف في بداية دراسته إلى أن الأغلبية من الرهبان وحشودهم التي كانت تضمها الأديرة لم يكونوا على وعي بما يريده من يقيمون هذه الأديرة، ولا بالأهداف والغايات التي يسعى إليها من يوجهونها ويقودونهم، ولا بالاستراتيجية الطويلة الأمد التي خطها من يحشدونهم في الأديرة ويقومون بوضع التعاليم واللوائح لهم ويوجهونهم من أجل توجيه مسار الأحداث بهم إلى ما يريدون.

بعد سقوط المملكة الميروفنجية تحولت غاية مملكة الأديرة والرهبان التي أقاموها ويدين لهم رهبانها بالولاء، وأفراد الأسرة الميروفنجية يتغلغلون في تكوينها ويسرون في نسيجها، وبعضهم من ملوكها وقديسيها، تحولت غاية الأسرة الميروفنجية واستراتيجيتها من مناطحة الكاثوليكية بمملكة الأديرة والرهبان ومنازعتها بها الشرعية المسيحية إلى العمل على اختراقها والتغلغل فيها من أجل تغيير عقيدتها وأفكارها وتسخيرها لإنفاذ غاياتها.

تحولت استراتيجية الأسرة الميروفنجية المسيطرة على مملكة الأديرة والرهبان في غالة وما حولها من مناطحة البابوية والسعي لإزالتها إلى الصعود فيها والسعي لاعتلاء عرشها!

صارت رسالة مملكة الأديرة الجديدة ومن يسيطرون عليها حشد الرهبان من أجل تكوين القادة وتصعيد الأساقفة والسعي إلى الوصول بهم إلى مناطق التأثير في العالم

الكاثوليكي، ثم العمل على وصول بعضهم إلى مناطق صنع القرار البابوي، ومن ثَم السيطرة على دفة الكنيسة الكاثوليكية، ثم اعتلاء سدتها.

وقد أثمرت استراتيجية اختراق الكنيسة الكاثوليكية طويلة الأمد شديدة الأناة هذه، كما يقول المؤلف المجهول، عن ستة بابوات من أصول ميروفنجية !!

وهؤلاء البابوات الستة كانوا جميعاً فرنسيين، وكلهم كانوا من جنوب فرنسا.

وأول البابوات الست هو البابا سلفستر الثاني Sylvester II الذي اعتلى عرش الكنيسة الكاثوليكية سنة ٩٩٩م، وهو أول فرنسي يصل إلى العرش البابوي، وقد كان قبل الوصول إلى رأس الكنيسة راهباً في دير بوبيو Bobbio ثم أسقفاً فيه ورئيساً له.

ودير بوبيو أسسه القديس كولومبانوس Columbanos، وفي كتاب: المسيا الثاني، فرسان الهيكل وكفن تورين وسر الماسونية العظيم The second Messia: Templars, The Turin shroud and the great secret of freemasonry لروبرت لوماس Robert Lomas وكرستوفر نايت Christopher Knite، وكلاهما ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، أن القديس كولومبانوس يهودي!

والبابا الميروفنجي الثاني هو ستيفان التاسع Stephan IX الذي وصل إلى العرش البابوي سنة ١٠٥٧م، وكان أسقفاً لدير مونت كاسينو Monte Casino.

ومونت كاسينو هو أشهر دير في أوروبا المسيحية اللاتينية، وقد أسسه القديس بندكت St. Bendict سنة ٥٢٩م على تل مرتفع يطل على بلدة كاسينوم Cassinum وكرسه من أجل القديس يوحنا المعمدان!

والقديس بندكت، الإيطالي الأصل، هو أول من نقل الرهبنة ونظام الأديرة من الشرق إلى الغرب، وكان أول ابتداع القديس بندكت للرهبنة، كما روى البابا جريجوري الكبير Gregory The Great في محاوراته Dialogues، وهي المصدر الوحيد لحياة القديس بندكت، أنه لما بلغ الخامسة عشرة من عمره أحب فتاة أعرضت عنه، فهجر المدن إلى البرية واتخذ صومعة في كهف بين التلال على بعد بضعة أميال من مدينة سوبياكو Sobiaco الإيطالية، وعاش في عزلة سنين عدداً، فاشتهر بين الناس بزهده وتقواه وجاءه كثير من الشباب ليعيشوا إلى جواره ويقتدوا به، وجاءه بعض الآباء بأبنائهم.

وفي عام ٥٢٠م كان قد قام حول كهفه ويتبعه اثنا عشر ديراً صغيراً، في كل منها اثنا

عشر راهباً، ولما ثقلت تعاليمه الصارمة على كثير من هؤلاء الرهبان انتقل مع المخلصين منهم إلى تل مونت كاسينو وأقام ديراً عليه مكان معبد وثني قديم، ووضع لائحة لقواعد الرهبنة وتعاليمها صارت تعرف باسمه: اللائحة البندكتية Bendict Rule.

وهذه اللائحة هي التي صارت دستور نظام الرهبنة في الغرب وسارت على قواعدها كل الأديرة التي ظهرت فيه خاصة في إيطاليا وفرنسا.

والتطور الرئيسي الذي أحدثه القديس بندكت في نظام الرهبنة وحياة الأديرة هو الانتقال من العزلة والانفراد إلى الرهبنة الجماعية، ومن الزهد والتقشف إلى النظام الصارم والطاعة المطلقة، فكان طالب الرهبنة لا يقبل في الدير البندكتي إلا بعد أن يقوم على خدمة راهب حديث العهد ليتعلم منه حياة التقشف، ثم بعد ذلك يقسم ويتعهد كتابة بالبقاء في الدير وطاعة رئيسه طاعة عمياء في صمت، وأن يمتنع عن المزاح والضحك بصوت عال، وأن يمشي مطرقاً ببصره إلى الأرض، وكانت الأشياء في الدير كلها مشاعاً، فلا يمتلك أحد كتاباً ولا قلماً ولا ورقة ولا أي شئ على الإطلاق.

وثالث البابوات من أصل ميروفنجي هو البابا نيكولاس الثاني Nicholas II الذي اعتلى السدة البابوية سنة ١٠٥٨م.

والبابا الرابع هو جريجوري السابع Gregory VII الذي اعتلى عرش الفاتيكان سنة ١٠٧٣م، وكان من قبل أحد أساقفة دير كلوني Cluny جنوب فرنسا.

والبابا جريجوري السابع هو الذي بدأ الثورة الإصلاحية للكنيسة الكاثوليكية والتي تعرف باسمه: الإصلاح الجريجوري Gregorian Reform، وهذه الثورة الإصلاحية هي البذرة الأولى التي كانت ثمرتها الكاملة والناضجة حركة الإصلاح البروتستانتي.

والبابا الخامس هو فيكتور الثالث Victor III أسقف دير مونت كاسينو، وقد وصل إلى عرش الكنيسة سنة ١٠٨٧م.

أما سادس البابوات من أصل ميروفنجي، والذي وصل إلى عرش البابوية سنة ١٠٨٨م، فهو البابا أربان الثاني Urban II، بطل الحروب الصليبية ومن أوقد نيرانها !

كان البابا أربان الثاني قبل وصوله إلى العرش البابوي رئيساً لدير كلوني Cluny ، ودير كلوني أسسه سنة ٩٠٩م وليم الأول دوق أكوتان William I Duke of Aquitaine في تلال بورجندي Burgondy على التخوم بين فرنسا وألمانيا.

ودير كلوني أقيم على لائحة القديس بندكت، إلا أنه كان يختلف عن باقي الأديرة البندكتية في أمرين.

الأول هو إقامة الدير لشبكة واسعة من الأديرة تتبعه وتأتمر بأمره في نظام هرمي صارم، فخلافاً للأديرة البندكتية التقليدية التي كانت منفصلة ولا رابط بينها سوى الرابط الودي، ويخضع كل منها لأوامر رئيسه ويطيعه طاعة مطلقة ولا طاعة عليه لغيره أقام دير كلوني شبكة من الأديرة وبيوت الرهبان المترابطة، ومن يرأس أي دير أو بيت منها هو وكيل أو نائب عن رئيس دير كلوني، يتبعه ويأتمر بأمره ومحاسَب أمامه.

وكان على رؤساء الأديرة وبيوت الرهبان الاجتماع مرة كل عام في دير كلوني لتقديم تقارير لرئيسه عن أديرتهم وتلقي تعليماته أو ملاحظاته.

وعند نهاية القرن الحادي عشر كان يوجد في أوروبا حوالى ألفي دير تتبع دير كلوني وتعترف له بالسيادة عليها، وبهذه الأديرة الألفين صارت كلوني هى أكبر مؤسسة للرهبنة في أوروبا وأقواها وأكثرها نفوذاً وتأثيراً.

وبلغ من قوة مملكة كلوني وشبكة أديرتها المترابطة والمنظمة أن صارت فوق الدولة، بل ولا تخضع لرقابة الكنيسة وليس لأحد مساءلة دير كلوني وما يتبعه من أديرة سوى البابا نفسه!

والأمر الثاني الذي يختلف فيه دير كلوني وتوابعه عن الأديرة البندكتية التقليدية هو التخفيف من درجة الزهد والتقشف والاستمتاع بأطايب الطعام والشراب والثياب.

فقد كان دير كلوني أغنى دير في أوروبا الغربية كلها، ويمتلك إقطاعيات ومساحات شاسعة من الأراضي والمزارع، ويستأجر الدير من يزرعونها ويديرونها لكي يتفرغ الرهبان للصلوات، خلافاً للأديرة البندكتية التقليدية التي كان رهبانها هم أنفسهم من يزرعونها.

ورغم نذر الفقر الذي كان ينذره طالب الرهبنة والتعهد بالاكتفاء بالخبز والحساء، وهما طعام الرهبان التقليدي، كان رهبان دير كلوني يأكلون الدجاج، وهي إحدى علامات الثراء والبذخ في فرنسا آنذاك، ويشربون النبيذ ويلبسون الحرير، ويقيمون القداس بشمعدانات من الفضة النقية وكأس من الذهب الخالص.

وكثير من علامات ثراء رهبان دير كلوني وما كانوا يتمتعون به من رفاهية وبذخ مازال محفوظاً حتى اليوم في متحف كلوني Musee Cluny في باريس.

ومرة أخرى إلى عالم سر السر.

أسرة أكوتان التي أسست دير كلوني وحولته إلى مملكة بما وهبته من أراض واموال هي، كما يقول روبرت لوماس وكرستوفر نايت في كتابهما: المسيا الثانى، إحدى الأسر التي انحدرت من الأسرة الميروفنجية في سبتمانيا.

وفي كتاب:الدم المقدس والكأس المقدس لهنري لنكولن ورفاقه أن أكوتان صارت دوقية في القرن التاسع، وأن أبناء جويليم دي جيلون وأحفاده هم الذين وضعوا أسسها وكانوا حكامها الأوائل تحت اسم دوق أكوتان!

أما البابا أربان الثاني نفسه فقد ولد سنة ١٠٤٢م في مقاطعة شامبان من أسرة إيود Eudes الفرانكية النبيلة، ويقول المؤلف المجهول إن أسرة إيود هذه ميروفنجية، وهي تنحدر من الملك إيود الذي كان يحكم سبتمانيا جنوب فرنسا أواخر القرن التاسع، من سنة ٨٨٨م إلى سنة ٨٩٨م.

وأما ما يتفق فيه الجميع، المؤلف المجهول ولوماس ونايت ولنكولن ورفاقه، فهو أن الأسرة الميروفنجية التي ملأت فروعها بلدان أوروبا بالأديرة وتجمعات الرهبان لتتوغل بها في نسيج الكنيسة الكاثوليكية ولتصعد على أكتافهم إلى العرش البابوي، الأسرة الميروفنجية يهودية وكل ما تفرع منه يهودي!

وعلى ذلك فالبابوات الستة الذين اعتلوا عرش الكنيسة الكاثوليكية، وكان خاتمتهم بطل الحروب الصليبية أربان الثاني هم جميعاً يهود !

الحملة الصليبية يهودية !

بين الثامن عشر والسابع والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٠٩٥م انعقد مجلس كليرمون Council of Clermont في جنوب فرنسا، وكان ختام المؤتمر خطبة للبابا أُربان الثاني قال فيها عبارته التاريخية:

الرب يريدها

Dieu li volt

وبهذه الخطبة وبإرادة الرب لها بدأت الحروب الصليبية!

غير أن الإله الذي أراد الحروب الصليبية ليس إله النصارى كما هو شائع، وكما توهم عشرات الألوف ومئاتها ممن زحفوا تحت راية الصليب، بل إله الملك الإلهي الذي اختار بني إسرائيل للحكم وحصره فيهم.

وخطبة البابا أُربان الثاني التي ألقاها في حشود الرهبان الزاحفة من الأديرة في كل مكان من أوروبا الى كليرمون، والمختلطة مع الأمراء والنبلاء والإقطاعيين الفرانكا وأتباعهم وكتل العوام التي حشدها الرهبان في طريقهم إلى كليرمون، خطبة البابا أُربان الثاني هي نفسها دليل تاريخي على أصله الميروفنجي وعلى الرابطة بينه وبين الفرانكا واليهود.

فقد افتتح البابا أُربان الثاني خطبته التي ألقاها في الحشود المحتشدة أمامه في صقيع نوفمبر بالفرنسية، وسجلها روبرت الراهب Robert the monk، وكان أحد حضورها، افتتحها موجهاً خطابه الى الفرانكا لا إلى المسيحيين، ولا الى المؤمنين، وبدأها بعبارة لا يلقيها إلا يهودي إلى يهود:

"يا شعب الفرانكا القادم عبر الجبال، ياشعب الله المحبوب المختار"!

Or, race of Franks, race from across the mountains, race chosen and beloved by god.

وفي مشهد مسرحي صمت البابا طويلاً وهو يعقد يديه وينظر الى السماء فوق المنصة التي أقيمت له، ثم التفت الى الحشود المحتشدة أمامه ليخبرهم بما أوحت به السماء إليه، وهو أن الرب يريدها، ليشتعل حماس حشود الرهبان الممتزجة بكتل العوام والرعاع والجميع يهتفون: الرب يريدها، الرب يريدها(*).

(*) انظر المشهد في ملحق الصور.

أما في عالم سر السر فيقول لوماس ونايت إن الذي أرادها ليس الله، بل إن الذي أرادها ودبر لها وحشد الرهبان والعوام من أجلها الأسر الميروفنجية اليهودية التي تغلغلت في مجتمعات غرب أوروبا حتى صارت صفوتها ونبلاءها وأمراء الإقطاع فيها، وفي الوقت نفسه أقامت مملكة الأديرة والرهبان وهي التي تملك زمامها وتعرف مكامن إثارتها وتحريكها.

وقد نص لوماس ونايت على هذه الأسر والبيوتات اليهودية التي دبرت للحملة الصليبية الأولى وهيأت الظروف لاشتعالها، وكانت هى النار التي أثارت الرهبان والعوام ثم دفعت البابا اليهودي نحوها.

بل ونص لوماس ونايت على أن هذه الأسر المسيطرة على مقاليد المجتمعات الأوروبية والموجهة لمسار الأحداث فيها كانت هي القوة الدافعة خلف كل حملة صليبية والموجهة لها نحو الشرق.

وهذه الأسر والبيوتات التي نص عليها لوماس ونايت هى: أسرة شامبان Counts of Champagne، وأسرة جيزور Lords of Gisors، وأسرة بايان Lords of Payens ، وأسرة فونتان Counts of Fountaine، وأسرة فلاندرزCounts of Flanders، وأسرة أنجو Counts of Anjou، وأسرة دي بويون Counts of Bouillon، وأسرة سنكلير في اسكتلندا Sinclairs of Roslyn، وأسرة سان كلير دي جيزور في فرنسا، st. Clair de Gisors، وأسرة برين Brienne، وأسرة جوانفي Joinville، وأسرة شومون Chaumont، وأسرة هابسبرج Hepsburg، وأسرة لورين Dukes of Lorraine، وأسرة أكوتان Dukes of Aquitaine، وكونتات ريز Counts de Razes، وأسرة أوفيرن Counts of Auvergne، وكونتات تولوز Counts of Toulous، وأسرة بلوا Counts of Blois، وأسرة بولون Counts of Boulogne.

وهذه الأسر والبيوتات النبيلة والإقطاعية هى نفسها التي نص هوبكنز ورفاقه على أن ميشيل، مصدر معلوماتهم، أخبرهم أنها هي مجموعة أسر الملك الإلهي Rex Deus التي تنحدر عبر داوود من سبط يهوذا، وعبر هارون من سبط لاوي.

فالذي دبر للحملة الصليبية الأولى، قاطرة الحروب الصليبية وشرارة حروب المائتي عام التى استغرقتها، والذي أوقد نارها وألقى بالغرب والشرق في أتونها ليس سوى بني

إسرائيل!

فكيف إذاً ؟

تختلف الحملة الصليبية الأولى عن كل ما تلاها من حملات في أمرين.

الأمر الأول: أنها كانت حملة عوام أو حملة شعبية لا ملوك فيها ولا دول، فقد كان أقوى ملوك أوروبا، فيليب الأول Philipe I ملك فرنسا، ووليم الثاني William II ملك إنجلترا، وهنري الرابع Henry IV ملك ألمانيا مطرودين خارج حظيرة البابوية وعلى خلاف مع البابا أُربان الثانى نفسه، ومن ثَم لم تكن لهم صلة بالحملة الصليبية الأولى والدعوة إليها، ولا بالتدبير لها من قريب أو بعيد.

وكان الذي تولى تعبئة كتل العوام وحشد حشود الرهبان ودفعها للحرب المقدسة البابا أُربان الثاني نفسه وشبكة الأديرة التي تدور حول دير كلوني وتدين كلها بالولاء للبابا، وهو رئيس دير كلوني قبل صعوده للسدة البابوية.

والبابا دبر للحرب المقدسة بالتحالف مع الأشراف والنبلاء والأغنياء وأمراء الإقطاع، فكل كونت أو دوق أو لورد من هؤلاء حمل الصليب في إقطاعيته أو إقليمه وجمع حوله الرهبان، ومن حولهم عوام الفلاحين، فصار تحت لواء هؤلاء النبلاء والإقطاعيين حشود لا حصر لها ولا رابط ولا انسجام بينها، يلهب حماس المؤمنين والمخلصين منهم عبارات رهبان الأديرة التابعين لهؤلاء النبلاء والإقطاعيين، ويغري من ليس من أهل الإيمان والتقوى بالانضمام الى الحملة الزاحفة الى الشرق ما يوعدون به من المكاسب والمغانم، وما يُغرَون به من كل صنوف الإغراء وألوانه.

فالبابا أُربان الثاني منح صكاً مفتوحاً لكل من مات في الأرض المقدسة ان تُغفر ذنوبه، وأذن الإقطاعيون لأقنان الأرض أن يتركوا أراضيهم، وأُعفي سكان المدن من الضرائب، وأسقطت ديون من يذهب الى الأرض المقدسة، وأطلق البابا سراح المسجونين، وخفف أحكام الإعدام عن المحكوم عليهم بها إذا خدموا طوال حياتهم في الأرض المقدسة.

وانضم الى هذه الحشود المتنافرة آلاف المشردين الباحثين عن مأوى في أي مكان، والمغامرين الباحثين عن المغانم في أي اتجاه.

والأمر الثاني: الذي تختلف فيه الحملة الصليبية الأولى، شرارة الحروب الصليبية، هو أنها، كما يصفها ول ديورانت في قصته للحضارة:

"كانت في مجملها مغامرة فرنسية خالصة"!

فأمراء الإقطاع والنبلاء والبيوت التي تولت جمع حشود الحملة الصليبية الأولى، وعبأت الرهبان، ومِن حولهم كتل العوام والفلاحين كانوا جميعاً وبلا استثناء من الفرنجة، والفرنجة هم الفرانكا.

وكل من شارك في الحملة الصليبية الأولى من خارج فرنسا كان عن طريق الأديرة والرهبان وبتحريضها وتنظيمها، وهذه الأديرة وعلى رأسها كلوني والألفا دير التي تتبعه كان ولاؤها لأمراء الفرانكا الذين أقاموها ويغدقون عليها ويشملونها برعايتهم.

وكانت الأسرة الكارولنجية الحاكمة لفرنسا قد هرمت في القرن العاشر بسبب حروبها التوسعية المتواصلة، فانكمشت على نفسها وضعفت سيطرتها على أقاليم فرنسا المختلفة، فازدهرت الأسر المسلحة القوية المحلية التي كانت تسكن القلاع المنتشرة في كل مكان، فتفككت فرنسا ولم يعد للملك سلطة حقيقية على معظم الأقاليم، بل صار يحكم كل إقليم كونت أو دوق، هو وأسرته(*).

وهذه البيوتات والأسر، سادة فرنسا، التي دبرت للحملة الصليبية الأولى وتولت مع البابا أُربان الثاني والأديرة ورهبانها تهييج العوام وتكتيلها ودفعها في اتجاه اورشليم، والتي ذكرها ديورانت وأخفى أسماءها بمنهج المؤرخين التقليدي الذي يتحرك فيه التاريخ وحده، والأحداث فيه تحدث من تلقاء نفسها وهي البطل، هذه الأسر لم تكن سوى الأسر الميروفنجية اليهودية التي كشفها وكشف من هي لوماس ونايت، وهوبكنز ورفاقه، والمؤرخ المجهول من الثقب الذي أطلوا به على عالم سر السر.

ذرائع لا أسباب:

يوجز وِل ديورانت أسباب الحملة الصليبية الأولى عند المؤرخين والبواعث إلى شنها في أسباب ثلاثة.

السبب الأول والمباشر للحملة الصليبية: هو طلب الإمبراطورية البيزنطية من الكنيسة الكاثوليكية إغاثتها لصد غارات السلاجقة الأتراك عليها.

فقد كانت الإمبراطورية البيزنطية ترنح تحت ضربات القبائل السجلوقية المسلمة الزاحفة عليها، ففى سنة ١٠٧١م هزم الملك المجاهد إلب أرسلان الجيش البيزنطي هزيمة

(*) انظر خريطة لمقاطعات الفرانكا إبان الحروب الصليبية في ملحق الصور.

ساحقة في موقعة ملاذكرد وكاد أن يبيده فيها إبادة تامة، واستولى على أجزاء كبيرة من أملاك الامبراطورية في آسيا الصغرى.

وكان السلاجقة قد فتحوا سنة ١٠٥٨م حمص وأنطاكية، ثم أتبعوها بفتح طرسوس ونيقية الشهيرة في التاريخ والمقدسة في المسيحية بمجمعها الذي استقرت فيه العقيدة المسيحية على ما عرفه العالم عنها، فاضطر الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الأول كومنينوسAlexios I Kommenenos الى عقد معاهدة صلح مع السلاجقة تنازل لهم فيها عن معظم أراضي الإمبراطورية في أسيا الصغرى.

ولم توقف المعاهدة، مع ما فيها من مهانة للإمبراطورية، ضربات السلاجقة لها وإغاراتهم عليها حتى صاروا يحومون حول القسطنطينية نفسها.

وفي مارس سنة ١٠٩٥م أثناء انعقاد مؤتمر بياسنزا Piacenza الكاثوليكي أرسل الإمبراطور ألكسيوس سفراءه إلى المجلس وإلى البابا أُربان الثاني يطلب معاونة الكنيسة الكاثوليكية وأوروبا اللاتينية الغربية لصد غارات السلاجقة المسلمين وإنقاذ الإمبراطورية البيزنطية الشرقية.

ومن الطريف، وهو من الدلائل على أن إغاثة بيزنطة لم تكن سوى ذريعة لتهييج العوام وحشد الرهبان وقدح شرارة الحملة التي كان هدفها الحقيقي شئ آخر، أن الإمبراطورية البيزنطية وعاصمتها القسطنطينية كانت هي أولى ضحايا الحملة الصليبية الأولى!

فالذي طلبه الإمبراطور البيزنطي ونص عليه في رسالته الى مؤتمر بياسنزا هو إمداده بقوات عسكرية مدربة جيداً من أوروبا اللاتينية تتحرك بإمرته، وتقاتل تحت رايات الإمبراطورية البيزنطية وضمن خططها واستراتيجيتها لصد السلاجقة الأتراك Mercenary Forces.

أما الذي حدث فعلاً فهو أن رسالة الإمبراطور البيزنطي تحولت الى ذريعة البابا أُربان الثاني والأسرة الفرانكية النبيلة والإقطاعية المتحالفة معه من أجل إثارة العوام والرهبان.

وبعد مجلس كليرمون وإطلاق شرارة الزحف المقدس الى مهد المسيح وقبره، الذي لم يكن سوى غلاف آخر للغاية الحقيقية، كان البابا أُربان الثاني قد حدد موعداً لبدء الزحف الى الأرض المقدسة، هو شهر أغسطس سنة ١٠٩٦م، ولكن العوام الهائجة بالشعارات، وكعهدها في كل زمان وفي كل مكان، لم تنتظر الموعد الرسمي لبدء الحملة وانطلقت خلف

رهبان الأديرة!

وأشهر رهبان الحملة الصليبية الأولى هو بطرس الناسك Peter The Hermit.

ما أن أعلن البابا أُربان الثاني في كليرمون أنها إرادة الله حتى انطلق بطرس الناسك حاملاً الصليب في إقطاعيات أوروبا وأريافها من بيري Berry إلى اورليان Orleans، ومن شامبان Champagne إلى لورين Lorraine، ومن بورجندي Burgundy إلى بروفانس Provance وتولوز Toulouse.

وفي كل مكان يهبط عليه بطرس الناسك يرفع الصليب ويبكي ليحتشد حوله الألوف من الرهبان والفلاحين، ثم يتبعونه لأنه يبشرهم أن أورشليم لن يحررها الملوك والأمراء، لن يحررها سوى الفقراء من أتباع المسيح المخلصين وبمعونة الرب وحده!

وفي مارس سنة ١٠٩٦م زحف اثنا عشر ألفاً من الرهبان والفلاحين تحت قيادة بطرس الناسك وولتر الأفواري Walter The Avoir من فرنسا في طريقهم الى أورشليم ليلتقوا بجحفل آخر عُدته خمسة آلاف راهب وفلاح بقيادة الراهب جتشوك Gattschalk قادم من ألمانيا، وبجحفل ثالث قادم من بلجيكا بقيادة إيمكو Emico كونت ليننجين Leiningen، ثم اخترقت هذه الجحافل الجرارة وسط أوروبا وسارت مع الراين والدانوب وهم يسألون عند كل بلدة يصلون إليها: هل هذه هي أورشليم؟!

وفي نهاية الزحف المقدس وصل جيش الرهبان والفلاحين وقد أنهكه الجوع والعطش والأمراض ومقاومة البلاد التي مر بها إلى محطته النهائية: القسطنطينية!!

وعاث رعاع الزحف المقدس في القسطنطينية فساداً، فاقتحموا الكنائس والقصور ونهبوا المتاع والدور، ولم يجد الإمبراطور ألكسيوس كومنينوس وسيلة لإنقاذ عاصمة الإمبراطورية من هذا الجراد الزاحف عليها سوى شحنهم في أسرع وقت في سفن عبرت بهم البسفور، مع ما يكفيهم من غذاء ومؤن الى آسيا في انتظار وصول القوات الصليبية النظامية من أوروبا.

ولم تستطع هذه الجموع الهائجة الانتظار فزحفت الى المدينة المقدسة نيقية من أجل تحريرها من الكفار، فانقضت عليهم قواتٌ من السلاجقة جيدة التنظيم والتدريب فأبادتهم عن آخرهم، ولم يبق منهم أحد سوى بطرس الناسك الذي كان قد أطلقهم في اتجاه نيقية وعاد هو إلى القسطنطينية!

وبطرس الناسك ولد في منتصف القرن الحادي عشر تقريباً وبدأ حياة الرهبنة في أواخر شبابه بإنضمامه، كالكثير من أقرانه، إلى أحد الأديرة.

والدير الذي تكوَّن فيه بطرس الناسك وظل فيه طوال عمره ولم يخرج منه إلا إلى الحملة الصليبية هو دير أورفال Orval قرب مدينة ستيناي Stenay في منطقة أردينيه Ardennes جنوب فرنسا، وهو الدير الذي تبرعت بالأرض التي أقيم عليه وأسسته، ثم تولته بالرعاية وأغدقت عليه الأموال والعطايا أسرة لورين Lorraine الميروفينجية العريقة وإحدى أسر الملك الإلهي، بني إسرائيل!

وأسرة لورين هذه هي الأسرة التي كان رأسها زمن الحملة الصليبية الأولى جودفروا دي بويون دوق لورين Godfrio de Bouillon, Duke de Lorraine، وهو أول ملوك مملكة أورشليم اللاتينية الصليبية!

وبطرس الناسك، الذي جمع الرهبان والفلاحين ليسيروا خلف صليبه في حماسة وخشوع لأن الذى سيحرر القبر المقدس بمعونة الرب وحده الفقراء لا الملوك والأمراء، كان هو الذى عهد إليه أيوستاش Eustace كونت بولون Boulogne بتأديب ابنه جودفروا دى بويون وتعليمه، لأن بطرس الناسك قبل أن يترهب كان ملتزماً في إقطاعيته!!

وأما جودفروا دي بويون نفسه فقد تم تنصيبه بعد استيلاء الحملة الصليبية المنظمة على أورشليم ملكاً على مملكتها لصلاحه وتقواه المنقطعي النظير، كما يقول ول ديورانت، وهي مؤهلات لا تكفي وحدها لتفسير تنصيب راهب على دير لا ملك على مملكة مقاتلة!

أما في عالم سر السر فيقول لنكولن ورفاقه، ولوماس ونايت، وهوبكنز ورفاقه، والمؤلف المجهول إن دي بويون صار أول ملوك أورشليم لأنه الوريث الشرعي لمُلكها، فجودفروا دي بويون صار ملكاً على أورشليم باتفاق قادة الحملة الصليبية الأولى من الأمراء والنبلاء، ومن قبل وصولهم إلى أورشليم، لأنه أصرحهم نسباً في الأسرة الميروفنجية، وأكثرهم اتصالاً بفرع الملوك منها ومن بني إسرائيل.

جودفروا دي بويون هو حفيد جويليم دي جيلون كونت سبتهانيا وتولوز وملك اليهود، ومن ثَم فهو سليل داوود ووريث أورشليم الشرعي وأول من يصل من بني إسرائيل إلى ملكها من نسله.

الوصول إلى أورشليم واستعادتها وتنصيب ملك عليها من نسل داوود كان هو الهدف الحقيقي للحملة الصليبية وليس مارفعه من دبروا لها من شعارات، ولا ما ملأ به المؤرخون كتب التاريخ من أهداف أتتهم بها الأحداث التي يرصدون ظواهرها ولا اطلاع لهم على بواطنها ولا اعتناء لهم بالربط بينها أو البحث عن الفاعل الحقيقي وصاحب الغاية من خلفها، لأن التاريخ عندهم سار في الاتجاه الذي سار فيه وحده، والأحداث تحدث بالظروف والملابسات من تلقاء نفسها!

ولم يبق من السبب الأول للحملة الصليبية، سوى أن ذريعة الحملة الصليبية هي نفسها ملفقة!!

فاستغاثة الإمبراطور البيزنطي نفسها لم تكن عفواً ولا مصادفة، بل كانت بتدبير وترتيب.

في دراسة عن الحملة الصليبية الأولى يقول جون بريسكو Jon Presco إن بعض الأمراء والإقطاعيين وحكام المقاطعات في فرنسا كانوا يسعون جاهدين إلى تهيئة أجواء أوروبا من أجل دفعها الى الحملة الصليبية.

وإحدى الاستراتيجيات الخفية لهؤلاء الأمراء والإقطاعيين والحكام هي توثيق صلاتهم مع الإمبراطورية البيزنطية ومع الإمبراطور نفسه، لتكون هذه الصلات وسيلة لتمهيد أجواء أوروبا، وذريعة لحشد القوات فيها لإعانة بيزنطة في صراعها مع السلاجقة المسلمين.

ومن أجل توثيق صلات هذه الإقطاعيات والمقاطعات والإمارات مع بيزنطة كان يتعمد أمراؤها وعمداء أسرها الحاكمة العروج على بيزنطة والالتقاء بالإمبراطور في طريقهم الى الأرض المقدسة للحج، وفي إيابهم منها.

وأشهر من زاروا القسطنطينية في رحلاتهم للحج والتقوا الإمبراطور من أمراء الإقطاع وحكام المقاطعات في أوروبا الغربية كونراد الأول Conrad I كونت لوكسمبرج Luxemburg سنة ١٠٨٦م، ووليم الرابع William IV كونت تولوز سنة ١٠٩٤م.

وفي ذروة ازدهار رحلات الحج المسيحي إلى الأرض المقدسة سنة ١٠٨٩م، وبعد اعتلاء البابا أُربان الثاني العرش البابوي بسنة واحدة، زار روبرت الأول Robert I كونت فلاندرز Flanders القسطنطينية والتقى الإمبراطور ألكسيوس كومنينوس.

ويقول جون بريسكو إن روبرت الأول كونت فلاندرز هو الذي أدخل فى رأس الإمبراطور البيزنطي فكرة استعانة الإمبراطورية في حربها مع السلاجقة بقوات فرسان من غرب أوروبا، ووعده إن هو طلب ذلك أن تكون إمارات اوروبا الغربية ومقاطعاتها معه في حربه، وأن تمده بما شاء من فرسان وقوات لتكون تحت إمرة الإمبراطورية، وتعهد له أن يمده هو شخصياً بقوة فرسان قوية مدربة بخيولها من إمارته.

ولم يكن عرض كونت فلاندرز للإمبراطور من أجل المجاملة، وما كان الإمبراطور، وهو في مأزق ويكاد يفقد الإمبراطورية، يستطيع أن يصمد أمام إغراء الكونت بإمداده بالفرسان وإعانة الإمبراطورية على صد غزوات السلاجقة وهو يعلم مكانته في غرب أوروبا وصلاته بأمرائها ونبلائها، ويعلم قبل ذلك مواهبه الحربية ومقدرة فرسانه.

فقد كان روبرت الأول كونت فلاندرز صاحب أكبر قوة فرسان في أوروبا الغربية ولا يضارعها في عددها وتدريبها وما خاضته من معارك أي قوة أخرى في أوروبا كلها.

وكان كونت فلاندرز نفسه محارباً مغواراً وقائداً محنكاً ومغامراً عاشقاً للقتال والحروب وذا خبرة كبيرة فى قتال المسلمين.

فلم يكن عرض الكونت على الإمبراطور البيزنطي أول عروضه ولا حروبه ضد المسلمين، وإحدى أشهر مغامراته الحربية أنه أبحر مع قوة كبيرة من فرسانه من إمارته إلى جاليشيا Galicia في إسبانيا على متن أسطول صغير من أجل مشاركة الكاثوليك في القتال ضد جيش المرابطين العابر الى الأندلس سنة ١٠٨١م.

ولأن كل أسباب الحملة الصليبية الأولى لم تكن سوى ذرائع مدبرة لا أسباب حقيقية ولا ظروف وأحداث تلقائية، فمن الطريف أيضاً أنه حين وصلت القوات الصليبية المنظمة إلى القسطنطينية، وعلى رأسها الأمراء والحكام الذين أدخلوا فى رأس الإمبراطور أن يستعين بهم فوجئ الإمبراطور بضخامة هذه القوات وكثرة ما فيها من فرسان وما يسير في ركابها من الرهبان والفلاحين مما لم يتوقعه ولم يكن قد طلبه ولا أراده، فخاف على إمبراطوريته منهم.

وعند وصول الأمراء والحكام والنبلاء الى القسطنطينية التقاهم الإمبراطور فرادى، وقبل أن يسمح لهم بعبور البسفور من أوروبا الى آسيا أجبرهم واحداً واحداً على أن يقسموا أمامه على الولاء للإمبراطورية البيزنطية وله هو نفسه، وعلى أن يعودوا الى أوروبا

الغربية بعد انتهاء مهمتهم، وأن يعيدوا الى سيادة الإمبراطورية كل ما تمر عليه جيوشهم ويستولون عليه من بلاد في طريقهم الى الأرض المقدسة، وهو مالم يحدث!!

والسبب الثاني للحملة الصليبية الأولى عند المؤرخين هو حماية الحجاج المسيحيين من أوروبا الى الأرض المقدسة من اضطهاد السلاجقة لهم.

يقول وِل ديورانت:

"إن العالم قد كيّف نفسه لقبول سيطرة المسلمين على بلاد الشرق الأدنى، وكان الفاطميون، حكام مصر، يحكمون فلسطين حكماً رحيماً استمتعت فيه الطوائف المسيحية بحرية واسعة في ممارسة شعائر دينها، وكان في وسع الحجاج المسيحيين أن يدخلوا الأماكن المقدسة بكامل حريتهم، وكان الحج الى فلسطين قد أصبح منذ زمن بعيد إحدى شعائر العبادة والتوبة من الذنوب، فكان الإنسان أينما سار في أوروبا يلتقي بحجاج يدلون على أنهم أدوا هذه الشعيرة بأن يضعوا على أثوابهم شارة في شكل الصليب من خوص النخل جاءوا به من فلسطين، ولكن الأتراك انتزعوا بيت المقدس من الفاطميين سنة ١٠٧٠م، وأخذ الحجاج المسيحيون بعد عودتهم الى أوطانهم يتحدثون عما يلقونه فيها من ظلم وتحقير".

فأما الدليل الوحيد الذي قدمه ديورانت على ماصار يلقاه الحجاج الى الأرض المقدسة من ظلم وتحقير فهو:

"شيوع قصة قديمة فى أوروبا، ولا نجد ما يؤيدها، أن أحد هؤلاء الحجاج حمل إلى البابا أُوربان الثاني رسالة من سمعان بطريق أورشليم تصف بالتفصيل ما يعانيه المسيحيون من اضطهاد وتستغيث به لينقذهم".

وأما بطل هذه القصة القديمة التي أوردها ديورانت ولم يجد ما يؤيدها، الحاج الذي كان كافياً وحده ليشعل حروباً دام أُوارها مائتي سنة، فهو بطرس الناسك!

ومالم يذكره ديورانت ولم يرد في خلده أن ينقب عنه هو أن رحلات الحج التي كانت حمايتها إحدى ذرائع شن الحملة الصليبية الأولى هي نفسها كانت جزءًا من استراتيجية محكمة النسج وشديدة الأناة، غايتها تمهيد أوروبا للحرب عن طريق ربط الأوروبيين بِالأرض المقدسة، وإثارة مشاعرهم برؤية مهد المسيح وقبره ومنبع المسيحية في أيدي غير أتباعه، لتكون المرحلة التالية هي استنفارهم من أجل تخليصها.

فالتحول الذي حدث في معنى الرحلة إلى الأرض المقدسة من الزيارة إلى الحج لم يحدث وحده ولا من تلقاء نفسه كما توهم ديورانت وأوهم من يقرأ له، فالزمان البعيد الذي ذكر ديورانت أنه بدءًا منه صار الحج الى فلسطين إحدى شعائر العبادة والتوبة من الذنوب ليس سوى زمان اعتلاء سلفستر الثاني، أول بابا من أصل ميروفنجي، عرش الكنيسة الكاثوليكية!

قبل صعود البابا سلفستر الثاني الى العرش البابوي كان الذهاب إلى الأرض المقدسة يتم بصورة تلقائية وفردية، فكان المسيحيون يرتحلون من أوروبا الى الأرض المقدسة فرادى أو في جماعات بسيطة للزيارة فقط، ودون أن يكون لزيارتهم علاقة بالعبادة والتوبة ولا بالطقوس والشعائر.

ومع اعتلائه للعرش البابوي اعتمد البابا سلفستر الثاني استراتيجية دفع الأوروبيين إلى زيارة الأماكن المقدسة بكثافة وفي جماعات كبيرة، فحوَّل زيارة الأماكن المقدسة في الشرق إلى حج مقدس، هو شعيرة من شعائر العبادة وإحدى وسائل التوبة والتطهر من الذنوب، وبه ينال الحاج الغفران، بل ويصير في إمكان الحجاج بعد أدائهم للحج، كما نقل ديورانت عن بيرز بلومان Piers Plowman، أن يكذبوا ويخادعوا ما بقي من حياتهم!!

وأثمرت البذرة التي ألقاها البابا سلفستر الثاني ثمارها التي كان يعلم أنها لابد أن تثمرها.

ازدهرت رحلات الحج المسيحية من أوروبا الى أورشليم إبان القرن الحادي عشر ازدهاراً كبيراً، ولم تعد تقتصر على أفراد من الرهبان التائقين لرؤية مهد المسيح وقبره، ولا السائحين المتشوقين لرؤية الأماكن التي يقرأون عنها في الكتاب المقدس، بل تقاطر الأوروبيون زرافات ووحداناً من كل حدب وصوب في أوروبا نحو أورشليم شوقاً إليها وطلباً للمغفرة لما تقدم من ذنوب، وضماناً لغفران ما تأخر منها.

ومع منتصف القرن الحادي عشر كانت الزرافات والوحدان قد صارت جحافل من الأفواج العابرة لأوروبا نحو الأرض المقدسة ولا تنقطع، لا صيفاً ولا شتاءًا.

وحوَّل البابا سلفستر الثاني الذهاب إلى الأرض المقدسة من زيارة وسياحة إلى حج وشعيرة وعبادة، ليكون جمع الحجاج في أنحاء أوروبا المختلفة وتنظيم الرحلات وترتيب الانتقالات وقيادة الأفواج مهمة يتعاضد على القيام بها رهبان الأديرة مع أمراء

الإقطاعيات وحكام المقاطعات في غرب أوروبا.

وهما معاً وجهان للشئ نفسه، فهؤلاء الأمراء والحكام هم من أنشأوا هذه الأديرة ويمولونها ويقومون على رعاية هؤلاء الرهبان.

يتولى الرهبان إثارة مشاعر العوام بأحاديثهم عن الأماكن المقدسة وتشويقهم لرؤيتها ودفعهم للتوبة ونوال المغفرة بالحج اليها، ثم يجمعون من حشدوهم من العوام ويقودونهم عبر طرق الحج الطويلة الى الأرض المقدسة، وتذكر الموسوعة الكاثوليكية أن أحد هؤلاء الرهبان، وهو جونثر Gunther أسقف بامبرج Bamberg، تمكن سنة ١٠٦٥م من حشد اثني عشر ألف حاج من ألمانيا، ثم قادهم وعبر بهم وسط أوروبا وجنوبها حتى وصل بهم إلى أورشليم وحده!

وقد كانت أديرة هؤلاء الرهبان تسيطر سيطرة مطلقة على طرق الحج إلى الأماكن المقدسة في أوروبا، فمدت سلطانها إلى طرق الحج التي تكونت من أوروبا عبر الإمبراطورية البيزنطية إلى الأماكن المقدسة في الشرق.

وفي الوقت نفسه كان الأمراء والنبلاء يقدمون القدوة والمثل لأتباعهم في الإمارات والإقطاعيات والمقاطعات التي يحكمونها، فلم تكن تخلو رحلة حج من الأمراء والنبلاء والإقطاعيين، يجمع أحدهم أتباعه ويحضهم على التطهر برؤية الأماكن المقدسة، ثم يخرج مع الأفواج الراحلة إلى أورشليم، ويوفر لها من يحرسها من الفرسان، بل ومول بعض الأمراء والنبلاء، وخاصة من فرنسا، أفواجاً كاملة في رحلتها.

وفي الموسوعة الكاثوليكية أن أول من سن هذه السنة ريتشارد الثاني Richard II دوق نورماندي Normandy، ففي سنة ١٠٢٦ جمع رئيس دير القديس فينيه Saint Vennes سبعمائة حاج وقادهم من فرنسا إلى أورشليم، وكان ريتشارد دوق نورماندي هو الذي مول الفوج بأكمله، جمعاً وانتقالاً ومعيشة، ثم حذا باقي نبلاء نورماندي وفرنسا حذوه.

وأغلب قادة الحملة الصليبية الأولى، وعلى رأسهم جودفروا دي بويون نفسه، خرجوا مع أفواج الحج وزاروا أورشليم بدلاً من المرة مرات.

وغاية الحجاج كانت التطهر والتوبة، ولكن من جعلوا التطهر والتوبة مشروطاً بالحج الى أورشليم كان لهم غاية أخرى، هي ربط أوروبا كلها بالأماكن المقدسة، وتعبئة أذهان

أهلها بأخبارها، وتشويقهم لها، وإلهاب عواطفهم بأجوائها من أجل دفعهم لاحقاً لتخليصها.

ومن أجل هذه الغاية أسس البابا اليهودي سلفستر الثاني عدة منظمات لتدوين أخبار الأرض المقدسة ونشرها وألحقها بالأديرة.

والبابا أُربان الثاني هو بطل الحملة الصليبية الأولى، وقد شنها وأعلنها لأن الرب أوحى بها إليه من أجل إنقاذ الإمبراطورية البيزنطية، لكن البابا جريجوري السابع، وهو أيضًا ميروفنجي، كان سابقاً للبابا أُربان الثاني فى السعي لتحريك حملة صليبية نحو الشرق بذريعة إنقاذ الإمبراطورية البيزنطية.

ففي سنة ١٠٧٤م، بعد موقعة ملاذكرد التي سحق فيها السلاجقة جيش الإمبراطورية وتوغلوا في آسيا الصغرى، أرسل البابا جريجوري السابع رسالة إلى الإمبراطور البيزنطي ميخائيل السابع Michael VII يعرض عليه إغاثة الإمبراطورية البيزنطية ومعاونتها في صد غزو السلاجقة، ويخبره أنه قادر على حشد جيش من خمسين ألف مقاتل يقودهم هو بنفسه (البابا) من أجل إنقاذ المسيحية الشرقية وإعادة توحيد العالم المسيحي في مواجهة الخطر الإسلامي.

أما فكرة شن حملة صليبية على العالم الإسلامي من أجل استعادة أورشليم وتخليص مهد المسيح وقبره فلم تكن فكرة البابا أُربان الثاني ولا البابا جريجوري السابع، بل فكرة رجل آخر لم تُعنه ظروف زمنه على تحقيقها فظلت تنمو في الأذهان إلى أن جاء أوانها.

وهذا الرجل الآخر هو نفسه الذي حول الرحلة الى أورشليم من زيارة وسياحة إلى حج وعبادة، لتكون هذه خطوة أولى في الطريق الطويل إلى استعادتها!

صاحب فكرة الحملة الصليبية هو البابا سلفستر الثاني نفسه!

السبب الثالث لشن الحملة الصليبية عند المؤرخين هو رغبة المدن الإيطالية، بيزا وجنوه والبندقية وأمالفي، في توسيع ميدان سلطانها التجاري الآخذ في الازدياد، فهذه المدن هي الثغور التي كانت تخرج منها غلات إيطاليا والبلاد الواقعة وراء الألب.

في سنة ١٠٢٢م استولى النورمان على سردينيا، وفي سنة١٠٦٠م استردوا صقلية من المسلمين، ثم كورسيكا سنة ١٠٩١م، ففتح استيلاء النورمان على الجزر الثلاثة مضيق مسينا والجزء الغربي من البحر المتوسط أمام الملاحة الأوروبية، فأخذت المدن التجارية في

إيطاليا تعمل جاهدة للقضاء على تفوق المسلمين في الجزء الشرقي من البحر المتوسط لكي تفتح أسواق الشرق الأدنى لبضائع غرب أوروبا.

تقع إيطاليا في الغرب وتخترق البحر المتوسط في اتجاه الشرق، وثغورها تتوزع في ثلاث جهات مختلفة، وتشرف بلدانها الشمالية على ممرات جبال الألب.

وبهذه المزايا الفريدة صارت إيطاليا مركز التجارة الأوروبية مع الإمبراطورية البيزنطية، ومع الشام ومصر وإفريقية.

ومنذ أواسط القرن التاسع الميلادي تحولت مدن الشواطئ الإيطالية، بيزا وجنوه وأمالفي ونابولي وسالرنو، كل مدينة الى دولة City State، يحكمها دوق حكماً مستقلاً ولها أسطولها وجيشها وتجاراتها، فكانت تجارة أوروبا كلها تتجمع في هذه المدن المطلة على بحر الأدرياتيك والبحر المتوسط قادمة من حوض نهر الدانوب وحوض نهر الراين عابرة ممرات جبال الألب إليها، ثم تنتقل عبر أساطيلها إلى شواطئ المتوسط الجنوبية، لتعود محملة ببضائع جنوب المتوسط، فتعيد توزيعها عبر أوروبا كلها.

وبين مركز التجارة بين الشرق والغرب في المدن الإيطالية على سواحل المتوسط وبين التجارة داخل أوروبا نفسها رباط وثيق.

فالمدن والمراكز التجارية في أوروبا كانت هي الحلقة التى تكتمل بها دورة التجارة، فالتجارة القادمة من جنوب المتوسط لتصب في المدن الإيطالية وتتركز فيها كان يُعاد تصريفها داخل اوروبا، ولولا ذلك لتوقفت دورة التجارة بين الشرق والغرب وماتت المدن الدول الإيطالية.

وفي داخل أوروبا كانت تجارة الجملة التي تتولى تجميع التجارة الدولية وتعيد توزيعها على تجار التجزئة والباعة الجوالين تعتمد على الأسواق الموسمية المحلية التي تقام في مختلف أنحاء أوروبا، في لندن، وباريس وليون وإقليم شامبان وبروج في فرنسا، وفرانكفورت ولايبزج في ألمانيا، وجنيف في سويسرا، ونفجورود في روسيا.

وكان كل سوق من هذه الأسواق الموسمية ينعقد لستة أو سبعة أسابيع، وكان تعاقبها وتداولها بين المدن المختلفة يكون سوقاً دولية لتصريف البضائع القادمة من أنحاء أوروبا المختلفة ومن جنوب المتوسط.

ومن أشهر هذه الأسواق وأكبرها سوق لانيLagny الذي كان يقام في مقاطعة شامبان

في فرنسا في شهر يناير، وسوق بروفانس Province في مايو وسبتمبر، وسوق تروي Troyes في سبتمبر ونوفمبر.

أما أكبر سوق للتجارة ومركز لتبادل البضائع في أوروبا في القرن الحادى عشر، فهي مدينة بروج Brouge، فعندها كانت تتقاطع محاور التجارة الأوروبية، وكان ميناؤها حصيناً وبعيداً عن خطر القرصنة، ولذا اجتذبت إليها أساطيل جنوه وفينيسيا ومدن السواحل الفرنسية، فكانت أساطيل هذه المدن الإيطالية والفرنسية تهبط ببضائعها في بروج، ثم تعيد توزيعها عبر أكثر من مائة طريق إلى المواني والمدن الصغيرة.

وفي الوقت نفسه حلت بروج مع الوقت محل كل المدن ذات المواسم التجارية، فصارت السوق التي تلتقي فيها التجارة الأوروبية كلها، فكانت حركة النقل الثقيل على أنهار الموز Meuse والشيلد Scheldt والراين Rhine تحمل إلى بروج بضائع ألمانيا وفرنسا لتصديرها إلى روسيا وإنجلترا وإسبانيا، وبالعكس.

ودورة التجارة الدولية بين جنوب أوروبا ووسطها وشمالها وبين شواطئ المتوسط الشمالية وشواطئه الجنوبية كان يعوق اكتمالها لكي تصير حرة حرية تامة وجود مواني المتوسط الجنوبية في حوزة المسلمين، ففتح استيلاء النورمان على سردينيا وصقلية وكورسيكا، وعلى الجزء الشرقى من إسبانيا غرب المتوسط للتجارة الدولية، ومن ثَم كانت الحملة الصليبية هي الخطوة التي لابد منها للاستيلاء على مواني شرق المتوسط وفتح طريق البضائع من غرب أوروبا إلى الشام وآسيا وإفريقية، ثم إلى الهند والصين.

الحملة الصليبية الأولى كانت خطوة فى مسيرة إكمال دورة التجارة وتحرير التجارة الدولية.

وهو ما حدث فعلاً، فقد راجت مع الحروب الصليبية التجارة رواجاً شديداً وازدهر التجار وأثروا ثراءًا فاحشاً، وانتعش النقل البحري انتعاشاً لا سابق له في التاريخ.

يعقب وِل ديورانت، وهو يفسر علاقة رغبة المدن التجارية في توسيع سلطانها ونفوذها وازدهار تجاراتها ونماء ثرواتها بقرار الحملة الصليبية الأولى، بقوله:

"ولسنا نعلم إلى أي حد كان هؤلاء التجار قريبين من مسامع البابا ؟"!

والذي لم يرد على خلد ديورانت أن التجار لم يكونوا في حاجة إلى أن يكونوا قريبين من أذن البابا،لأنهم هم والبابا اليهودي الذي دبر للحملة الصليبية وأعلنها شئ واحد!

مرة أخرى، التاريخ الأعمى الذي تحدث فيه الأشياء وحدها ويسير فيه التاريخ في مساره دون تدبير ولا غاية لأحد، التاريخ الذي يؤرخ فيه المؤرخ للبلاد والبحار، وللأحجار والأشجار، وللأسواق الكبير منها والصغار، والشئ الوحيد الذي يغفله فلا يبحث عنه ولا أثر له في التاريخ عنده هو البشر وما يريدونه وما يربط بينهم!

المدن هي التى دبرت، والتجارة هي التي أرادت، والأسواق هى التي حركت، والبضائع هي التي هيئت، فأين البشر، ومن هم الذين يصب في غايتهم كل هذا ؟!

لو كان في ذهن مؤرخ عالم التاريخ البشر فبحث عنهم وعرف من يكونون لما كان في حاجة إلى أن يتعجب متسائلاً عن الطريقة التي وصلت بها تدبيرات التجار وغاياتهم إلى مسامع البابا.

فأسباب الحملة الصليبية الأولى التي ذكرها ديورانت يفسر بها المؤرخون اتقاد أوارها، والتي تبدو مختلفة ومتناثرة ولا رابط بينها، ثَمة في ما خلف ظاهرها ما يوحد بينها، ولو فطنوا إلى التنقيب عنه لصارت كلها شيئاً واحداً.

فهذه الأسباب التي تبدو مختلفة ومتفرقة ومتناثرة، تدور كلها حول اليهود وتلتقي عندهم.

في كتابه: المسألة اليهودية The jewish question أفرد اليهودي الصهيوني أبرام ليون Abram Leon مساحة واسعة لدور اليهود في الاقتصاد الأوروبي عبر التاريخ.

فيقول ليون إنه منذ القرن الرابع الميلادي:

"صار اليهود ضمن الطبقات العليا والثرية وجزءًا من صفوة المجتمع في كثير من بلدان أوروبا المسيحية، وكان أغلب هؤلاء اليهود يعملون في التجارة والأنشطة المالية والاقتصادية".

وينقل ليون عن الربي ليوبولد لوكاس Leopold Lucas أن:

"اليهود كانوا سادة المال والتجارة في أنطاكية Antioch، وهى أكبر مركز مالي وتجاري في الإمبراطورية البيزنطية، إلى درجة أن كل الأعمال المالية والتجارية في المدينة كانت تتوقف فى ايام احتفال اليهود بأعيادهم"!

وهو ما يؤكده إثير بن باسا Esther Ben Bassa في كتابه: يهود فرنسا من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر The Jews of France, A history from the

antiquity to the present.

يقول بن باسا إنه منذ القرن الخامس الميلادي، بعد انشطار المسيحية وانفصال الإمبراطورية البيزنطية بكنيستها الشرقية عن الإمبراطورية الرومانية وكنيستها الغربية:

"ازدهرت أنشطة اليهود التجارية وطوروا نوعاً من التبادل التجاري على نطاق دولي براً وبحراً".

وما ذكره ليون الصهيوني وبن باسا اليهودي تؤكده الموسوعة البريطانية وموسوعة ويكيبيديا، وفي الموسوعتين أن اليهود منذ القرن الخامس الميلادي هم سادة عالم المال ويسيطرون على التجارة في أوروبا سيطرة مطلقة.

ويقول ليون إن اليهود كانوا لعدة قرون هم الوسيط التجاري الوحيد بين الشرق والغرب، فكانت رحلاتهم التجارية تبدأ من أراضي الفرانكا غرباً، وتمر محملة بالبضائع الغربية عبر أوروبا إلى السند والهند وحتى الصين، ثم تعود محملة بمنتجات الشرق وبضائعه في رحلة عكسية حتى تصل مرة أخرى إلى ممالك الفرانكا وأقصى غرب أوروبا، وبعضهم كان يبحر إلى القسطنطينية لبيع ما أتى به من الشرق ومن الغرب.

اليهود دون شك، كما يقول ليون:

"كانوا منذ بداية الدولة الكارولنجية أواسط القرن الثامن الميلادي هم الوسيط التجاري الرئيسي ويكاد يكون الوحيد بين الشرق والغرب".

وبعد أن فتح المسلمون إسبانيا وازدهرت الأندلس صارت فرنسا وإسبانيا من أكبر أماكن تجمع اليهود ومركزاً لأنشطتهم التجارية ولوساطتهم في تبادل البضائع بين غرب أوروبا المسيحي والأندلس المسلمة ومن خلفها شمال إفريقية.

ومع حلول القرن العاشر الميلادي كانت التجارة بين أوروبا وبين العالم الإسلامي كلها تقريباً في يد اليهود.

فكما يقول دكتور روبرت أونيل Robert O'Neil في دراسة له عن أصول الاقتصاد والمجتمع Origin of economics & society، تجارة البحر المتوسط كلها كانت في يد التجمعات اليهودية التي تستوطن المدن الكبرى الواقعة على شواطئه الشمالية، والتجارة بين فرنسا والأندلس، كما يقول بن باسا، كان عمادها ووسيطها الرئيسي اليهود.

والتجارة داخل أوروبا كلها وبين بلدانها كانت هي ايضاً تكاد تكون حكراً على اليهود،

حتى صارت كلمة يهودي Jew، كما يقول برين Prienne في كتابه: محمد وشارلمان Mohamed and Charlemagne، مرادفة لكلمة تاجر Merchant، فالتاجر هو اليهودي واليهودي هو التاجر.

وكل اليهود فى أوروبا في القرن العاشر كانوا، كما يقول ليون، يعملون في التجارة ونقل البضائع وما يتصل بها من أنشطة، حتى قال إليعازر بن ناثان Elieser Ben Nathan:

"إن التجارة هي قوام حياتنا ووسيلتنا الرئيسية للوجود".

وعلى حافة الحروب الصليبية كان كل اليهود بين كولون Coloqne في وسط أوروبا وماينز Mains في أقصى شمالها يعملون في التجارة، وفي إسبانيا كانت كل تجارتها الخارجية تحت سيطرتهم، وتجارة البحر المتوسط حكر على التجمعات اليهودية المستوطنة في المدن الكبرى على شواطئه الشمالية والجنوبية، وأكثر من نصف ثروات المدن التجارية المتوسطية، كما يقول روبرت أونيل، كانت في يد مجموعة من الأسر اليهودية المترابطة التي تسيطر على أنشطتها التجارية، وتجارة لييج Lieg، مركز التجارة في بلجيكا وشمال أوروبا كانت تحت يدهم، وهم الذين يحتكرون التجارة ونقل البضائع في مقاطعات الفرانكا.

والتجار اليهود الدوليون، كما يقول ديورانت نفسه:

"كانوا هم الذين وضعوا طائفة من القوانين التجارية يسيرون على هديها وتضبط المعاملات التجارية وتنظم شؤون التبادل التجاري، وهذه النظم والقواعد التي وضعها التجار اليهود هي التى أصبحت بعد ذلك أساس القانون التجاري والقانون البحري"!

والمدن التي ذكر ديورانت أنها المراكز التجارية الرئيسية في أوروبا، وأن أكبر أسواق تصريف البضائع لأوروبا تقام فيها هي كلها مدن تقع داخل المقاطعات الفرانكية التي يحكمها الأمراء المنحدرون من الأسرة الميروفنجية أو بني إسرائيل.

فأحد أكبر أسواق أوروبا قاطبة، وهو سوق لاني، كان ينعقد هو وأخوه سوق تروي في مقاطعة شامبان.

وبروج التي ذكرها ديورانت وأفاض في وصف مركزها التجاري، وتَحَكُّمها في محاور التجارة الأوروبية، وصلتها بالمدن التجارية الإيطالية على المتوسط لم تكن سوى العاصمة التجارية والصناعية والمنفذ الخارجي لمقاطعة فلاندرز الفرانكية.

فإذا عدت بضع صفحات إلى الخلف فستجد أن أسرة شامبان وأسرة فلاندرز هما من

أسر الملك الإلهي، وروبرت كونت فلاندرز هو الرجل الذي أوحى إلى الإمبراطور البيزنطي فكرة الاستعانة بقوات فرسان من أوروبا الغربية في حربه مع السلاجقة لتكون هذه إحدى ذرائع الحملة الصليبية.

فهلا أيقنت الآن أن كل ذرائع الحملة الصليبية التي يسميها المؤرخون أسباباً ليست سوى أفاعي خرجت من الجحر اليهودي؟

وأما غير اليهود من أمراء المقاطعات ولوردات الإقطاع وحكام الأقاليم والمدن الدول فقد كانوا غلافاً لليهود في الحملة الصليبية، وهم غلاف اليهود لأن اليهود في كل شأن، سياسي أو عسكري أو اقتصادي أو اجتماعي، وفي كل عصر ومصر، كما بينّا في الوحي ونقيضه، لا يوجدون ولا يتحركون إلا فى غلاف من الأميين يُذهل به من يرصد الأحداث ويغيب وعيه به عنهم!

وغير اليهود من الأمراء واللوردات والإقطاعيين والحكام كانوا غلافاً لليهود، أرادوا أو لم يريدوا، لأن التجار اليهود كانوا في أدمغتهم وفوق رقابهم.

يقول أبرام ليون في كتابه: المسألة اليهودية إن التجارة في أوروبا الإقطاعية كانت وثيقة الارتباط بالإقراض والربا، والأطراف المتعاملة فيها وتنتفع منها واحدة.

فالعناصر التي تقوم عليها التجارة في أوروبا الإقطاعية ثلاثة، هي التاجر الذي يرتحل ويجلب البضائع من الشرق وينقلها من بلد إلى بلد، والعبيد وهم قوة العمل أو بديل الآلات ووسائل النقل في الرأسمالية الحديثة، ثم أمراء المقاطعات ولوردات الإقطاع وحكام الأقاليم وأسرهم، وهم المستهلك أو السوق التي تتصرف فيها البضائع التي يجلبها التاجر ويحصل في مقابلها على المال، وهم في الوقت نفسه السلطة التي تتحالف مع التاجر، فهو يوفر لها ما تريده وهي تسهل له عمله وتمنحه الامتيازات.

وقد كان اليهود، مع سيادتهم لعالم المال والتجارة بين الشرق والغرب وداخل أقاليم أوروبا المختلفة، يسيطرون على عناصر التجارة الثلاثة!

فالعنصر الأول هو التاجر، والتاجر هو اليهودي واليهودي هو التاجر.

والعنصر الثاني هو العبيد، ولأن العبيد في عصر لم يكن فيه آلات ولا تقنية ولا روافع وشاحنات كانوا هم قوة العمل الحقيقية، كانت تجارة العبيد إحدى أكثر أنواع التجارة ازدهاراً في أوروبا الإقطاعية، وهي تجارة كان اليهود سادتها ويسيطرون عليها سيطرة

مطلقة.

ينقل أبرام ليون عن برين أن اليهود منذ القرن التاسع الميلادي وهم سادة تجارة الكماليات والمنسوجات الفاخرة والخمور والتوابل والملح، بل إنهم كانوا يحتكرون مناجم الملح في نورمبرج Nuremburg، وهي المصدر الرئيسي للملح في أوروبا بعد الملح القادم من الشرق، وأنهم كانوا يتاجرون في السلاح، وجيوش المقاطعات والإقطاعيات الأوروبية المتنازعة تعتمد كلها في تسليحها على ما يجلبه لها التجار اليهود، ومن ثَم كان هؤلاء التجار وبضائعهم هم الطرف الوحيد القادر على عبور الحدود بين المقاطعات والإقطاعيات المتقاتلة والانتقال عبر خطوط القتال بين المحارب ومن يحاربه.

لكن تجارة اليهود الكبرى والمغلقة عليهم، كما يقول ليون نقلاً عن برين، كانت تجارة العبيد!

فكان اليهود يأتون بالعبيد من الأماكن النائية والقاصية في رحلات طويلة لبيعهم في أوروبا، خاصة في فرنسا وإسبانيا.

وقد تطلب ازدهار تجارة العبيد والحفاظ عليها وإحكام غلقها على اليهود تعاوناً وثيقاً بين يهود روسيا وبولندا ويهود غرب أوروبا، فكان يهود روسيا وبولندا يجلبون العبيد ليهود فرنسا واسبانيا، ليتولى هؤلاء تصديرهم وبيعهم في المقاطعات الفرنسية والإسبانية والألمانية.

ورغم تحريم الكنيسة لعمل المسيحيين عند اليهود كان التجار اليهود في فرنسا، كما يقول بن باسا:

"يوظفون في خدمتهم مسيحيين من الأحرار، ويبيعون المسيحيين المجلوبين من شرق أوروبا عبيداً في غربها حتى اشتكى بعض القساوسة وثارت ثائرتهم"!

ففي عهد لويس بيوس بن شارلمان شن أجوبارد Agobard أسقف ليون Lyons حملة عنيفة على:

"ما وصل إليه اليهود في البلاط الملكي من حظوة ونفوذ، وفي الدولة كلها من سيادة ورفعة حتى علت منزلتهم على منزلة الأساقفة والقساوسة، وما وصلوا إليه من ثروة وسيطرة على المال والتجارة، وصبغ الأسواق بصبغة اليهود الدينية حيث تغلق جميع الأسواق يوم السبت لأنه يوم اليهود المقدس الذي لا يعملون فيه".

وقد كتب أجوبارد إبان حملته على اليهود أربع رسائل Epistles، وفي إحداها اتهم اليهود بإستغلال المسيحين بدنياً وتعمد إذلالهم، ويسرقة أطفال المسيحيين من بعض البلاد وبيعهم عبيداً في بعضها الآخر.

بل واضطرت عدة مجامع مسيحية خلال القرن التاسع والقرن العاشر، كما يذكر بن باسا، إلى إصدار مراسيم تنص صراحة على تحريم استعباد اليهود للمسيحيين.

وأما الطرف الثالث في التجارة فهو الأمراء والإقطاعيون وحكام المقاطعات، فهذه الأسر الغنية والنبيلة كانت السوق التي يسعى التجار لوضع يدهم عليها، لأنهم من يستهلكون بضائعهم ويتصرف عندهم مايجلبونه، ثم هم أيضاً الدولة أو السلطة التي تيسر لهم عبور الحدود، وتعقد لهم الأسواق، وتمنحهم المزايا مقابل ما يوفرونه لهم من سبل الراحة ووسائل الترف والرفاهية وعلامات الثراء والفخامة.

تمكن التجار اليهود مع الوقت من التوغل في رؤوس الأمراء والنبلاء والإقطاعيين ليكون مظهر السلطة عندهم الترف والرفاهية وفخامة الثياب وفراهة القصور، وكلما ازداد الأمراء والنبلاء والإقطاعيون رغبة في الترف والرفاهية والفخامة زاد نشاط التجار وازدهرت تجارتهم ونمت أموالهم واتسعت امتيازاتهم وعلت سلطتهم.

في البداية كان الأمراء والنبلاء والإقطاعيون يشترون من التجار، بما يملكون من أموال تدرها عليهم أقاليمهم ومقاطعاتهم وإقطاعياتهم الزراعية البدائية، ما يجلبونه لهم من بضائع وكماليات ووسائل الترف مما يحتاجونه، وفي أغلب الأحيان يغريهم التجار بشراء مالا يحتاجونه!

وما يغريهم به التجار صار يرفع مع الاعتياد درجة الترف والرفاهية والفخامة ويدعوهم إلى طلب المزيد منها، فلما صارت هذه قرينة السلطة ومظهرها وألفوها ولم يعد لهم قدرة على الحياة بدونها، لم يعد ما يملكونه من مال تدره أقاليمهم وإقطاعياتهم يفي بما صارت تشتهيه نفوسهم، فصاروا بحاجة إلى الاقتراض والاستدانة.

والطرف الوحيد في أوروبا الإقطاعية الذي كان بإمكانه إقراض هؤلاء الأمراء والنبلاء والإقطاعيين هم التجار أنفسهم، لأنهم الطرف الوحيد الذي يملك السيولة النقدية بما حازوه من ثروات تراكمت من أرباح التجارة في زمان كانت كل الفئات والأطراف الأخرى في أوروبا تعتمد في معاملاتها على المقايضة.

صار الأمراء والنبلاء ولوردات الإقطاع يقترضون من التجار ليتمكنوا من شراء البضائع والكماليات التي يجلبها لهم هؤلاء التجار!

وكان اقتراض الأمراء والحكام من التجار في بعض الأحيان ضرورة إذا ما حلت بمقاطعاتهم أو إقطاعياتهم كارثة أو نشبت بينهم وبين من حولهم منازعات وحروب في أوروبا الممزقة التي يتنازع فيها الجميع، فكان الأمير أو الحاكم أو لورد الإقطاع اذا حلت به كارثة أو نشبت حرب في إقليمه أو مقاطعته اضطر للاقتراض، ولأن أوروبا الإقطاعية لا بنوك فيها ولا مال ولا أرصدة، وكل شئ يُقوَّم بذاته ولا يقدر بالنقود، فلا ملجأ للأمير إلا التاجر.

لم يكن للأمراء والنبلاء واللوردات بد من الاقتراض من اليهود، لأن اليهود هم التجار ومن يملكون المال، ولأن المسيحين وإن امتلكوا المال لا يملكون الإقراض، لأنه لا طاقة لهم على مجابهة الكنيسة الكاثوليكية ومخالفة تعاليم البابوية التي تحرم الربا وتمنع المسيحيين من ممارسته وتخرج من الإيمان والطاعة من يمارسه.

والتاجر اليهودي الذي يملك المال ولا يأبه بتعاليم الكنيسة كان هو نفسه الدائن المرابي الذي يمول الأمراء والنبلاء ولوردات الإقطاع في ترفهم ولهوهم ورفاهيتهم، ويعينهم في كوارثهم لأن له هدفاً وغاية يريد أن يبلغها، ولا يثنيه عن العمل من أجلها أن نوالها سيكون لأحفاده أو أحفاد أحفاده.

إذا عجز الأمير أو الحاكم عن رد الدين، والتاجر اليهودي الذي يقرضه يعلم أنه سيعجز عاجلاً أو آجلاً، زادت الفائدة وتراكمت الديون وفوائدها، حتى إذا عجز عجزاً مطلقاً حصل التاجر على ما كان يريده من السيطرة على التجارة ومن إغراء الأمراء والنبلاء بالاستهلاك والترف ومن الإقراض وتراكم الديون وفوائدها.

إذا عجز الأمير المدين كان وفاء الدين أملاكاً يتنازل عنها للتاجر، أو امتيازات يمنحها له، أو سلطة يضعها في يده ليوجه التاجر اليهودي بها المجتمع والسلطة خطوة خطوة في الاتجاه الذي يريده، ليلتقي في نهاية الطريق مع أقرانه وقد فعل كل منهم في الإقليم أو المقاطعة التي نزل فيها مثلما فعل، فتكون أوروبا كلها قد سارت بذلك في الطريق الذي رسمه اليهود إلى الغاية التي أرادها اليهود دون أن تراهم عين في سلطة ودون أن يرصدهم مؤرخ في قرار أو وثيقة.

يقول بن باسا:

"إن حاجة النبلاء، بل الملوك والدولة نفسها إلى الاقتراض من اليهود الذين يحتكرون التجارة ويكدسون الأموال كان هو السبب الحقيقي لما منحه الإمبراطور شارلمان وابنه من بعده لويس بيوس للتجار اليهود من امتيازات، فكانت لهم محاكمهم الخاصة، والضرائب المفروضة عليهم أقل من تلك المفروضة على المسيحيين، وكانت هي السبب في تولية شارلمان ولويس بيوس اليهودَ حكم بعض المقاطعات، ومنحهم مواقع عليا في البلاط الملكي، واتخاذهم مبعوثين في المهام الدبلوماسية".

وفي إحدى أشهر بعثات شارلمان الدبلوماسية، وهى بعثته إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد، كان رئيس الوفد الكارولنجي هو إسحق اليهودي Isaac the Jew.

وينقل أبرام ليون عن كتاب: تاريخ الاقتصاد Histoire Economique لجورج أفنيل George d`Avenel أن:

"بعض الأمرء وحكام المقاطعات كان إذا عجز عن الوفاء بدينة نصَّب اليهودي الذي أقرضه جامعاً للضرائب في مقاطعته أو إمارته، وبعض اليهود من دائني الملوك كان يصعد بدينه إلى وزارة المالية ليتولى تنظيم ميزانية الدولة وماليتها، ويضع كل مصادر دخلها وإنفاقها تحت رقابته"(*).

ففي اسبانيا كان الماليون اليهود حتى أوائل القرن الرابع عشر هم الذين يجمعون الضرائب في مقاطعاتها من الفلاحين، وفي بولندا منذ القرن التاسع وملوكها يورثون العائلات اليهودية تنظيم مالية البلاد وجمع ضرائبها والرقابة على مصادر دخلها ومصروفاتها.

أما روبرت أونيل فينقل عن جاردان Jardin أنه بين عامي ٨٠٠م و ١٢٠٠م تغير تركيب المجتمع في المدن التجارية في ايطاليا وشواطئ المتوسط وانتقل ميزان السلطة

(*) إذا رجعت إلى كتابنا: الوحي ونقيضه فستجد نسخة مفصلة مما تقرأه الآن، وسوف تعلم حنيئذ أن لا جديد تحت الشمس، فما حدث في القرن العاشر هو نفسه ما حدث في القرن العشرين وما زال يحدث، ويهود القرن العاشر الذين وضعوا ميزانيات الملوك والدول تحت رقابتهم وسخروها لأغراضهم هم أنفسهم يهود القرن العشرين والقرن الحادي والعشرين الذين وضعوا اقتصاد العالم كله في قبضتهم ويديرونه لأهدافهم ، والفرق الوحيد هو أن اليهودي في القرن العاشر كان يصير وزيراً أوجامعاً للضرائب، فصار في القرن العشرين صندوقاً للنقد وبنكاً دولياً.

وموضع القوة فيها من الحكام والأمراء إلى الماليين والتجار، فكان الحكام يحكمون في الظاهر، ولكن قوة البلاد الحقيقية وسلطتها ومناطق التأثير والتوجية فيها في يد اليهود.

فالمنازعات القائمة بين المدن الدول وحاجة حكامها إلى تمويل جيوشهم التي كانت في اغلبها ميليشيات مرتزقة اضطرهم للاقتراض من التجار الذين يملكون فوائض مالية تمكنهم من الإقراض، ولم يستطع أغلب هؤلاء الحكام والأمراء رد ما اقترضوه من أموال مع ما تراكم عليها من فوائد، لأن مصادر المال والثروة ليست في ايديهم بل في أيدي من أقرضوهم.

وفي خاتمة الدورة اشترى التجار بديونهم لدى الحكام امتيازات وسلطات مما أدى، كما يقول روبرت أونيل نقلاً عن لوبيز Lopez:

"إلى انتقال القوة الحقيقة والسلطة المؤثرة في المدن التجارية الإيطالية والمتوسطية من حكامها وأمرائها وعائلاتهم النبيلة إلى الماليين والتجار والطبقات المحيطة بهم، فوجهوا هذه المدن الدول إلى ما يصب في مصلحة النظام الذي وضعه هؤلاء التجار، وإلى ما يصلون به إلى أهدافهم وغاياتهم".

والأسر التي كانت تسيطر على ثروات هذه المدن وتحرك بها الحكام هي، كما ذكر أونيل، أسر يهودية، والنظام نفسه، كما نص برين، ليس سوى نظام يهودي Judicial System!

فالحملة الصليبية فتحت شرق المتوسط أمام التجارة لتستكمل دورتها وحريتها وسيادة من يسيطرون عليها على العالم، والتجارة والتجار ليست سوى اليهود !

خلف فرسان الهيكل

ما إن بدأت في الكتابة عن فرسان الهيكل وشرعت في كتابة اسمها الكامل حتى وجدت عقلي يومض وحواسي تُستنفر وكياني كله في تيقظ وشئ في داخلي يناديني: انتبه، هؤلاء هم اليهود!

فالهيكل هو لب اليهودية، وإعادة بنائه غاية التاريخ اليهودي ومحور حركة اليهود في كل زمان وفي كل مكان، وهو رباط اليهود ورابطهم والعاصم الذي عصمهم من الذوبان في أمم العالم وشعوبه.

الهيكل، كما يقول تيودور هرتزل في كتابه: الدولة اليهودية:

"هو عقيدة آبائنا التليدة التي جمعتنا معاً" !

وكل يهودي في أي مكان في العالم، نزل في كوخ أو قطن في قصر، كان يترك ركناً من أركان بيته خرباً لكي يذكره ويذكر أهله بخراب الهيكل، فلا ينسى أنه يسعى في حياته ويعمل، ويغتني أو يفتقر، ويعلو في المجتمع الذي نزل فيه أو يهبط وهو يحمل رسالة ومهمة لا يكون يهودياً إلا بحملها في نفسه وبقائها حية في وعيه، ويسعى ما وسعه الجهد لإتمامها، كلٌ حسب موقعه ومنزله ومكانه، ولو بالتأييد القلبي والحماس النفسي.

وهذه المهمة والرسالة التي يخرب اليهودي أحد أركان بيته لكي لا ينساها هي إعادة بناء الهيكل!

أورشليم مقدسة عند المسيحيين، لكن المقدس فيها عندهم القبر وكنيسة القيامة وليس الهيكل، بل إن نقض الهيكل وهدمه إحدى نبوءات المسيح، وخراب الهيكل وبقائه خراباً إحدى أمارات صدقه عند أتباعه:

"فتقدم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل، فقال لهم يسوع أما تنظرون جميع هذه، الحق أقول لكم إنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض " (متى ٢٤: ٢-٣).

فلماذا تنسب منظمة مسيحية تقول إنها كاثوليكية وتنافح عن الصليب نفسها للهيكل وتضعه في اسمها إلى جوار المسيح، والهيكل ليس له قداسة ولا منزلة خاصة في المسيحية، بل هدمه ونقضه لعنة المسيح لليهود ودعاؤه عليهم ؟!

لا يضع الهيكل في اسمه ولا ينسب نفسه إليه إلا يهودي وإن ارتدى مسوح رهبان

المسيحية، فحيثما يوجد الهيكل في اسم منظمة أو تنظيم أو مؤسسة فاعلم أن اليهود من خلفها وفي قلبها وإن لم تر في واجهتها يهودياً تضع يدك عليه.

أما المسيح الذي وضعته المنظمة في اسمها إلى جوار الهيكل، فلِما أخبرناك به هنا من قبل وما فصلناه في الوحي ونقيضه تفصيلاً، لأن اليهود، في كل شأن وفي كل زمان ومكان لا يوجدون ولا يتحركون إلا فى غلاف يخفيهم ويغلف أهدافهم وغاياتهم.

المسيح في اسم الفرسان لم يكن سوى غلاف للهيكل، فلا عجب أن سقط تلقائياً ليبقى الهدف الحقيقي وحده، وإن غفل الرصدة في عالم التاريخ عن دلالة ماسقط وما بقي.

والعلة في ذلك أن اليهود مشتتون مفرقون لا تجمعهم أرض ولا تقوم بهم سلطة وليس فى حوزتهم قوة فعلية، فليس في طاقة كل جماعة منهم نزلت في أرض أو حلت بين قوم أن تصرح بأهدافها وغاياتها، وأن ما يحركها ويحركهم جميعاً هو عقيدتهم التليدة.

الحل كان في أن تُنشأ كل جماعة من اليهود في كل صقع وجدت فيه المنظمات وتقيم الكيانات والجمعيات وتصبغها بصبغتها، وتوجهها خطوة خطوة إلى غايتها وتحركها نحوها، ولكنها تخفي نفسها في غلاف من الأميين، وتخفي أهدافها وغاياتها في أهداف وغايات ظاهرة ينشغل بها من يرصد ويسجل فتكون هي مادة التاريخ والمؤرخين، فتصير بها الأحداث مجزأة لا صلة بينها، فكل منها يحدث في مكان غير مكان غيرها من أحداث، وفي زمان غير زمانها، وله غاية غير غاياتها، وصنعه وظهر على سطحه أناس غير أناسها.

وأما خلف الغلاف وتحت القشرة فالطاقة المحركة والقوة الفاعلة واحدة، والأحداث المختلفة المتفرقة ليست سوى خطوات، كل خطوة تفضي إلى التي تليها في مسار واحد إلى غاية واحدة.

فإذا فطن من يرصد الأحداث إلى ما خلفها ونفذ من ظواهرها إلى بواطنها ولم يذهله تدفقها وما يصاحبه من صخب عن البحث عما يربطها والمسار الذى تسير فيه، ولم تذهله الغايات المتناثرة في المكان والمتباعدة في الزمان عن الغاية الخالدة التي في قلبها وتختبئ خلفها، فسوف يهتدي إلى أن فرسان الهيكل هي الماسونية ولو لم يجهد نفسه في التنقيب والبحث عما يربطهم، وسيدرك دون كبير عناء أن مقرات فرسان الهيكل وشبكتهم النبكية هي صندوق النقد والبنك الدولي، وأن تحريرهم للتجارة واختراقهم للحدود هو نفسه الشركات العابرة للقوميات، وأن دولتهم المنحلة الإباحية الهادمة للعقائد في لانجدوك في

القرن الثاني عشر هي هي إمبراطوريتهم التي تصدر الانحلال والإباحية وتهدم العقائد في هوليوود في القرن العشرين، وأن الحملة الصليبية القديمة هي، كالحرب الصليبية الجديدة، ليست سوى لب وفحوى وتدبير يهودي في غلاف مسيحي.

وإذا فطن فسيدرك أن الذين استخْفَوا في الكاثوليك حتى وصلوا إلى المسجد الأقصى وكانوا يحفرون الأنفاق وينقبون تحته في القرن الثاني عشر هم أنفسهم الذين استخْفَوا في البروتستانت حتى وصلوا إليه ويحفرون وينقبون تحته في القرن العشرين.

ما إن وصلت مع فرسان الهيكل إلى ما حفروه من أنفاق تحت المسجد الأقصى وخفاء ما كانوا ينقبون عنه حتى استحال وميض عقلي واستنفار حواسي وتيقظ كياني يقيناً أنني قد وضعت يدي على اليهود ووصلت إلى مفتاح الباب الحقيقي للحروب الصليبية المموه ببابها الصليبي.

فلا يحفر الأنفاق تحت المسجد الأقصى ولا ينقب أسفله إلا يهود أو من يستوطن عقلهم ونفوسهم اليهود.

فإذا رأيت أحداً يحوم حول المسجد الأقصى ويحفر وينقب تحته فاعلم أنه يهودي، أياً كانت رايته وهدفه الذي يعلنه وأياً كان الاسم الذي يتخفى فيه، صندوق آثار أو حملة استعمارية أو منظمة إنسانية أو لجنة وساطة دولية.

في السنوات العشر الأولى من عمر منظمة فرسان الهيكل كان المسجد الأقصى هو مهمة فرسانها الوحيدة، لا يبارحونه ولا يخرجون منه، ولا يفعلون شيئاً على الإطلاق سوى الحفر والتنقيب تحته.

لماذا كان فرسان الهيكل يحفرون الأنفاق وينقبون تحت المسجد الأقصى وما الذي كانوا يبحثون عنه؟

لا أحد في عالم التاريخ يعرف!

لكن من نظروا من ثقب إلى عالم سر السر رأوا في ظلامه الدامس ما مكنهم من التخمين، وما خمنوه كله يكشف أنه لم يكن خلف صليب فرسان الهيكل الأحمر سوى اليهود.

فذهب بيكنت وبرنس في كتابهما: كشف سر الفرسان Templar Revelation، وهوبكنز ورفاقه في كتابهم: الملك الإلهي إلى أن فرسان الهيكل كانوا ينقبون عن تابوت

العهد Ark of Convenent، حيث تقول الروايات الشفوية السارية بين اليهود عبر القرون إن اليهود أخفوا تابوت العهد قبل سقوط أورشليم في يد الرومان في مكان سحيق تحت الهيكل، ومن ثَم فالهدف الحقيقي لفرسان الهيكل لم يكن حماية الحجاج، بل العثور على تابوت العهد والعودة به إلى أوروبا.

والفرسان التسعة الذين أسسوا فرسان الهيكل لم يكونوا سوى واجهة تختبئ خلفها الأسر الميروفنجية الفرانكية النبيلة، فهذه الأسر القوية الحاكمة والمسيطرة على المقاطعات الفرانكية ليست سوى بني اسرائيل، وهي التي كونت فرسان الهيكل وتُسيِّرها وتوجهها، وهي التي أرسلت الفرسان التسعة من أجل مهمة محددة، هي استعادة تابوت العهد.

ويستدل هؤلاء على ذلك بوجود نقش محفور على أحد الأعمدة الضخمة بجوار الباب الشمالي لكاتدرائية تشارترس Chartress، وهي إحدى أكبر الكاتدرائيات القوطية التي بناها فرسان الهيكل.

والنقش يشير إلى أن الشئ الذي عثر عليه فرسان الهيكل ويحرسونه هو تابوت العهد، فالنقش يصور تابوت العهد نفسه وحوله فرسان الهيكل بزيهم التقليدي ينقلونه على عربة ذات عجلات(•).

وذهب فريق آخر من الباحثين على رأسهم روبرت لوماس وكرستوفر نايت في كتابهم: المسيا الثاني، ولنكولن ورفاقه في كتابهم: الدم المقدس والكأس المقدسة إلى أن فرسان الهيكل كانوا يبحثون عن كنز خاص، كنز معرفي، هو وثائق ومخطوطات بها أصول الهندسة وتقاليد البناء المقدسة، هندسة هيكل سليمان وبنائه، وكذا رسائل بها أصول العلوم والفنون والحكمة القديمة التي يمتزج فيها تراث المصريين القدماء بالتقاليد اليهودية.

وذهب هؤلاء الى أن فرسان الهيكل كانوا يعرفون ما الذى يبحثون عنه، بل وكانوا يعرفون أين يحفرون وينقبون بالضبط، فثمة معرفة تتناقلها الأجيال عبر القرون سراً، بعضها شفوي غير مكتوب وبعضها مكتوب ومخبؤ، والهيكل كان مأوى هذه المعرفة المخبوءة ومثواها، وهو ما كان يعلمه الفرسان ويسعون خلفه.

واستدل لوماس ومن وافقوه على ذلك بمخطوطات البحر الميت Dead See Scrolls، وهي مخطوطات كتبتها الجماعات الإسينية Essene، وهي جماعات يهودية

(•) انظر النقش في ملحق الصور.

كانت تعيش في قرون المسيحية الأولى ولا تؤمن بألوهية المسيح ولا بصلبه.

وهذه المخطوطات اكتشفت مصادفة في مغارة قمران قرب البحر الميت سنة ١٩٤٧م، وقد تم فحصها في جامعة مانشستر Manchester، وترجم أغلبها فريق علمي يرأسه جون أليجرو Jhon Allegro.

ففي إحدى هذه المخطوطات، وهي المشهورة باسم المخطوطة النحاسية Copper Scroll، قائمة بأسماء أماكن ومواقع استخدمت لإخفاء وثائق كثيرة تحوي معارف متنوعة، بعضها ديني وبعضها دنيوي، وتطلق المخطوطة النحاسية على هذه الوثائق وما فيها من معارف: كنز هيكل أورشليم.

وما استدل به أصحاب نظرية المعرفة السرية المتوارثة وحفر فرسان الهيكل بحثاً عنها هو أن كثيراً من الأماكن والمواقع الموصوفة في مخطوطات قمران، التي كُتبت وُدفنت في مخابئها في القرن الأول الميلادي، واكتشفت مصادفة في خرائب قمران في القرن العشرين تتطابق مع ما أعيد اكتشافه من الأنفاق التي حفرها فرسان الهيكل تحت المسجد الأقصى وداخل الحرم القدسي في القرن الثاني عشر!

وما إن أوغلت في تاريخ فرسان الهيكل وغصت في عالمهم ووصل بي تاريخهم وعالمهم إلى آثارهم حتى صار يقيني راسخاً لا يتزعزع أن فرسان الهيكل وعالمهم وآثارهم وكل ما فعلوه في العالم لم يكن سوى حالة تطبيقية نموذجية لخطة الإفساد اليهودية السارية عبر القرون، يوَرِّثها قرن من اليهود لقرن وينقحها جيل منهم بعد جيل، وهي الخطة التي كانت ثمرتها المكتملة والناضجة في القرن العشرين.

كل كلمة كنت أكتبها وكل سطر أنتقل إليه في أنشطة فرسان الهيكل وآثارهم كان يعيدني تلقائياً إلى الوحي ونقيضه، فكل فِعلٍ فَعله فرسان الهيكل، وكل نشاط لهم، وكل تدبير دبروه، وكل صبغة صبغوها للعالم الذي صنعوه وسادوه له أصله الذي ينص عليه ويفسره ويبين الغاية منه في خطة الإفساد اليهودية، وكل أثر من آثار فرسان الهيكل له نظيره في الثمرة التطبيقية النموذجية التي أفرزتها خطة الإفساد اليهودية خلال القرن العشرين.

فالنموذج التطبيقي الحديث لخطة الإفساد اليهودية صورة من توأمه القديم في فرسان الهيكل، فلو أُخفيت الأسماء وحُجبت السنوات والقرون لكانت هذه وتلك، على ما بينهما من أزمان، واحدة، ولما استطاع أحد أن يميز بين القرن العشرين والقرن الثاني عشر!

خلف فرسان الهيكل:

الحملة الصليبية وعالمها كله لم يكن سوى واجهة صنعها ويختبئ خلفها ويحركها أسر الملك الإلهي، بنو اسرائيل الذين توغلوا في العالم المسيحي وصعدوا في نسيجه إلى سدته حتى صاروا هم صفوته، الأمراء والنبلاء، حكام مقاطعات الفرانكا الميروفنجية اليهودية، ويدهم في صنع الأحداث وتحريكها مملكة الأديرة والرهبان التي أقاموها وأغدقوا عليها، لكي تكون أداتهم في التغلغل داخل العالم المسيحي، واختراق الكنيسة الكاثوليكية وتحريكها بها بمن ويرتقي من رهبانها في جسد الكنيسة ويسرى في أعصابها أو يستقر في رأسها.

وفرسان الهيكل، كالحملة الصليبية وعالمها، نموذج مثالي على التحالف بين مملكة الأديرة ورهبانها وبين حكام الأسر الميروفنجية اليهودية التي صنعتها وتمولها.

لا مراء عند المؤرخين أن خلف فرسان الهيكل رجلين، القديس برنار دي كليرفو والكونت هوج دي شامبان.

والأول هو رأس مملكة الأديرة، والثاني هو رأس أسر الملك الإلهي اليهودية.

أما الرجل الأول، برنار دي كليرفو، فهو أقوى رجل في الكنيسة الكاثوليكية وأكثرهم نفوذاً وسلطة داخلها، يفوق نفوذه وسلطانه البابوات، ولا يصلون هم إلى السدة البابوية إلا بموافقته وتأييده، ولو أراد هو أن يكون البابا لكان.

وبرنار دي كليرفو اسمه الأصلي برنار دي مونتبار Bernard de Montbard، وقد ولد في ديجون Dijon سنة ١٠٩١م من أسرة نبيلة تنتمي إلى طبقة الفرسان في مقاطعة بورجندي الميروفنجية.

وقد سطع نجم برنار دي كليرفو وصعد في الكنيسة الكاثوليكية إلى رأسها عبر مملكة الأديرة والرهبان.

في سنة ١٠٩٨م، وبعد أن فشلت جهوده في إصلاح دير مولسلم Molselm الذي يرأسه والذي يتبع دير كلونى، قرر روبرت الراهب أو القديس روبرت St. Robert ترك الدير والانشقاق على أديرة كلوني كلها، لِما تحفل به حياة الرهبان فيها من دعة ورفاهية وبذخ، وقرر تأسيس دير جديد يقوم على تعاليم القديس بندكت وقواعده لحياة الرهبنة ويحتذي حياة الرهبان وعالم الأديرة في عصر القديس بندكت.

ترك روبرت الراهب دير مولسلم وتبعه واحد وعشرون راهباً من أتباعه، ونزل في مكان بري في سيتو Citeaux جنوب ديجون، وفي يوم عيد القديس بندكت،٢١ مارس ١٠٩٨م، أسس ديراً على قطعة من الأرض وُهبت لهم من أجل تأسيس نظام أديرة جديدNovum Monasterium، وأطلق على الدير اسم المكان الذي أقامه فيه: دير سيتو.

وصار هذا اليوم هو يوم ميلاد أديرة السسترشيان Cistercian أو الرهبان البيض White Monks.

وبعد عام كان روبرت ورهبانه قد استصلحوا فيه الأرض وزرعوها، وبنوا ديراً به كنيسة صغيرة أرسل رهبان دير مولسلم استعطافاً للبابا أُربان الثاني أن يعيد إلى ديرهم رئيسه روبرت، فأصدر البابا تعليماته بعودة الأب رويرت إلى دير مولسلم، ليخلفه في دير سيتو الأب ألبيريك Alberic، وهو المؤسس الحقيقي لأديرة السسترشيان وإن ظل روبرت أباً روحياً لرهبانها والمثال الأعلى والنموذج الأوفى.

وفي سنة ١١٠٨م مات ألبيريك وخلفه الأب ستيفان هاردنج Stephan Harding.

وفي عهد هاردنج بدأ دير سيتو في نشر مبادئه واقامة أديرة صغرى أو فروع تابعة له، فمنذ سنة ١١١١م بدأ الأب هاردنج في إرسال رهبانه لبناء أديرة صغرى وتجمعات رهبان تابعة لسيتو في أماكن مختلفة من المقاطعات المجاورة لبورجندي.

ووضع الأب هاردنج عهد الأخوة والحب Carta Caritatis لتنظيم العلاقة بين أديرة السسترشيان، وجعل نظام الأديرة وسطاً بين نظام الأديرة البندكتية الذي يستقل فيه كل دير بنفسه استقلالاً تاماً ولا صلة له بغيره من الأديرة على الإطلاق وبين نظام دير كلوني شديد المركزية الذي تتبع فيه كل الأديرة كلوني وتدور حوله وتأتمر بأمره وهو الذي يعين رؤساءها ويلقي إليهم التعاليم ويتلقى منهم التقارير.

فكان نظام السسترشيان يقوم على استقلال الأديرة، فكل دير له رئيسه الذي ينتخبه رهبانه، وله نظامه وتقاليده، وله أملاكه وأمواله ويديرها بنفسه، وفي الوقت نفسه دير سيتو هو النموذج الذي يجب على كل أديرة النظام أن تتطلع إليه وتحاكيه، ويلتقي رؤساء الأديرة في لقاء سنوي في سيتو يرأسه رئيس دير سيتو، والشئ الوحيد الذي يحاسب عليه رئيس دير سيتو، وهو رئيس النظام كله، الأديرة التابعة له هو مراعاة تعاليم القديس بندكت وقواعده للرهبنة.

فمنذ اليوم الأول لتأسيسها قامت أديرة السسترشيان على الالتزام الصارم بلائحة القديس بندكت وتعاليمه وقواعده، مع العودة بالرهبان إلى حياة الأديرة كما كانت في عهد القديس بندكت:الفقر التام، والامتناع عن أكل اللحوم، والبساطة الشديدة في الملابس والأبنية، والرفض التام لأي ملمح من ملامح الترف، والاستغناء عن الآلات وأدوات الصناعة، وتقديس العمل اليدوي خاصة الزراعة.

والشيء الوحيد الذي خالفت فيه أديرة السسترشيان أديرة القديس بندكت ونظامها هو الزي، فقد استبدلت بزي البندكت الأسود رداءًا أبيض في وسطه صليب أسود، وهذا هو سبب تسمية رهبانه بالرهبان البيض.

مع الوقت صارت الزراعة وتربية الخيول والمواشي هي الحرفة الرئيسية لدير سيتو وكل أديرة السسترشيان، وصار رهبان هذه الأديرة هم الزراع العظام في تاريخ أوروبا العصور الوسطى.

فعلى مدى عشرات السنين أنشأ رهبان السسترشيان أديرة في الأصقاع غير المسكونة، وجففوا المستنقعات واستصلحوها، وقطعوا أشجار الغابات ومهدوها، وكانت أديرة السسترشيان هي القوة والطاقة التي حضَّرت بنشاطها الزراعي المتوسع والممتد أغلب شمال أوروبا.

ومع اتساع نطاق نشاطها الزراعي، صارت الأديرة تستعين بمزارعين من غير الرهبان يقيمون في أبنية خارج الدير وملحقة به، يعملون في فلاحة الأرض التي يستصلحها ويزرعها رهبان السسترشيان مقابل الطعام والملبس والمأوى.

وأدخلت أديرة السسترشيان، رغم كرهها للآلات والصناعة، تحسينات كبيرة على آلات الري ورفع المياه.

وأديرة السسترشيان كانت هي التي أنجزت أول دراسة مطولة في التاريخ الغربي لنصوص التوراة العبرية، عكف عليها رهبانها واستعانوا في دراساتهم حول التوارة العبرية بخبراء من الأحبار والربانيين اليهود، وأن يستعين رهبان أديرة كاثوليكية بأحبار وربانيين من اليهود كان في زمنه، كما يقول يوهانس وبيتر فيباج Jonannes and Peter Feibag شيئاً شديد الغرابة وغير مألوف على الإطلاق!

ونظام أديرة السسترشيان هو نظام الرهبنة الذي أدخل الطراز القوطي إلى عمارة

الكنائس والأديرة، وهو الطراز الذي ازدهر ازدهاراً كبيراً وملأت كنائسه وكاتدرائياته أوروبا كلها على يد فرسان الهيكل.

وأديرة السسترشيان هي التي ابتدعت فكرة الدمج بين الرهبنة والقتال وتأسيس منظمات رهبان عسكرية مسلحة، وهي التي وضعت لها أصولها وتقاليدها وكتبت لها لوائحها وقواعدها.

ومن المنظمات العسكرية التي خرجت من نظام أديرة السسترشيان فرسان كالاترايا Knights of Calatraya، وفرسان القديس اليعازرKnights of St. Lazarus، وفرسان أفيس Knights of Avis، وفرسان القديس ميشيل Knights of St. Michael

أما أشهر منظمة رهبان عسكرية وُلدت من أديرة السسترشيان فهي فرسان الهيكل.

وكان الذي أحدث هذه الطفرة في مملكة الأديرة وعالم الرهبان وابتدع فكرة المزج بين الرهبنة والفروسية وبين التنسك والقتال، وسعى وسخر أتباعه ومريديه من أجل تفريع منظمات الرهبان العسكرية من أديرة السسترشيان المنتشرة في كافة أنحاء أوروبا هو القديس برنار دي كليرفو، رجل فرسان الهيكل.

في سنة ١١١٣م وصل برنار دي مونتبار إلى دير سيتو من أجل الرهبنة على رأس ثلاثين من أبناء نبلاء بورجندي، منهم أربعة من إخوته وبعض من أعمامه وأبناء عمومته.

ولنشاط برنار وورعه الظاهر منحه الأب ستيفان هاردنج رئيس دير ستيو إذناً أن يؤسس ديراً جديداً يكون هو رئيسه، فخرج برنار دي مونتبار على رأس ثلاثة عشر راهباً من سيتو، وفي أرض مقفرة على بعد تسعين ميلاً من سيتو اسمها كليرفو Clair Vaux أو الوادي الساطع أسس برنار ديره، دير كليرفو الذي لُقب واشتُهر به حتى غلب على لقب عائلته الأصلي.

وبعد بناء الدير وأماكن إقامة الرهبان وقطع أشجار الغابة القريبة واستصلاحها للزراعة بدأ برنار من دير كليرفو حملة إصلاح مملكة الأديرة وتخليصها من الترف والزينة وإعادتها إلى الفقر والبساطة، وكتب عدة رسائل لإصلاح نظام الرهبنة، وكتب ترانيم في تمجيد المسيح والدعوة لمحاكاته في زهده وبساطته.

وأحدث بناء دير كليرفو وحملة برنار دي كليرفو الإصلاحية وحماسه طفرة في أديرة

السسترشيان، ففي خلال عشر سنوات من تأسيس دير كليرفو كانت أديرة السسترشيان قد ازدهرت ازدهاراً كبيراً، فزاد عددها وعدد رهبانها، وصار لها فروع في كل بلدان أوروبا وانهالت عليها الهبات والعطايا والأموال من الملوك والأمراء والنبلاء.

وحين مات رئيس أديرة السسترشيان ستيفان هاردنج سنة ١١٣٤م ليخلفه دي كليرفو كان عدد الأديرة لا يتجاوز ثلاثين ديراً، وحين مات برنار دي كليرفو سنة ١١٥٤م كانت مملكة السسترشيان قد وصل عدد أديرتها إلى ثلاثمائة وخمسين ديراً، أشرف دي كليرفو على إنشاء مائة وستين منها بنفسه.

وفي عهد دي كليرفو فاقت أديرة السسترشيان مملكة كلوني، وصارت بمزارعها وخيولها وماشيتها وما وُهب لها أغنى أديرة أوروبا، وفي الوقت نفسه صار دير كليرفو أوسع الأديرة سلطة وأكبرها تأثيراً على الكنيسة، وأكثرها صلة بملوك أوروبا وأمرائها وأثراً عليهم.

وصار رهبان دير كليرفو النائي الصغير يُرسَمون من الكنيسة بتزكية دي كليرفو أساقفة ورؤساء للأساقفة، وصعد دي كليرفو بأحد تلامذته من رهبان دير كليرفو، بما يملكه من سلطة في الكنيسة ونفوذ في عالم الأديرة، إلى العرش البابوي، وهو البابا يوجين الثالث Eugene III.

ولو أراد دي كليرفو أن يكون هو البابا لما نازعه أحد، بل قد عُرض عليه فعلاً أن يعتلي العرش البابوي ففضل أن يعتليه أحد أبنائه لكي يظل هو على رأس مملكة الرهبان.

وبلغ من نفوذ دي كليرفو وأثره على الملوك والأمراء وتوله العوام به أن كانت الكنيسة الكاثوليكية ترسل إليه في دير كليرفو تطلب عونه في ما يستعصي عليها من مهام دبلوماسية، فخرج من ديره اثنتي عشرة مرة في مهام سياسية ودبلوماسية بطلب من الكنيسة.

ويوجز ما وصل إليه برنار دي كليرفو، الذي تم رسمه قديساً بعد وفاته، من نفوذ وسلطة وتأثير هو وديره في كليرفو قول ديورانت:

"استطاع برسائله، وهي آيات خالدة في الدعوة الحماسية الحارة، أن يؤثر في المجالس والأساقفة والبابوات والملوك، وأمكنه باتصاله الشخصي أن يشكل سياسة الكنيسة والدولة، وأبى أن يكون أكثر من رئيس دير، ولكنه رفع البابوات إلى عروشهم وأنزلهم

عنها".

ومن رهبان مملكة أديرته كون القديس برنار دي كليرفو فرسان الهيكل، وبنفوذه في الكنيسة وسلطته على الملوك والأمراء كان هو الذي أكسبها الشرعية وبوأها منزلتها فوق كل ملوك أوروبا وعروشها.

فأحد الفرسان التسعة الذين كانوا واجهة فرسان الهيكل وتحمل اسماءَهم لائحتُها التأسيسية أندريه دي مونتبار، وهو عم برنار دي كليرفو.

وفي أرشيف لمنظمة فرسان الهيكل عُثر عليه حديثاً في سيبورجا Seborga شمال إيطاليا أن دي كليرفو أسس سنة ١١١٣م في أحد أديرة السسترشيان منظمة من الرهبان من أجل هدف غير معلوم لم تفصح عنه وثائق الأرشيف المكتشفة، وتمكن دي كليرفو من ضم فارسين إلى منظمته وتم الاعتراف بهما كاهنين ورسمهما بأسماء كهنوتية.

والاسمان اللذان رُسم بهما هذان الفارسان الراهبان هما جونديمار وروسال، وجونديمار وروسال هما اثنان من الفرسان التسعة الذين تأسست بهم فرسان الهيكل.

وفي فبراير سنة ١١١٧م، حسب الأرشيف المكتشف، حضر دي كليرفو إلى الدير وأحل جونديمار وروسال من عهدهما ونذر الرهبنة وباركهما لينضما إلى سبعة من الفرسان الآخرين قبل أن يرحلوا إلى أورشليم للقاء ملكها بلدوين الثاني.

فثلاثة من مؤسسي فرسان الهيكل جاءوا من مملكة الأديرة والرهبان عن طريق برنار دي كليرفو، أحدهم عمه، واثنان من الرهبان الفرسان رعايا مملكته.

وبعد تكوين فرسان الهيكل كان دى كليرفو بنفوذه في الكنيسة الكاثوليكية وسلطانه على الأساقفة وتأثيرة على البابا نفسه هو الذي حصل من المجمع الكنسي المنعقد في مدينة تروي سنة ١١٢٩م على الاعتراف بفرسان الهيكل ومباركتها.

وفي سنة ١١٣٩م، وإرضاءًا لدي كليرفو، أصدر البابا إنوسنت الثاني مرسومه البابوي الذي منح فيه فرسان الهيكل حرية عبور الحدود، واستثناءهم من الخضوع للضرائب والقوانين المحلية، وأخرجهم من سلطة الملوك والأمراء والأساقفة، وهو المرسوم الذي وضع فرسان الهيكل فوق كل ملوك أوروبا وعروشها.

والذي أصدر المرسوم البابا انوسنت الثاني، غير أن دي كليرفو هو الذي كان خلفه وخلف مافيه من امتيازات لفرسان الهيكل وقد صار أقوى رجل في الكنيسة الكاثوليكية

كلها وأكثرهم نفوذاً وتأثيراً في أساقفتها.

وتروي، المدينة التي انعقد فيها المجمع الذي منح فرسان الهيكل الشرعية وفتح أوروبا كلها أمامهم، تصل بنا إلى الرجل الأول خلف فرسان الهيكل.

المؤسسون التسعة لفرسان الهيكل لم يكونوا سوى واجهة لها، الواجهة التي لابد منها لتكون شغلاً للساسة، وإذهالاً للأعداء والحاقدين، وتضليلاً للمؤرخين والراصدين.

الفرسان التسعة كانوا الواجهة، وبرنار دي كليرفو هو المؤسس الحقيقي لفرسان الهيكل الذي ولَّدها من مملكة أديرته ورهبانه، لكنه ليس الرجل الأول.

برنار دي كليرفو هو الرجل الثاني، أما الرجل الأول فهو الذي خلفه وخلف فرسان الهيكل، الكونت هوج دي شامبان وأسر بني إسرائيل المتحالفة معه، والتي لم تكن مملكة الأديرة كلها سوى بعض وسائلهم لاختراق الكنيسة الكاثوليكية.

تروي Troyes التي منحت فرسان الهيكل الشرعية هي عاصمة مقاطعة شامبان شمال فرنسا، وفيها بلاط كونت شامبان ومقر حكمه، ومعنى اسمها: طروادة، فهي طروادة الجديدة التي أقامتها أسرة شامبان الميروفنجية لتصلها بأصولها في طروادة القديمة.

في كتابهم: الملك الإلهي ذكر هويكنز ورفاقه أنه بعد رحيل جودفروا دي بويون إلى الأرض المقدسة وتنصيب الأسرة الميروفنجية له ملكاً على أورشليم لكونه أصرحهم نسباً في بني إسرائيل بانحداره من جويليم دي جيلون ومنه إلى داوود، صارت تروي عاصمة مقاطعة شامبان هي مركز نشاط مجموعة أسر الملك الإلهي ومحور حركتهم ومحل لقائهم وتدبيرهم.

وقد اكتسبت أسرة شامبان نفوذها داخل أسر الملك الإلهي وصارت عاصمتها تروي مركز حركتهم لسببين:

السبب الأول هو أن أسرة شامبان كانت ترتبط بروابط القرابة والمصاهرة والأحلاف مع أغلب الأسر الحاكمة في غرب أوروبا، فكانت وثيقة الروابط والصلات بأسرة دوق بورجندي، وأسرة سان كلير بفرعيها في فرنسا واسكتلندا، وأسرة بلانتاجنت Plantagenet الحاكمة في إنجلترا، وتقريباً بكل الأسر الحاكمة في مقاطعات الفرانكا.

وهذه الروابط والصلات أكسبت أسرة شامبان نفوذاً كبيراً وتحالفات واسعة في أوروبا كلها، وبها صار بلاط أسرة شامبان في تروي أحد أكثر العواصم أثراً في السياسة الأوروبية

وتأثيراً في الكنيسة الكاثوليكية.

وأما السبب الثاني لما بلغته أسرة شامبان من نفوذ وسلطة، فهو أن مقاطعة شامبان كانت تقع على ملتقى الطرق التجارية الذاهبة إلى بروج عاصمة إقليم فلاندرز التجارية والعائدة منها، وعاصمتها تروي كانت إحدى مراكز التجارة والأسواق في أوروبا، ووصلة التجارة بين شمال أوروبا وجنوبها، وبين مقاطعات الفرانكا والمقاطعات الألمانية.

ومن ثَم كانت أسرة شامبان إحدى أكبر الأسر الأوروبية ثراءًا وأكثرها أملاكاً، فكانت الأسرة تمتلك إقطاعيات وأراض واسعة، بعضها بالشراء وبعضها بالغزو، ليس في مقاطعتهم شامبان فقط، بل في مختلف المقاطعات التي حولها أو تحيط بها.

ويقول لنكولن ورفاقه في كتابهم: الدم المقدس والكأس المقدسة إن الكونت هوج حاكم شامبان ورأس الأسرة التقى سنة ١١٠٤م في عاصمته تروي سراً مع بعض من رؤوس الأسر الميروفنجية النبيلة والحاكمة، وهي أسرة برين Brienne، وأسرة شومون Chaumont، وأسرة أنجو Anjo، وأسرة جوانفي Joinville.

ويقول لنكولن ورفاقه إن أحد حضور هذا الاجتماع السري كان أندريه دي مونتبار، أحد كبار الإقطاعيين وعم برنار دي كليرفو وأحد المؤسسين التسعة لفرسان الهيكل، وهو ما يؤكده هوبكنز ورفاقه، ويزيدون عليه أن هذه الأسر تقع في دائرة أسرة واحدة، هي مجموعة أسر الملك الإلهي.

وبعد هذا اللقاء مباشرة رحل الكونت هوج دي شامبان إلى الأرض المقدسة ولم يعد إلى مقاطعته وأملاكه في شامبان إلا سنة ١١٠٨م، بعد أربع سنوات كاملة قضاها في مملكة أورشليم الصليبية.

وفي سنة ١١١٤م رحل الكونت دي شامبان إلى أورشليم مرة أخرى، فمكث فيها أقل من سنة ثم عاد إلى أوروبا، وفي طريق عودته أقطع بعض الرهبان أرضاً واسعة في أملاكه، وتبرع لهم بأموال طائلة من أجل إقامة دير فيها.

ورحلات كونت شامبان إلى أورشليم مرتين وعودته إلى أوروبا يتفق فيها عالم التاريخ مع عالم سر السر.

أما ما يفترقان فيه، فهو أن تأسيس فرسان الهيكل في عالم التاريخ كان سنة ١١١٩م وأن مؤسسيها هم فرسانها التسعة، بينما يقول لنكولن ورفاقه وهوبكنز ورفاقه ولوماس ونايت

في عالم سر السر إن تأسيس المنظمة الفعلي كان سنة ١١١٤م في رحلة كونت شامبان الثانية إلى أورشليم، و١١١٩م كان فقط عام إظهارها إلى العلن، وأن مؤسسها الحقيقي هو كونت شامبان نفسه والأسر اليهودية المتحالفة معه.

أما الفرسان التسعة فلم يكونوا سوى واجهة لها وستار يدير هو كل شيء من خلفهم، لكي لا يظهر بظهوره وظهور هذه الأسر على رأسها الهدف الحقيقي لها والغاية الحقيقية منها.

وما قاله من نظروا من ثقب إلى عالم سر السر أكثر اتساقاً وقبولاً في العقل مما دونه الرصدة في عالم التاريخ، ففي عالم التاريخ غرائب لا تفسير لها إلا بها في عالم سر السر.

فتاريخياً كان ثلاثة من مؤسسي فرسان الهيكل التسعة من مقاطعة شامبان ومن رعايا أسرتها الحاكمة، بل وكانوا أتباعاً لحاكمها كونت شامبان وأفصالاً Vassals في إقطاعياته.

والفصل هو رجل يمنحه حاكم المقاطعة أو أمير الإقطاع بعض الأملاك والأراضي ليديرها في مقابل بعضٍ من خراجها، على أن يعينه بقوة عسكرية حين يريد القتال.

والغريبة التي رصدها المؤرخون ولا تفسير لها عندهم هي أن كونت شامبان انضم رسمياً، كما سجلت الوثائق، إلى منظمة فرسان الهيكل سنة ١١٢٤م، وأقسم على الخضوع التام والولاء والطاعة لمؤسسها وأستاذها الأعظم هوج دي بايان، وهوج دي بايان هو أحد الفرسان الثلاثة رعايا الكونت شامبان وأتباعه وأفصاله!

فالكونت في أوروبا الإقطاعية شديدة الصرامة في مسألة التراتب الاجتماعي أقسم على الخضوع والطاعة لتابعه وأحد رعايا مقاطعته!!

وتفسير الغريبة في عالم سر السر، فالكونت دي شامبان وأسرته والأسر الميروفنجية اليهودية هي المؤسس الحقيقي لفرسان الهيكل، والفرسان التسعة كانوا واجهة لها، والمنظمة كلها لم تكن سوى أداتهم في الوصول إلى غايتهم، والكونت أقسم على الخضوع والطاعة لتابعه وأحد رعاياه في الظاهر، وهو في الحقيقة الذي صنعه ويقوده ويحركه.

فالكونت هوج دي شامبان اليهودي هو الرجل الأول خلف فرسان الهيكل.

أما لماذا هو الرجل الأول وليس برنار دي كليرفو، فلأن أديرة السسترشيان التي اعتلى دي كليرفو عرشها ووصل على متنها إلى رأس العالم المسيحي لم تكن سوى أثر من آثار

أسرة شامبان.

فروبرت الراهب أو القديس روبرت الذي هجر دير مولسلم التابع لمملكة كلوني وأسس دير سيتو أول أديرة السسترشيان هو، كما تقول الموسوعة الكاثوليكية، ابن إيرمينجارد Ermengard عمة الكونت هوج دي شامبان!

والدير الذي تبرع الكونت أثناء عودته من رحلته الثانية إلى أورشليم ببعض أرضه من أجل إقامته، ومول بناءه، وشمله وشمل رهبانه هو وأسرته برعايته، وأغدق عليه حتى صار أسطع مراكز الرهبنة في أوروبا وأكثرها تأثيراً في الكنيسة هو دير كليرفو الذي اكتسب برنار دي كليرفو لقبه منه!

والراهب الذي تبرع له كونت شامبان بالأرض والمال ليقيم الدير هو القديس برنار دي كليرفو نفسه!

دير صهيون الحقيقية

ليس كل ما جاء في كتاب: الدم المقدس والكأس المقدسة لهنري لنكولن ورفاقه، وهم جميعًا من الماسون، كذباً وليس كله صدقاً.

وخلط الصدق بالكذب هو أخبث أنواع الكذب، ولبس الحق بالباطل هو أبطل الباطل، لأن ثمرته إما تصديق الكذب أو تكذيب الصدق.

وهذا النوع من الكذب يحتاج إلى صبر وتمحيص وتدقيق وتحرٍ لكشفه، ولإخراج ما التبس به من الصدق، ويحتاج قبل ذلك إلى بصيرة يمُنَّ بها الله عز وجل على من يشاء من عباده.

كتاب لنكولن ورفاقه نسيج تتشابك فيه سداه كذبه بلُحمة صدقه في مهارة، ومزيج مُزج فيه الحق والباطل في براعة، فإذا لم يستطع الواقف أمامه أن يفصل صدقه عن كذبه فلن يكون أمامه إلا أن يرفض باطله بما امتزج به من الحق، أو أن يقبل حقه بما تخلله وسرى فيه من الباطل.

وهذه هي غاية الكتاب الحقيقية!

فما سربه مؤلفوه الماسون الثلاثة من المعلومات والحقائق التي تؤكدها الوقائع وتشهد عليها الوثائق إنما غايته الحقيقية دس ما مزجوه بهذه المعلومات والحقائق من الكذب والأباطيل في الأذهان التي يهدفون إلى حرثها وتقليبها وإخراج ما فيها وغرس نقيضه.

يقول مؤلفو كتاب: الدم المقدس والكأس المقدسة إنه كان ثَمة منظمة سرية حقيقية اسمها دير صهيون، أسسها جودفروا دي بويون سنة ١٠٩٠م قبل وصول الحملة الصليبية إلى أورشليم وتنصيب دي بويون ملكاً عليها بتسع سنوات، وكانت نواة المنظمة مجموعة من الرهبان انتقلوا من كالابريا Calabria جنوب إيطاليا إلى منطقة أردينيه Ardennes وأسسوا ديراً فيها على أرض تبرعت بها ماتيلدا دي توسكانى Mathilda de Tuscany في أورفال Orval قرب ستيناي Stenay في فرنسا، ثم وضعت الدير تحت رعايتها وأغدقت عليه من أموالها.

وغابة أردينيه كانت جزءًا من مقاطعة لورين Lorraine التي يحكمها جودفروا دي بويون، وماتيلدا دي توسكاني، كما تقول الموسوعة الكاثوليكية، هي عمته !

وجودفروا دي بويون نفسه المولود سنة ١٠٦٠م في مقاطعة بولون Boulogne كان

أمير مقاطعة بويون Bouillon التي أخذ منها لقبه منذ سنة ١٠٧٦م، ثم صار دوق مقاطعة لورين منذ سنة ١٠٨٧م، وقد عهد إليه بحكم دوقية لورين التي تقع بين فرنسا وألمانيا خالُه جودفروا الأحدب Godfroi The Hunchback الذي مات بلا عقب، فجودفروا دي بويون هو دوق لورين من جهة أمه إدا دي لورين Ida de Lorraine.

وقد كان ولاء دي بويون الرسمي لألمانيا وإمبراطورها هنري الرابع Henry IV، واشترك معه مقاتلاً في حروبه كلها، بما فيها حروبه ضد البابوية في إيطاليا وانتزاعه روما من البابا جريجوري السابع Gregory VII.

وبعد وصول الجيوش الصليبية إلى الأرض المقدسة واستيلائها على أورشليم، ثم تنصيب دي بويون ملكاً على أورشليم في اجتماع انتخابي غامض وتفاصيله غير معروفة، تنازل دي بويون عن لقب الملك واختار بدلاً منه لقب حامي الضريح المقدس Defender of the Holy Sepulchre.

يقول لنكولن ورفاقه إن جودفروا دي بويون أسس دير صهيون قبل الحملة الصليبية من أجل أن يكون رهبانها أحد أسباب التهيئة لها ودفع الأحداث في اتجاهها، ثم ليكونوا بعد ذلك القوة التي يصل بها إلى عرش أورشليم الذي ينتظره وهو صاحبه.

والدليل على ذلك أن بطرس الناسك، وقود الحملة الصليبية ومن أشعل بخطبه في الرهبان نارها، كان أحد رهبان كالابريا الذين أسس منهم دي بويون دير صهيون في أورفال.

وما يقوله لنكولن ورفاقه عليه دليل صحة من التاريخ، فقد سارت إلى أورشليم من أوروبا أربعة جيوش صليبية، على رأس كل منها حاكم أو أمير، ولكن جودفروا دي بويون هو الوحيد بين قادة الجيوش الزاحفة إلى الأرض المقدسة الذي كان قد أعد العدة لكي يكون ذهابه بلا عودة، فقد تنازل عن حكم دوقيته لورين لأخيه الأصغر، وباع إقطاعيته وترك أملاكه.

دي بويون خرج على رأس جيشه وهو يعلم قبل أن يغادر أوروبا أنه عند سقوط أورشليم سيكون هو ملكها ولا أحد غيره!

ويقول لنكولن ورفاقه إن الاجتماع الغامض الذى لم يورد أحد من المؤرخين التقليديين تفاصيله، والذي انتخب فيه دي بويون ملكاً على أورشليم تم بتدبير من رهبان دير

صهيون، ويستدلون على ذلك بأن مؤرخ الحملة الصليبية الأولى وليم الصوري ذكر أن أكثر الشخصيات أهمية وأثراً في حسم نتيجة هذا الاجتماع كان أسقفاً من كالابريا، وأن بطرس الناسك كان أحد حضور هذا الاجتماع أيضاً.

وبعد وصوله إلى عرش أورشليم نقل دي بويون دير صهيون من أوروبا إلى جواره في أورشليم، ليكون عام سقوط القدس وتأسيس مملكة أورشليم، ١٠٩٩ م، هو تاريخ إعادة تأسيس دير صهيون أو تأسيسها الثاني، والدليل على ذلك تزامن وصول دي بويون إلى ملك أورشليم وتأسيس دير صهيون مع اختفاء رهبان دير أورفال اختفاءًا غامضاً، وخراب الدير نفسه، وقد ظل خراباً إلى أن ضمه القديس برنار دي كليرفو إلى نظام أديرة السسترشيان سنة ١١٣١م.

بعد نقل دير صهيون إلى الأرض المقدسة وطَّن دي بويون رهبانها في دير أقامه على أطلال كنيسة بيزنطية في جبل صهيون جنوب أورشليم وأطلق عليه اسم: دير سيدتنا بجبل صهيون Abbe of Notre Dam de Monte Sion، لتكون المنظمة التي كونها ذراعه في حماية أورشليم وحفظ ملكها في أسرته.

ويستدل لنكولن ورفاقه على تأسيس منظمة دير صهيون في جبل صهيون إبان الحملات الصليبية ببعض الوثائق والإشارات التاريخية، فقد وصف أحد المؤرخين سنة ١١٧٢م بناءًا عظيماً كالحصن القوي له أسوار عالية وأبراج وشرفات يقع على جبل صهيون، وقال إن اسمه: دير سيدتنا بجبل صهيون.

ويقول لنكولن ورفاقه إنهم عثروا أثناء بحوثهم وتعقبهم لدير صهيون على وثائق أصلية تحمل خاتم وتوقيع واحد أو أكثر من رؤساء رهبان دير نوتردام بجبل صهيون، فمثلاً توجد وثيقة موقعة من رئيس الكهنة أرنادلوس تاريخها ١٩ يوليو سنة ١١١٦م، ووثيقة أخرى تاريخها ٢ مايو سنة ١١٢٥م عليها اسم أرنادلوس إلى جوار اسم هوج دي بايان الأستاذ الأعظم الأول لفرسان الهيكل.

وفي أرشيف بلدية أورليان بيان بابوي صدر سنة ١١٧٨م من البابا ألكساندر الثالث Alexander III، يتضمن بياناً بحيازة دير صهيون لأملاك وبيوت وأراض كثيرة في فرنسا وإيطاليا وصقلية وإسبانيا وفي الأرض المقدسة.

وكل ما ذكره المؤلفون، وكلهم ماسون، من أدلة على تأسيس دير صهيون ووجودها منذ

الحملة الصليبية الأولى يحتمل الصدق ويحتمل الكذب، وهي في الغالب أدلة ملفقة ودليل تلفيقها أن كل ما استدلوا به جهَّلوه لكي لا يمكن فحصه ولا مراجعته أو التأكد منه.

فالذي وصف دير صهيون في جنوب أورشليم سنة ١١٧٢م مؤرخ لم يذكروا اسمه ولا صفته ولا المصدر الذي وصف فيه دير صهيون، والوثائق التي تحوي توقيع رئيس كهنة دير صهيون هي إحدى الوثائق السرية التي وضعها بيير بلانتار في المكتبة الوطنية في باريس.

وحتى بيان البابا في أرشيف بلدية أورليان لا وجود له ولا سبيل للتحقق منه، لأن الأرشيف احترق أغلبه إبان قصف المدينة في الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٠م.

الدليل على تأسيس دير صهيون ووجودها زمن الحروب الصليبية شيء آخر غير التلفيق الذي لفقه الماسون.

ثمة قرينة تاريخية على وجود دير صهيون فوق جبل صهيون في زمن الحروب الصليبية ولم يستدل بها لنكولن ورفاقه لأنها ليست بين أيديهم وهي بين أيدينا.

في سنة ١٩٦٨م أصدر الدكتور أحمد دراج عن مكتبة الأنجلو المصرية كتاباً اسمه: وثائق دير صهيون بالقدس الشريف!!

يقول دكتور أحمد دراج، وهو أستاذ للتاريخ، إنه أتيح له أثناء قيامه بدراسة عن العلاقات بين الفرنج والمماليك في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي أن يطلع على المجموعة العربية من وثائق دير صهيون، وهي الوثائق التي تصور علاقة طائفة الرهبان الفرنسيسكان بالسلطات المملوكية، وتصور أوجه نشاطهم في فلسطين منذ عهد السلطان بيبرس حتى عهد السلطان قنصوه الغوري.

والمجموعة الثانية من وثائق دير صهيون مكتوبة باللغة التركية وتتعلق بنشاط الدير خلال السيادة العثمانية على فلسطين.

يقول دكتور أحمد دراج إن جبل صهيون مقدس في المسيحية لأنه كان يقوم فوقه منزل والد يوحنا مرقص، وقد شهدت القاعة الغربية في الطابق العلوي من المنزل، المعروفة بعُلية صهيون، تناول المسيح لعشاءه الأخير مع حوارييه، وأما الطابق الأرضي فقد كان به قبو، وفي القبو قبر أجمعت الروايات اليهودية والمسيحية أنه قبر النبي داوود.

وفي القرن الرابع الميلادي أقام البيزنطيون كنيسة فوق عُلية صهيون وأطلقوا عليها

اسم: كنيسة صهيون، وظلت قائمة إلى أن تهدمت سنة ١٢١٧م ولم ينج منها سوى الجانب الغربي والقبو الذي به قبر داوود.

وفي سنة ١٢١٩م سمح الملك المعظم عيسى، سلطان دمشق، للقديس فرانسيس وطائفة من أتباعه بالإقامة في منطقة الكنيسة فوق جبل صهيون والانقطاع للتعبد.

وفي عام ١٣٣٥م أعاد الرهبان الفرنسيسكان بناء كنيسة صهيون فوق جبل صهيون من جديد وأنشأوا حولها ديراً لإقامتهم، وهذا هو دير صهيون.

ويقول دكتور أحمد دراج إن المراجع الأوروبية تُجمع على أن بناء دير صهيون لم يتم إلا بعد أن آلت ملكية هذه المنطقة إلى روبرت أنجو Robert Anjou، ملك صقلية ونابولي الذي نجح سنة ١٣٣٥م في شرائها من السلطان الناصر محمد بن قلاوون.

ونظراً لوجود الدير ورهبانه بعيداً عن العمران تكفلت السلطات المملوكية بحمايته وحماية رهبانه ومن ينزلون في ضيافتهم من حجاج الفرنج، فجرى العرف على أن يقيم معهم داخل الدير اثنا عشر مملوكاً بصفة دائمة.

وفي سنة ١٤٥٢م ثار نزاع طويل واقتتال بين رهبان الدير واليهود بسبب الخلاف حول الحق في ملكية قبر النبي داوود، وظل التنازع سارياً عبر السنين إلى أن حسمه السلطان العثماني سليمان القانوني سنة ١٥٢٣ م، فأصدر فرماناً بإجلاء الرهبان عن كنيسة العُلية وعن دير صهيون، ونزع القبر من يدهم ويد اليهود معاً، وتحويل المباني كلها إلى مسجد داوود، وسمحت السلطات العثمانية للرهبان باتخاذ كنيسة المخلص مقراً ومركزاً لهم بديلاً عن الدير.

إذاً كان ثَمة طائفة من الرهبان التابعين للكنيسة الكاثوليكية في جبل صهيون إبان الحروب الصليبية حقاً، وإن كانت وثائق دير صهيون والتاريخ الذي أورده دكتور أحمد دراج تعود ببناء الدير إلى سنة ١٣٣٥م، أي عقب رحيل الصليبيين عن الشرق الإسلامي بنصف قرن تقريباً وليس بسنة وصول الصليبيين إليه، وهي تنسب بناءه إلى روبرت أنجو لا إلى جودفروا دي بويون.

والأهم من الخلاف في التواريخ والاختلاف حول المؤسس أن وجود دير صهيون في جبل صهيون شئ ووجود منظمة سرية داخل الدير شئ آخر لا دليل فيما أورده لنكولن ورفاقه عليه.

الدليل الحقيقي على وجود منظمة دير صهيون القديمة هو أن وجودها في زمنها ليس غريباً ولا بعيداً، بل هو بعد ما تبينت من خفايا عالم سر السر الأقرب إلى التصديق والواقع.

فكل شئ في عالم أوروبا زمن الحروب الصليبية ولقرون قبلها صنعته الأسر الحاكمة لمقاطعات الفرانكا بالتحالف مع مملكة الأديرة والرهبان وفروعها، وتأسيس دي بويون لدير ونظام رهبنة ليكون يده وأداته في تحقيق غاياته ليس إلا حلقة في سلسلة طويلة.

فكل أمير أو إقطاعي في مقاطعات الفرانكا له غاية كان لابد له من أديرة وتنظيم من الرهبان ليصل إليها، فأسرة لورين أخوال دي بويون هي التي أنشأت دير كلوني ومملكته من الأديرة التي بلغت ألفي دير، وأسرة شامبان أسست أديرة السسترشيان، وأحد أفرادها كان أول رؤسائها.

وجودفروا دي بويون نفسه أسس منظمة علنية من الرهبان في أورشليم، فبعد الوصول إلى أورشليم أرسل دي بويون مجموعة من الرهبان والفرسان للاستيلاء على كنيسة القبر المقدس، ثم كون منهم منظمة أطلق عليها اسم: منظمة الضريح المقدس Order of The Holy Sepulchre.

دير صهيون القديمة حقيقية لأن زمانها قد صنع أمراؤه ونبلاؤه أحداثه كلها بالأديرة ورهبانها.

ثم إليك الدليل الذي تعرف به هوية دير صهيون القديمة الحقيقية.

ذكرت مؤرخة الحركات السرية الخبيرة بها نستا وبستر Nesta Webster في كتابها الشهير: الجمعيات السرية والحركات الخفية Secret societiecs & submersive movemets، وهى تؤرخ لأصول الماسونية أن مؤرخ الماسونية الرسمي شيفالييه دي براج Chevalier de Berage أصدر سنة ١٧٤٧م نشرة شهيرة عن محفل باريس الأعظم ذكر فيها أن:

"أصول الماسونية تعود إلى عهد الحملة الصليبية الأولى، والذي أسسها في فلسطين أول ملوك أورشليم جودفروا دي بويون" !

وعلى ذلك فطبقاً لمؤرخ الماسونية الرسمي تكون دير صهيون التي أسسها جودفروا دي بويون هي الجذر القريب للماسونية.

وهي الجذر القريب لأن أصل الماسونية وجذرها البعيد عميق في أغوار الزمان، وربما نعرفك به في مقام آخر.

والسؤال الآن: إذا كانت دير صهيون القديمة حقيقية، فهل دير صهيون الحديثة هي الأخرى حقيقية؟ أو بصورة أدق: هل دير صهيون الحديثة، فرع محفل الألب الأعظم، كما قال بلانتار في وثائقه ولنكولن ورفاقه في كتابهم، هي فعلاً دير صهيون القديمة جذر الماسونية واستمرارها في الزمن.

ربما ! لكن المؤكد والذي لا مراء فيه هو أن الحقيقي والمستمر في التاريخ والذي ينتقل من عصر إلى عصر بلا انقطاع ومن مكان إلى مكان بلا انفصال هو من يكمنون في عالم سر السر، مِن خلف دير صهيون القديمة والحديثة، وخلف الماسونية والمنظمات السرية وفي قلبها، ومِن وراء كل طعن في المقدسات وزعزعة للعقائد.

فهؤلاء هم الحقيقة المتدفقة في التاريخ السائرة في الزمان، وما يبثونه من أفكار من وراء أحداث العالم، وغايتهم هي وجهته وضابط مساره، وكل ما عداهم من أنظمة ومنظمات وحركات، رهبانية أو علمانية، ليست سوى أغلفة لإخفائهم ووسائل للتحريك، فلا تحريك لها ولا لأحداث العالم بها إلا بهم!

أجداد وأحفاد

الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين جورج دبليو بوش الذي دشن النظام العالمي الجديد لم يكن سوى الدمية التي تُعد في كل زمان لكي يتوهم المغفلون من البشر بها أن هذا النظام العالمي القديم جديد.

أما من صنعوا الدمية وأنطقوها، ومن هم خلف النظام القديم المتجدد، فهم من رسموا مسار العالم من قديم ويدفعون البشر داخله في كل زمان بما يناسبه ويتاح فيه، ويضعون لكل مرحلة في المسار ولكل خطوة نحو الغاية اسماً جديداً وشعاراً براقاً لإيهام البشر أن ما يحدث وليد ظروف زمانه ومكانه ويحدث من تلقاء نفسه دون تدبير ولا غاية، إلى أن يصلوا الى الغاية.

والعولمة التي يتوهم المغفلون أنها جديدة هي هدف قديم، شديد القدم، يتم صناعته في كل زمان يصل فيه أصحاب الغاية منه إلى مواقع السلطة والتأثير والسيطرة على البشر.

فالعالم الذي صنعه فرسان الهيكل لم يكن سوى العولمة بما يناسب زمانها وما توافر فيه من وسائل وأدوات.

والعولمة وإلغاء عقائد البشر ومحو تاريخهم بها، وامتطاؤهم وسوقهم بشعاراتها هو ما نص عليه في القرن التاسع عشر الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين ومؤرخ الماسونية الرسمي راجون Ragon:

"إن الماسونية هي التي تستطيع أن تصوغ هذا القانون الإنساني الذي يفضي نشاطه المطرد في سبيل إنشاء تناسق اجتماعي عظيم إلى مزج جميع الأجناس والطبقات المختلفة، والأخلاق والقوانين، والعادات واللغات والأزياء... وستغدو دعوتها قانوناً إنسانياً لكل الضمائر"!

وعولمة القرن الثاني عشر صنعتها فرسان الهيكل، وقد علمت من صنع فرسان الهيكل وكان يختبئ خلفها ويحركها، وعولمة القرن التاسع عشر صنعتها الماسونية، وقد أدركت من كونها ويسري فيها وهو موجهها وضابط اتجاهها.

وأما عولمة القرن العشرين والقرن الحادي والعشرين فالذي صنعها ويدفع البشر في اتجاهها خطوة خطوة، بالاقتصاد والإعلام والمنظمات والمؤتمرات، والذى صنع الدمية وأنطقها بها فمجلس العلاقات الخارجية الأمريكي ومجموعة البلدربرج.

فأما مجلس العلاقات الخارجية الأمريكي فقد علمت في الوحي ونقيضه من كونه وكان نواته ومازال هو قلبه.

وأما مجموعة البلدربرج فإليك ماذا تكون.

اكتسبت مجموعة البلدربرج Bilderberg Group اسمها من اسم الفندق الذي انعقد فيه أول لقاءاتها في الفترة من التاسع والعشرين إلى الحادي والثلاثين من مايو سنة ١٩٥٤م، وهو فندق بلدربرج في أوستربيك Oosterbeek في هولندا.

وتعقد المجموعة منذ ذلك الحين لقاءاتها كل بضع سنوات في إحدى مدن الغرب الصغيرة بعيداً عن أضواء العواصم وضجيجها، وآخر لقاءاتها هو الذى عقد فى سان موريتز St. Moritz في سويسرا في الفترة من التاسع إلى الثاني عشر من يونيو سنة ٢٠١١م.

ومجموعة البلدربرج التي لا يُسمح للإعلام بحضور لقاءاتها ولا للصحفيين بمتابعتها تتكون، كما يقول ول هتون Will Hutton في دراسة له عن المجموعة، من مائة وعشرين شخصاً، هم صفوة الصفوة في أوروبا والولايات المتحدة وكندا.

وهؤلاء المائة والعشرون صفوة الصفوة في الغرب هم مالكو البنوك الكبرى فيه، وأصحاب المؤسسات الصحفية والإعلامية العملاقة، وكبار رجال الصناعة وأقطاب التجارة، وبعض أعضاء الأسر المالكة أو ذات الأصول الملكية في أوروبا.

ومن لقاءات هذه المجموعة تخرج الأفكار الكبرى ليحولها الساسة إلى خطط وخطوات، وإلى مسار ومراحل واتجاه، ثم يتولى هؤلاء مع رجال الاقتصاد بثها في حشود البقر التي يجمعونها لذلك في المنتدى الاقتصادي العالمي دافوس الذي أنشأة ويدير لقاءاته اليهودي كلاوس شواب Clause Schwab !

أما لماذ يتبع الساسة المجموعة وتدور سياساتهم حول ما تريد، فلأن المجموعة، كما يقول بيتر تومسون Peter Thompson في كتابه: البلدبرج وحكومة الغرب The Bilderberg and the west government، هي حكومة العالم العليا World Super Government، فوصول الساسة إلى مقاعدهم رهن بإرادة هؤلاء وليس بإرادة العوام كما يتوهم المغفلون من البشر، فالحملات الإنتخابية من تمويلهم، والأحزاب تقوم على تبرعاتهم، والساسة يصلون إلى العوام في صحفهم وشاشاتهم، واقتصاد الغرب كله في

قبضة أيديهم.

فالرئيس الأمريكي بيل كلنتون Bill Clinton لم يدخل سباق الرئاسة إلا بعد أن تم تقديمه للمجموعة ونال رضاها في لقائها الذى عقد في بادن بادن Baden Baden في ألمانيا في الفترة من السادس إلى التاسع من يونيو سنة ١٩٩١م، وكان قبل أن يحظى برضا المجموعة حاكماً مغموراً لولاية أركنسو Arkensso.

ويقول تومسون إن المجموعة بسلطتها النافذة في الغرب وسيطرتها على مقاليده ومؤسساته:

"فتحت لكلنتون الطريق إلى البيت الأبيض على الرغم من فضائحه الجنسية المتكررة واشتهاره بإدمان المخدرات، وربما كانت هذه هي الأسباب التي من أجلها فتحت طريق الرئاسة أمامه Despite or may be because"!!

ورئيس الوزرء البريطانى توني بلير Tony Blair حصل على مباركة المجموعة وهو يتهيأ لخوض الانتخابات في لقائها في مدينة فولياجميني Voulingmini قرب أثينا، والذي عقد من الثاني والعشرين وحتى الخامس والعشرين من أبريل سنة ١٩٩٣م.

ومجموعة البلدربرج هي التي قامت بالتنسيق بين باراك أوباما وهيلاري كلنتون إبان سباقهما للوصول إلى البيت الأبيض في مؤتمر المجموعة الذى عقد في ضاحية شانتيلي Chantily في فرجينيا في الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة من الخامس إلى الثامن من يونيو سنة ٢٠٠٨م.

وبناء على هذا التنسيق ورغبة المجموعة تركت كلنتون السباق وفتحت طريق أوباما إلى البيت الأبيض، لأن المجموعة كانت تريد رئيساً أسود للولايات المتحدة.

ومؤسس مجموعة البلدربرج ورئيسها في أول اثنين وعشرين عاماً من عمرها هو الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين برنار دي ليبي Bernard de Lippi حامل لقب أمير الأراضي الواطئة H.R.H. Prince Bernard of Netherland.

والأمير بونار هو سليل أسرة ليبي Lippi الملكية، والأسرة كلها تنحدر من هيرمان ليبي Herman Lippi المتوفى سنة ١٠٥٦م، وابنه برنارد الأول BernardI هو مؤسس إمارة ليبي في ألمانيا سنة ١١٢٣م، وهي الإمارة التي ظلت الأسرة تحكمها وتتوارث حكمها حتى نشوب الحرب العالمية الأولى.

وفي سنة ١٩١٨م مع هزيمة ألمانيا في الحرب ونشوب الثورة وخلع القيصر فلهلم الثاني Welhelm II فقدت الأسرة الإمارة التي ظلت تحكمها طيلة ثمانمائة عام متواصلة وإن لم تفقد ثروتها وممتلكاتها.

وترتبط أسرة ليبي الملكية بروابط القرابة والزواج والمصاهرة مع أغلب الأسرة الأوروبية المالكة وذات الأصول الملكية التي كانت تحكم الممالك والإمارات والمقاطعات الأوروبية قبل الحرب العالمية الأولى.

ويقول فريتز سبرنجمير Fritz Springmeire في كتابه: أنساب الإليوميناتى Bloodlines of the Illuminati إن بعض هذه الأسر لا تنحدر من أصول ملكية خالصة، بل إن كثيراً منها ينحدر من الأسر الثرية التي كانت تسيطر على التجارة الأوروبية ومراكزها في القرون الوسطى، والتي صارت ملكية بمصاهرتها للأسر المالكة الحاكمة للإمارات والمقاطعات الأوروبية، وهي المصاهرات التي حتمتها حاجة هذه الإمارات والمقاطعات إلى أموال هذه الأسر الثرية لتمويل حروبها ونزاعاتها، وبعض هذه المصاهرات كان وفاءًا لديون أسرها المالكة والحاكمة لديونها لدى هؤلاء التجار!

وتتوزع هذه الأسر المالكة وذات الأصول الملكية بين ألمانيا وإيطاليا وهولند وسويسرا والدانمرك واليونان وبلجيكا وبريطانيا.

والأسرة المالكة البريطانية هي نفسها إحدى هذه الأسر، وهي تنحدر من أسرة ساكس كوبرج وجوتا Sax Coburg and Gotha الألمانية، ولم تغير لقبها الملكي من ساكس كوبرج الألماني الى وندسور Windsor الإنجليزي إلا مع الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٧م في عهد الملك جورج الخامس GeorgeV.

وإحدى أشهر مصاهرات أسرة ليبي هي التي مع أوتو فون هابسبرج Otto Von Habsburg، أكبر أبناء تشارلز الأول Charles I، وهو آخر أباطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة قبل أن تتفكك مع الحرب العالمية الأولى الى دولتي النمسا والمجر.

وأسرة هابسبرج نفسها هي فرع من أسرة لورين Lorraine التي كان أشهر ملوكها عبر التاريخ جودفروا دي بويون!!

وجزء من اللقب الرسمي لعميد أسرة هابسبرج منذ اعتلاء الإمبراطور فرانسيس الأول FrancisI لعرش الإمبراطورية سنة ١٨٠٤م أنه: ملك أورشليم King of

Jerusalem!!

وعميد الأسرة الآن هو أوتو فون هابسبرج الذي ولد سنة ١٩١٢م، ومازال حياً وقد بلغ السادسة والتسعين من العمر.

وأتو فون هابسبرج هو مؤسس رابطة توحيد أوروبا League for the United States of Europ ورئيسها، وهي القوة الدافعة التي تكون بها وبجهودها وسياساتها البرلمانى الأوروبي، وقد كان أيضاً الرئيس الشرفى لاتحاد أوروبا الكبرى الدولي The Internationl Pan Europian Union من سنة ١٩٨٦م حتى سنة ٢٠٠٤م وهو أيضاً أحد القوى الرئيسية خلف توحيد أوروبا.

أما أشهر روابط أسرة ليبي الملكية على الإطلاق، فمصاهراتها لأسرة أورانج Orange الحاكمة لهولندا.

ففي سنة ١٩٣٧م ختارت فلهلمينا Wilhelmina ملكة هولندا الكونت برنارد دي ليبي ليكون زوجاً لابنتها جوليانا Juliana ملكة هولندا القادمة، وهو الزواج الذي كانت إحدى ثماره بياتريس Beatrix ملكة هولندا الحالية، وهي أحد أبرز أعضاء مجموعة البلدبرج التي أسسها أبوها!

ومجموعة الأسر المالكة والملكية الأوروبية هذه هي المؤسسة لأغلب بنوك سويسرا والمالكة لأصولها، وبجهودها تكونت السوق الأوروبية المشتركة، وهي التي خلف حركة الحفاظ على البيئة وكونت منظماتها، وهي التي اختارت يوم نكسة بلاليص ستان وتحوُّل الدولة اليهودية الوليدة الى إمبراطورية واستيلائها على جبل الهيكل، يوم ٥ يونيو، ليكون يوم البيئة العالمي، وجعلته يوماً عالمياً تشاركها الفرحة فيه والاحتفال به كل شعوب الأرض وأممها، بما فيها شعوب عالم البلاليص!!

وهذه الأسرة هي إحدى ركائز مجموعة البلدربرج والقوى الدافعة الرئيسية فيها نحو العولمة على الجانب الشرقي من الأطلنطى.

وهذه الأسر هي، كما يقول سبرنجمير، إحدى بضعة أسر في الغرب تسيطر على النشاط الماسوني فى العالم كله!

والأمير برنارد هو نموذج تتكثف فيه كل مواصفات هذه الأسر ونشاطها واتجاه حركتها.

فالأمير بونارد الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين هو أحد الشركاء والمؤسسين لشركة البترول الملكية الهولندية Dutch Petroleum والمشهورة باسم شل Shell Oil، وهو مؤسس الحركة الدولية للحفاظ على الحياة البرية World Wild Life Fund، ومؤسس الصندوق الدولي للحفاظ على الطبيعة World Wide Fund For Nature، وهو أحد المشاركين في تأسيس منظمة الروتاري الدولية Rotary International.

ومجموعة الأسر المالكة والملكية التي تسيطر على الاقتصاد الأوروبي والبنوك، والقوة الدافعة نحو توحيد القارة الأوروبية، وتسيطر على النشاط الماسوني فيها، وهي الفرع الأوروبي للعولمة هي التي يطلق عليها معاً اسم مجموعة الأسر الميروفنجية Merovingian Families !!

فهذه هي الأسرة التي ذكر لنكون ورفاقه في كتابهم: الدم المقدس والكأس المقدسة أنها تنحدر من الأسرة الملكية الميروفنجية التي كانت تحكم غالة.

وأسرة ليبي، أسرة الأمير برنار، وكذا أسرة هابسبرج وأسرة لورين وأسرة أورانج هي بعض الأسر التي نصت وثائق دير صهيون التي وضعها بيير بلانتار في المكتبة الوطنية في باريس وشجرة الأنساب التي ألحقها بها على أن نسل الأسرة الميروفنجية حُفظ عبر التاريخ فيها، وأن دماءها مازالت تتدفق في عروق أبنائها.

فهذه الأسر حسب وثائق دير صهيون وأنسابها هي سبط بنيامين !

أما حسب رواية هويكنز ورفاقه التي أخبرهم بها ميشيل فهي مجموعة أسر الملك الإلهي Rex Deus، نسل داوود الملك التي تسعى إلى حكم العالم من على عرشه في أورشليم !

ويقول سبرنجمير إنه من المعروف بين جميع الأسر المسيطرة على النشاط الماسوني في العالم أن الأسرة الميروفجية هي أسرة المسيا التي سيكون الملك القادم لحكم العالم من نسل داوود منها!

وفي لقاء لنكولن ورفاقه مع بيير بلانتار أخبرهم أنه إذا كان ثمة رجل واحد يمكنه أن يقول إنه الوريث الشرعي للأسرة الميروفنجية وما كانت تحكمه من ممالك فهو أوتو فون هابسبرج !

وأما الأمير بِرنار، الذي ولد سنة ١٩١١م وتوفي سنة ٢٠٠٤م عن ثلاثة وتسعين عاماً، فقد كان هو نفسه يقول إنه من نسل داوود ووريثه، وأعانه على قالته النسابة وخبير

الأنساب الكندي الشهير ديفيد ليفنجستون David Livingstone بأن وضع له شجرة نسب وصله فيها عبر الزيجات والمصاهرات بملك اليهود جويليم دي جيلون!

وأما الرئيس الحالي لمجموعة البلدربرج والذي يتولى رئاستها منذ سنة ٢٠٠١م وحتى اليوم فهو هنري دي كاستري Henride de Castries، رئيس مجلس إدارة إحدى كبرى شركات التأمين العالمية، وهي شركة أكسا AXA الفرنسية، واسمه الكامل هنري دي لاكروا دي كاستري، الكونت الخامس لكاستري Henri de la Croix de Castries, 5th Comte de Castries.

فالرئيس الحالي لمجموعة البلدربرج هو سليل أسرة كاستري، إحدى أعرق الأسر النبيلة في جنوب فرنسا، والتي تمتد أصولها وتاريخها لمئات السنين في لانجدوك، معقل فرسان الهيكل، والتي هي نفسها سبتمانيا إمارة اليهود في فرنسا الإقطاعية!!

اليهود وفرسان الهيكل في ملاحم الجريل

- الشاليس
- الجريل وملاحمها
- الكنيسة والشاليس والجريل
- اليهود وفرسان الهيكل في ملاحم الجريل

الشاليس

الشاليس هي الكأس المقدسة التي يوجد أصلها في الأناجيل الرسمية المعتمدة والمعترف بها من الكنيسة، والتي يطلق عليها اسم الأناجيل: القانونية Canonian، وهذه الكأس ترتبط بالعقائد المسيحية على اختلاف مذاهبها وبطقوسها وشعائرها في كل من يدين بها من شعوبها.

الكأس المقدسة مسيحياً Holy Chalice هي الكأس التى شرب منها المسيح عليه السلام في العشاء الأخير وأمر تلاميذه أن يشربوا منها لأن ما فيها هو دمه الذي يُسفك من أجل مغفرة خطايا البشر.

"وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا" (متى ٢٦: ٢٦ – ٢٨).

وفي رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس أمرهم القديس بولس بوصية المسيح التي تسلمها منه، وهي أن يفعلوا مثلما فعل في العشاء الأخير.

"لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً، إن الرب يسوع في تلك الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا جسدي المكسور لأجلكم اصنعوا هذا لذكري، كذلك الكأس أيضاً بعد ما تعشوا قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد، بدمي اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري لأنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيئ" (كورنثوس الأولى ١١: ٢٣-٢٧).

وما أمر به القديس بولس أهل كورنثوس في رسالته هو ما تحول في المسيحية على اختلاف مذاهبها وفي مختلف كنائسها إلى طقس العشاء الرباني Eucharist، وهو أحد العناصر الرئيسية في القداس المسيحي.

وفي العقيدة المسيحية أن النبيذ الذي يشربونه في طقس العشاء الرباني هو دم المسيح فعلاً أو أنه يتحول أثناء القداس إلى دم المسيح حقيقة لا مجازاً، ولا مجال للبحث عن تفسير أو تأويل عقلي لأنه أحد الأسرار الكنسية Sacremental.

ولا يوجد في الأناجيل ولا في تراث المسيحية المبكر ما يشير إلى أهمية أو قداسة خاصة للكأس التي شرب منها المسيح في العشاء الأخير وأسقى تلاميذه، فالمقدس في العشاء

الأخير وفي تكراره في طقس العشاء الرباني هو النبيذ الذي يتحول إلى دم المسيح في الكأس وليس الكأس نفسها.

غير أنه في تراث الكنيسة الكاثوليكية أن القديس بطرس Saint Peter أخذ الكأس المقدسة التي شرب منها المسيح في العشاء الأخير وتولى حمايتها وأنه كان يستخدمها في قداسه، ثم أخذها معه حين رحل إلى روما.

وطبقاً لما جاء في هذه الروايات الكاثوليكية غير الرسمية فإنه بعد موت القديس بطرس انتقلت الكأس المقدسة إلى من خلفوه من البابوات على كنيسة روما، وظلوا يتوارثونها إلى عهد البابا سكستوس الثاني Sixtus II في سنة ٢٥٨م.

وفي عهد الباب سكستوس الثاني تعرض المسيحيون لحملة اضطهاد عنيفة شنها عليهم الإمبراطور الرومانى فاليريان Valerian، فخاف البابا على الكأس المقدسة فأعطاها إلى أحد الشماسين Deacon، وهو القديس لورنس Saint Lawrence الذي هرَّبها إلى جندي إسباني اسمه بروسيليس Proselius وأمره أن يُؤمِّنها وأن يحملها معه إلى مسقط رأس القديس لورنس في إسبانيا.

وفي إسبانيا تتابع الملوك الإسبان حسب هذه الروايات على حماية الكأس المقدسة حتى عهد الملك ألفونسو Alfonso سنة ١٢٠٠م.

وتحت ضغط حاجته إلى المال لتمويل حملاته الحربية اضطر الملك ألفونسو أن يرهن الكأس المقدسة عند كاتدرائية فالنسيا Cathederal Of Valencia مقابل تمويل حملاته.

ولما لم يستطع ألفونسو سداد ما اقترضه آلت ملكية الكأس المقدسة إلى كاتدرائية فالنسيا.

وتوجد في كاتدرائية القديسة مريم العذراء في فالنسيا حتى اليوم كأس يطلق عليها بالإسبانية اسم سانتو كالتس Santo Caliz أو الكأس المقدسة، وهي مقصد الحجاج الكاثوليك من مختلف أنحاء العالم.

ويوجد على الجزء العلوي من هذه الكأس كتابة بخط القديس جيرومSaint Jerom، ومن الغرائب أنه يوجد على الجزء السفلي منها نقوش عربية(•).

وفى سنة ١٩٦٠م فحصها أنتونيو بلتران Antonio Beltran، وهو أحد خبراء الآثار

(•) انظر صورة الكأس المقدسة في ملحق الصور.

الإسبان، وخلص من فحصه إلى أن هذه الكأس صنعت في مصر أو فلسطين في فترة تقع بين القرن الرابع قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي مما يرجح أنها هي فعلاً كأس المسيح المقدسة.

وحين زار البابا يوحنا بولس الثاني Jhon Paul II كاتدرائية فالنسيا في نوفمبر ١٩٨٢م أقام قداساً استخدم فيه هذه الكأس مردداً العبارة التقليدية الواردة في إنجيل متى التي تقال أثناء القداس، ومع ذلك فشلت إدارة الكاتدرائية والقيمون على الكأس في الحصول على اعتراف منه بأن هذه هي نفسها كأس المسيح في العشاء الأخير.

وأما الباب بنديكت السادس عشر Bendict XVI فقد أقام قداساً في كاتدرائية فالنسيا في يوليو سنة٢٠٠٦م باستخدام الكأس نفسها وهو يتفوه بهذه العبارة:

إنها أشهر كأس مقدسة

This most famous Chalice

وهذه العبارة، كما تقول الروايات الكاثوليكية، هي العبارة نفسها التي كان يرددها باباوات روما الأوائل حتى القرن الرابع الميلادي، مما عده البعض إشارة ضمنية من البابا إلى أن هذه هي كأس المسيح.

وفي كل الأحوال لا يوجد في تراث المسيحية بكل فرقها ومذاهبها ما يشير إلى أن الشاليس أو كأس المسيح في عشائه الأخير لها قداسة خاصة، ولا أنها تمنح من يحوزها قوة أو قدرة أسطورية، أو مالاً وثروة، أو عقلاً وحكمة، ولا أنها تهبه سلطة أو تسبغ عليه شرعية من أي نوع.

فهذه الأساطير كلها قرينة كأس أخرى، هي الجريل.

الجريل وملاحمها

الجريل The Grail هي النطق الحديث لكلمة Graal الفرنسية القديمة، وهذه نفسها تحوير أو تحريف لكلمة Gradalis اللاتينية، ومعناها الأصلي طبق يؤتَى به على المائدة أثناء تناول الطعام.

وتذكر الموسوعة الكاثوليكية Catholic Encyclopedia أنه بعد ذيوع قصة الجريل وانتشارها نحت لها القصاص والكتاب والرواة في أواخر العصور الوسطى اسماً أخر هو San Graal أو San Greal، وتعني بالفرنسية القديمة: الكأس المقدسة أو الكأس الملكية.

وهذه التسمية كانت هي البذرة الأولى لكل ما تم تلفيقه من أساطير حول الجريل في القرن العشرين عبر إعادة لحم الكلمتين ثم تشطيرهما أو تقطيعهما من موضع آخر لتكون العبارة الجديدة Sang Real، أو الدم المقدس أو الملكي.

والجريل أسطورة عميقة الجذور في تراث شعوب غرب أوروبا الأدبي والغنائي، وفي أساطيرها وحكاياتها الشعبية، وفي وعيها ومكوناتها النفسية.

وهي أسطورة كونها امتزاج الروايات المسيحية بالحكايات الشعبية واختلاطها بها عبر التاريخ، وتداخل العناصر والأفكار المسيحية بعناصر الأساطير الوثنية.

أسطورة الجريل تكونت من أصلين، ثم نمت وترعرعت في تراث شعوب غرب أوروبا بالتقائهما معاً، لتصير إحدى مكونات الوعي الغربي.

وجذر أسطورة الجريل الأول هو الأساطير والحكايات الفلكورية التي تكونت عبر الزمن في شعوب غرب أوروبا قبل المسيحية Early celtic myth and falklor، وهو ما ذهب إليه فريق من الباحثين في أسطورة الجريل، وأشهرهم شيرمان لومس Sherman Loomis، وألفريد نوت Alfred Nutt.

ويستند هؤلاء في وصل أسطورة الجريل بتراث شعوب غرب أوروبا قبل المسيحية على التشابه بين عناصر أسطورة الجريل كما شاعت في آداب العصور الوسطى وأشعارها وأغانيها وبين عناصر الأساطير والحكايات الشعبية في أيرلندا وويلز وبعض مناطق فرنسا.

ومن أشهر هذه الحكايات وأكثرها شبهاً بأسطورة الجريل حكاية أيرلندية تعود الى

ماقبل المسيحية اسمها: مغامرات أرت Adventures of Art، وهي تحوي، كما يقول ميركال Mercale، كل عناصر أسطورة الجريل ومكوناتها الروائية.

ومكونات أسطورة الجريل كما شاعت في أدبيات العصور الوسطى، وكذا مكونات الحكايات الأسطورية الشائعة قبل المسيحية في غرب أوروبا، هي قلعة يملكها ويسكنها الملك الصياد Fisher King، وهو ملك كسيح عِنين لا يجد ما يفعله سوى أن يُحمل ليوضع على شاطئ نهر يصطاد منه في انتظار من يأتي له بالشفاء، ومن يأتي له بالشفاء فارس يرتحل عبر البلاد ويخوض المغامرات من أجل الوصول إلى الجريل والعذراء التي تحرسها، والتي يملكها الملك الصياد وورثها عن آبائه من الملوك.

وأما الجذر الثاني لأسطورة الجريل، وهو الجذر المسيحي، فقد جاء من إنجيل نيقوديموس Nicodemus، وهو أحد الأناجيل غير القانونية التي لا تعترف بها الكنيسة المسيحية ويطلق عليها اسم الأناجيل المنحولة أو المزورة Apocrypha.

وإنجيل نيقوديموس انتشر انتشاراً كبيراً في بريطانيا إبان القرن الثاني عشر وذاع ذيوع الروايات والحكايات الشعبية.

وفي إنجيل نيقوديموس أن يوسف الذي من الرامة، الذي يوصف في الروايات المسيحية بأنه عم المسيح (المسيح عليه السلام ولد من مريم العذراء عليها السلام بلا أب!!)، جمع دم المسيح المخلِّص من على الصليب في كأس قبل أن يوارى في قبره.

وبعد ذلك سجن اليهود يوسف الذي من الرامة Joseph of Arymathia اثنين وأربعين عاماً حتى حرره الإمبراطور الروماني فسبسيان Vespesian حين اجتاح أورشليم، وخلال هذه السنوات الاثنتين والأربعين كان المسيح يظهر ليوسف الذي من الرامة في سجنه ويطعمه ويسقيه في هذه الكأس ما يقيم جسده ويحفظ حياته، ويهبه بها من الثبات والإخلاص ما يخلص روحه ويحفظ إيمانه.

وتتمة قصة هذه الكأس أن يوسف الذي من الرامة بعد تحريره في بعض الروايات، أو ابنه في بعضها الأخر هرب بهذه الكأس إلى بريطانيا لتكون هذه هي بداية تحول بريطانيا إلى المسيحية.

وهذا هو نفسه سبب ذيوع إنجيل نيقوديموس في الجزر البريطانية وانتشاره شعبياً فيها.

والجذر المسيحي للجريل تتنوع في رواياته ماهية هذه الكأس المقدسة، فهي تارة الكأس

التي جمع فيها يوسف الذي من الرامة دم المسيح، وتارة أخرى أنها هي الكأس التي كان يطعم فيها المسيح يوسف في سجنه ويسقيه، وفي رواية ثالثة أنها هذه وتلك.

وفي رواية أن هذه الكأس التي جمع فيها يوسف الذي من الرامة دم المسيح من على الصليب ثم أسقاه المسيح وأطعمه فيها هي نفسها كأس المسيح في عشائه الأخير.

وهذه هي الرواية التي انتقاها دان براون في رواية شفرة دافنشي ليوحد بين الكأس المقدسة مسيحياً أو الشاليس والكأس المقدسة شعبياً أو الجريل، ليكون توحيده بينهما هو بذرة توليد الأسطورة الجديدة.

من التقاء الرافد الوثني للجريل عند شعوب غرب اوروبا مع الرافد المسيحي فى إنجيل نيقوديموس وما تفرع منه من روايات تكونت أسطورة الجريل خلال فترة تحصرها الموسوعة الكاثوليكية بين عامي ١١٨٠م و ١٢٤٠م.

صارت أسطورة الجريل حكايات شعبية وملاحم روائية وأشعار غنائية يتغنى بها الشعراء والمغنون الجوالون وهم يتجولون في الريف الأوروبي، خاصة في قرى فرنسا وإنجلترا وألمانيا والبرتغال وإسبانيا، وهؤلاء الشعراء المغنون المرتحلون بقصة الجريل عبر قرى الريف الأوروبي هم المشهورون باسم التروبادور Troubadours.

وقد ذكرهم دان براون فى شفرة دافنشي وهو يُحيل الجريل التي يتغنون بها وينسجون الحكايات حولها الى رمز لمريم المجدلية.

وتنقسم ملاحم الجريل التي شاعت في غرب أوروبا إبان القرنين الثاني عشر والثالث عشر إلى نوعين رئيسيين.

النوع الأول هو ملاحم الجريل التي تدور حول الفارس البطل الذي يجوب البلاد بحثاً عن الجريل ليحصل عليها وعلى عذرائها الحارسة بعد مغامرات مثيرة.

وأشهر ملاحم الجريل من هذا النوع وأقدمها هي الملحمة الشعرية التي ألفها كريتيان دي تروي Chretien de Troyes فى فترة تقع بين عامي ١١٨٠م و ١١٩١م فى ستين ألف بيت أو عبارة شعرية.

وملحمة دي تروي اسمها برسيفال، قصة الجريل Perceval, le conte de graal.

وفى هذ النوع من الملاحم تهب الجريل البطل الذي يصل إليها ويحوزها الصحة والقوة، والثروة والغنى، والعقل والحكمة، والنفوذ والسلطة، فهي الغاية الكاملة.

غير أنه في هذا النوع من ملاحم الجريل تختفي الرموز المسيحية، ورغم ماتملكه الجريل وما تهبه لبطلها من قدرات أسطورية فلا قداسة دينية لها، والجريل في هذا النوع من ملاحمها ليست كأساً بالضرورة، فقد تكون كأساً مضيئة أو طبقاً عميقاً أو جوهرة نفسية.

وفى إحدى أشهر ملاحم الجريل في العصور الوسطى وهى: برسيفال، التي ألفها وولفرام فون إيخنباخ Wolfram Von Echenbach (١١٧٠م - ١٢٢٠م)، الجريل هي حجر مقدس هبط من السماء أو من الجنة، وأن الملائكة كانوا هم حراسها الأوائل على الأرض.

وأما النوع الثاني من ملاحم الجريل فهو الذي يدور حول قصة يوسف الذي من الرامة وإنقاذه للجريل ورحيله بها إلى بريطانيا لتكون بداية تنصيرها.

وأشهر ملاحم هذا النوع ملحمة يوسف الذي من الرامة Joseph d'Arymathia التي ألفها روبرت دي بورون Robert de Boron بين عامي ١١٧٠م و١٢١٢م.

وفي ملحمة دي بورون، وهي أول عمل توصف فيه الجريل بأنها مقدسة San Graal، يجمع يوسف الذي من الرامة دم المسيح من على الصليب في كأس ليزوره المسيح بعد ذلك في سجنه ويهبه أسرار الكأس المقدسة.

وبعد إطلاق سراحه يرحل يوسف مع أتباعه إلى الغرب، وفي بريطانيا يؤسس أسرة من حراس الجريل Grail Keepers يتوارثون حمايتها إلى أن يصل إليها برسيفال بطل الملحمة.

وترتبط ملاحم الجريل بكل أنواعها بالملك آرثر King Arthur وسيرته، وأشهر ملاحم الجريل وأقدمها، وهي ملحمة دي تروي، كانت عملاً من خمسة أعمال لدي تروي كلها تدور حول الملك آرثر وفرسانه.

فالتيمة المركزية في كل ملاحم الجريل هي وجود الجريل في قلعة مجهولة في إحدى بقاع بريطانيا لا يعرفها ولا يصل إلى الجريل إلا أفضل الفرسان.

وتكون معرفة القلعة ومكان الجريل عبر رؤية رآها أحد أبطال الملحمة واسمه جلعاد Galahad، ويطلق بعدها الملك آرثر فرسان مائدته المستديرة ليجوبوا بريطانيا من أدناها الى أقصاها بحثاً عن القلعة الموصوفة وطلباً للجريل المصونة فيها، ليكون برسيفال الفارس الذي يصل إليها هو الفارس الكامل، وفي الوقت نفسه تكون الجريل حارسة

للملك آرثر ومملكته من غزو الساكسون Saxons.

ومع عهد النهضة الغربية Renaissance دخل تراث الجريل كله في طوايا النسيان، ليعود مرة أخرى وتزدهر أسطورة الجريل مع ظهور الحركة الرومانسية في الفنون والآداب إبان القرن التاسع عشر.

وأشهر ثمار هذا الازدهار أوبرا برسيفال Parsifal التي وضعها ريتشارد فاجنر Richard Vagner سنة ١٨٨٢م، والتي ربط فيها لأول مرة بين الجريل وبين الأنثى وجعلها رمزاً لخصوبتها.

وفي القرن العشرين كانت الجريل مادة لعدد من أفلام السينما الغربية، ومن أشهرها فيلم نور الإيمان The light of faith سنة ١٩٢٢م، والكأس المقدسة الفضية The silver chalice سنة ١٩٥٤م، والتنين والكأس المقدسة Monty python and the holy grail سنة ١٩٧٤م.

الكنيسة والشاليس والجريل

أسطورة الجريل وكل روافدها ومكوناتها وتراثها وما يشيع حولها من حكايات وما ألف من ملاحم وأشعار ترتبط بشعوب غرب أوروبا، أساطيرها وآدابها، وهي إحدى مكونات وعي الشعوب في إسبانيا وألمانيا وفرنسا وبريطانيا وامتدادها في الولايات المتحدة الأمريكية، ولا وجود للجريل ولا لتاريخها وتراثها خارج هذه الشعوب، فهي غائبة غياباً تاماً من آداب الشعوب الشرقية ومن تراث المسيحية الأرثوذكسية بكل كنائسها وطوائفها، عربية ويونانية وسلافية ورومانية.

وأما الكنيسة الكاثوليكية التي تشيع أساطير الكأس المقدسة في عالمها والشعوب التي تدين بها فإن موقفها الرسمي من أسطورة الجريل كما سجلة آرثر ريمي Arthur Remy في الموسوعة الكاثوليكية هو:

"التجاهل التام لها والإعراض عن كل ما يتعلق بها من تراث".

ويفسر ريمي هذا الموقف بأسباب ثلاثة:

الأول: هو احتواء قصة الجريل وتراثها عبر العصور على عناصر ليس في قدرة الكنيسة التحقق منها.

الثاني: هو أن المصدر المسيحي الذي كان أحد جذور ملاحم الجريل، وهو إنجيل نيقوديموس، هو أحد الأناجيل التي لا تعترف بها الكنيسة، وهي في قانونها مزورة وليست مصدراً للإيمان والاعتقاد المسيحي.

والسبب الثالث: أن أسطورة الجريل وصلتها بيوسف الذي من الرامة تمنح الكنيسة الإنجليزية عراقة في التاريخ ومنزلة في المسيحية وشرعية في وعي الشعوب تكافئ عراقة الكنيسة الكاثوليكية في روما ومنزلتها وشرعيتها.

وحتى كأس المسيح في العشاء الأخير المنصوص عليها في إنجيل متى، فإن الكنيسة الكاثوليكية تقر، كما نص هربرت ثرستون Herbert Thurstone في الموسوعة الكاثوليكية أنه:

"لا يوجد لدى الكنيسة ولا في تقاليدها أي تراث يتعلق بالوعاء الذي استخدمه المسيح في العشاء الأخير".

No reliable tradition has been preserved to us regarding the vessel used by Christ at the last supper.

اليهود وفرسان الهيكل في ملاحم الجريل

يقول لنكولن ورفاقه في كتابهم: الدم المقدس والكأس المقدسة إن ازدهار ملاحم الجريل في زمنها الذي ازدهرت فيه لم يكن مصادفة، فقد كُتبت ملاحم الجريل كلها في زمن واحد تقريباً، هو أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر.

فقد كتب كريتيان دي تروي Chretien de Troyes أقدم ملاحم الجريل وأشهرها، وهي: برسيفال، قصة الجريل Perceval, le conte de Graal بين عامي ١١٨٠م و١١٩١م، وكتب دي بورون De Bouron ملحمته عن الجريل: يوسف الذي من الرامة Joseph d'Arymethia بين عامي ١١٩٠م و١٢١٢م، وكتب فون إيخنباخ Von Echenbach ملحمته برسيفال Persival بين عامي ١١٩٠م و١٢٢٠م.

وهذا الزمن، كما يقول لنكولن ورفاقه، كان عصر فرسان الهيكل والكاثار، ففي هذا الزمن كانت فرسان الهيكل هي القوة العسكرية الأولى في أوروبا، وبشبكتها البنكية وأسطولها التجاري الحربي تسيطر على اقتصاد أوروبا كلها، وكل ملوكها وممالكها مدينة لهم أو ترتبط تجارتها بهم.

وفي الوقت نفسه كان هذا هو الوقت الذي بلغت فيه طائفة الكاثار في لانجدوك، معقل فرسان الهيكل، ذروة سطوتها وسيطرت أفكارها على لانجدوك وما حولها من مقاطعات سيطرة تامة تحت نفوذ البابوية وكادت تقضي على الكاثوليكية.

فازدهار ملاحم الجريل ارتبط ارتباطاً وثيقاً بصعود فرسان الهيكل التي صنعها اليهود، وبازدهار هرطقة الكاثار وأفكارهم وزحفها على الكاثوليكية.

والكاثار، كما يقول موريس بيناي Mourice Pinnay في كتابه: المؤامرة ضد الكنيسة The Plot against the Churche، هم أيضاً يهود.

وما قاله لنكولن ورفاقه هو بعضٌ من الحق الذي امتزج به ما حشو به كتابهم من الباطل.

فأسطورة الجريل خرجت من بلاط اليهود وازدهارها ارتبط باليهود والأفكار اليهودية، فاللغة التي كتبت بها ملاحم الجريل كلها، كما يقول ول ديورانت، هي لغة لانجدوك المحلية، لغة اليهود والكاثار.

وأول ملاحم الجريل وأشهرها والينبوع الذي تدفقت منه روايات الجريل هي ملحمة كريتيان دي تروي، وملحمة دي تروي كتبها وهو في بلاط أسرة شامبان في تروي، واسمه هو نفسه بينة على صلته بأسرة شامبان وبلاطهم، فاسمه كريتيان دي تروي، أي كريتيان الذي من تروي عاصمة مقاطعة شامبان.

وتروي في عهد أسرة شامبان هي مدينة اليهود في غرب أوروبا، فمنذ منتصف القرن الحادي عشر توافد اليهود على مقاطعة شامبان زرافات ووحداناً واستقرت أعداد كبيرة منهم في تروي، وبلغ كثيرمنهم منزلة رفيعة في شامبان، وصار بعضهم أتباعاً وأفصالاً لكونت شامبان والنبلاء من أسرته يديرون لهم إقطاعياتهم.

ولكن النشاط الرئيسي ليهود تروي، كما هو فى كل عصر ومصر، تركز على المال والتجارة، وصناعة الأفكار وبثها.

فأما المال والتجارة فقد كان اليهود يحتكرون التجارة في شامبان ويسيطرون على سوقها، وهو أحد أشهر أسواق أوروبا الإقطاعية وأكبرها.

وأما صناعة الأفكار وبثها، ففي سنة ١٠٧٠م هاجرت جماعة من يهود إسبانيا إلى شامبان واستقرت في تروي بقيادة الربي إسحق الأعمى Isaac The Blind، وهو المشهور باسم الربي راشي Rashi، وفي تروي أسس الربي راشي ثاني مدرسة لتعليم القبالاه أو التراث الشفوي اليهودي فى غرب أوروبا، وهي المدرسة التي عبرت آثارها ممالك الفرانكا كلها وكانت مصدر أفكار القبالاه وطقوسها التي اجتاحت أوروبا في القرون التالية.

وكريتيان دي تروي وملحمته دليل على الترابط بين أسر الفرانكا اليهودية، فرغم أنه كتب ملحمته عن الجريل في شامبان وعرضها في بلاط أسرتها الحاكمة، واسم عاصمتها هو لقبه إلا أنه أهدى ملحمته إلى فيليب دي ألساسي Philipe d' Alsace كونت فلاندرز.

أما لماذا أهدى دي تروي ملحمته لكونت فلاندرز وليس لكونت شامبان الذي يعيش فى بلاطه ويشمله برعايته، فلأن كونت فلاندرز، كما يقول لنكولن ورفاقه ولوماس ونايت، هو مصدر أسطورة الجريل الأول.

ويستدلون على ذلك بملحمة دي تروي نفسها، فقد ذكر دي تروي فى بداية ملحمته

الشعرية أن مصدر قصة الجريل التي صاغ ملحمته حولها هو كونت فلاندرز، وأنه صاغها بناءًا على طلب الكونت، وبرعايته وتشجيعه.

وأما ملحمة دي بورون، فقد ذكر في بدايتها أنه استقاها من كتاب عظيم يحوي الأسرار السامية للجريل Sublime mystries of the Grail.

ويقول لوماس ونايت إنه لا ريب ثَمة مصدر واحد اشترك دي تروي ودي بورون في الأخذ عنه ونقل قصة الجريل منه، وفي الغالب أن هذا المصدر جاء إليهما من الأسر الميروفنجية الحاكمة لمقاطعات الفرانكا، فلم يفعل دي بورن في ملحمته سوى أنه أعاد صياغة ملحمة دي تروي الوثنية بعد أن صبها في قالب مسيحي، بوصلها بصلب المسيح وكأس يوسف الذي من الرامة.

وأما فون إيخنباخ فيقول في ملحمته إن مصدرها يهودي صراحة!

في بداية ملحمته يقول إيخنباخ إن ملحمة دي تروي مليئة بالأخطاء، وأن ملحمته هو تصوِّب هذه الأخطاء لأن مصدرها موثوق ومعلوماتها موثقة.

وملحمة دي تروي وملحمة إيخنباخ كلتاهما ملحمة شعرية روائية تُقدَم في عالم التاريخ باعتبارها عملاً خيالياً يمثل آداب العصور الوسطى، ولا مجال في رواية شعرية خيالية لخطأ ولا صواب، فلا تفسير لعبارة إيخنباخ سوى أن كلاً من دي تروي وإيخنباخ نسج ملحمته التي تبدو أسطورية حول نواة حقيقية لها مصدر يجوز معه التصويب والتخطئة.

وتشترك ملحمة إيخنباخ مع ملحمة دي تروي في صبغتها الوثنية وخلوهما خلواً تاماً من المسيحية ورموزها.

يقول فون إيخنباخ إن مصدر ملحمته وما فيها من معلومات عن الجريل وثيقة وثنية Heathen Script عثر عليها السيد المشهور كيوت Kyot في توليدو Toledo مدفونة بين سجلات أسرة أنجو Anjou ووثائقها.

وأسرة أنجو هي إحدى أسر الملك الإلهي، وكونت أنجو هو أحد فرسان الهيكل.

ويعقب لنكولن ورفاقه على قول إيخنباخ إن توليدو هي المصدر الأول للوثيقة التي تحوى قصة الجريل بأنه يبدو زعماً معقولاً، لأن توليدو كانت في هذا الوقت مركز القبالاه والتراث اليهودي الأول في أوروبا كلها، ومنها انتقلت القبالاه على يد الربي راشي إلى تروي في شامبان، ثم إلى باقي حواضر غرب أوروبا.

فقصة الجريل أو وثيقتها يهودية خرجت هي والقبالاه معاً من توليدو لتستقر في أرض الفرانكا وبين حكامها ذوي النسب اليهودي.

ويقول لنكولن ورفاقه إن كيوت الذي ذكر إيخنباخ أنه عثر على وثيقة الجريل هو يقيناً جيوت دى بروفنس Gyot de Province، وهو شاعر وفارس من فرسان الهيكل كان يعيش في بروفنس واشتهر بأغانيه عن الحب وهجائه للكنيسة الكاثوليكية وتغنيه بالهيكل وفرسانه.

ويقول لنكولن ورفاقه إن جيوت زار ماين Mainz في ألمانيا سنة ١١٨٤م لحضور مهرجان الفروسية والشعر الذي أقامه الإمبراطور الألماني فردريك بارباروسا Fredric Barbarosa واجتمع فيه شعراء أوروبا المقيمون والجوالون، وأن إيخنباخ الألماني لا شك التقى جيوت البروفنسي كما التقى غيره من الشعراء، وربما كان هذا اللقاء هو الذي حصل فيه إيخنباخ على أصل قصة الجريل من جيوت.

ويقول إيخنباخ إن كيوت أخبره أن الذي كتب وثيقة الجريل أوالكأس المقدسة التي عثر عليها فى توليدو هو فليجتانس Flegetanis، وفليجتانس هذا، كما يقول إيخنباخ، كان مشهوراً بفنونه وعلى علم كبير بالطبيعة وعلوم التنجيم واستطلاع النجوم، وقد ولد في عائلة يهودية ونسبه من جهة أمة يمتد في بني إسرائيل إلى سليمان بن داوود، ولكنه من جهة أبيه ينحدر من أسرة وثنية ويعبد كآبائه العجل Calf.

ولم يتطرق لنكولن ورفاقه إلى هوية فليجتانس، مصدر قصة الجريل الإسرائيلي النسب الوثني العقيدة والعبادة، ومن عساه يكون.

لكن يوهانس وبيتر فيباج في كتابهم: معجزة المن والكأس المقدسة وفرسان الهيكل The Manna miracle, The holy grail and the Knights Templar يقولان إن الأوصاف التي وصف بها إيخنباخ فليجتانس هذا في ملحمته تنطبق حرفياً على رجل كان يعيش في عصر سليمان بن داوود وموصوف في سفر الملوك الأول.

فهذا الرجل، كما يقول السفر، ينحدر من جهة أمه من سبط نفتالي Naphtali، ولكن أباه فينيقي Phoenician وثني يعبد الإله بعل Baal في صورة العجل.

ويصف السفر هذا الرجل بوصف فليجتانس نفسه، فهو مملوء بالحكمة والفطنة وعلى قدر كبير من المعرفة بالنجوم وطوالعها وأسرارها.

وهذا الرجل هو حيرام أبيف بنّاء هيكل سليمان!

وحيرام أبيف هو ابن الأرملة، فهذا هو وصفه فى سفر الملوك الأول:

"وأرسل الملك سليمان وأخذ حيرام من صور، وهو ابن امرأة أرملة من سبط نفتالي وأبوه رجل صوري نحاس، وكان ممتلئاً حكمة وفهماً ومعرفة" (الملوك الأول ٧: ١٣-١٤).

وكل ماسوني، تخليداً لحيرام أبيف، هو ابن الأرملة، والماسون جميعاً إخوة في أنهم أبناء الأرملة.

وبرسيفال بطل الجريل وصاحبها يوصف في كل ملاحمها بلا استثناء، دي تروي ودي بورون وإيخنباخ، بأنه ابن الأرملة Son of the widow.

في كتابهم يذكر لنكولن ورفاقه أن ملحمة إيخنباخ تحفل بإشارات عديدة إلى أن الكأس المقدسة ليست خيالاً بل حقيقة، لكنها حقيقة في صورة رمز لإخفاء شئ هائل الآثار فيه، ويقولون إن إيخنباخ رغم إلحاحه بالإشارات على قارئه إلى أهمية الكأس المقدسة أو الجريل إلا أنه كان أكثر تركيزاً على حمايتها والقائمين على حراستها، فلُب ملحمة إيخنباخ هو في الحقيقة الجماعة التي تحرس الجريل وتحميها وتتوارث مع هذه الحراسة والحماية أسرار الجريل وحقيقتها.

ويقول لنكولن ورفاقه إن كل ما أورده إيخنباخ من إشارات عن حماة الجريل يوحي بأنهم أفراد في عائلة واحدة ذات نسب واحد وإن كان لها فروع متعددة ومتفرقة إلى درجة أن بعضها قد يجهل البعض الآخر.

فالجريل أو الكأس المقدسة، أسرارها والحفاظ عليها، مهمة تتوارثها في الملحمة اسرة واحدة، ومن تدعوه الجريل من هذه الأسرة لحمايتها وخدمتها يظهر اسمه ونسبه على حافتها، وما إن يقرأ اسمه ويعرف موقعه من الجريل ونسبه في حمايتها حتى يختفي الاسم والنسب من تلقاء نفسه.

وقد تدعو الجريل أو العائلة التي تقوم على حراستها وحماية أسرارها بعضاً من خارج الأسرة ويتم إطلاعهم على جزء من أسرارها ليكونوا في خدمتها، فإذا صاروا في خدمتها صنعوا بها أعمالاً خالدة وصعدوا إلى سدة العروش، فالجريل وحماتها يصنعون ممن يطلبونه لخدمتها ويطلعونه على بعض سرها الملوك.

وعائلة الجريل القائمة على حراستها وتتوارث أسرارها هي نفسها سر محجوب، لا اطلاع لأحد على هويتها ولا أنسابها وما يربط أفرادها، بل إن إيخنباخ يذكر في نهاية ملحمته أنه يحرم على أي فارس من حماة الكأس المقدسة أن يذكر اسمه أو نسبه أو أن يبيح لأحد أن يسأله عن أصوله وإلا خرج من عائلة الجريل وانتهت صلته بها.

يقول لنكولن ورفاقه إن الفكرة التي تسيطر على ملحمة إيخنباخ ونسجت حولها هي أسرة الجريل الحارسة لها ولأسرارها وسلالتها وأنسابها، وأن هذه الأسرة هي جماعة حقيقية من البشر وجدت تاريخياً وما زالت توجد وليست مجرد عائلة أسطورية في ملحمة قصصية.

ومن التحليل اللغوي لأسماء حماة الجريل التي ذكرها إيخنباخ ومن تعقب أنسابهم يصل لنكولن ورفاقه إلى أن هؤلاء الحماة هم أسرة يهودية أو عدة أسر ذات أصل يهودي واحد.

وفي بعض ما أورده لنكولن ورفاقه من ملحمة إيخنباخ نصوص فاتهم دلالتها على اليهود وتشابهها إلى درجة التناص مع ما في التوراة عن بني إسرائيل.

ففي ملحمة أيخنباخ أن:

" البكر هم المعينون لرعاية الجريل وحمايتها، تلك هي شريعة الإله"

وقداسة البكر واصطفاؤه واختصاصه بالبركة، ووراثته لعهد الإله مع إبراهيم ومع إسرائيل وبنيه قانون التوراة، وحين أراد يعقوب وهو الابن الأصغر لإسحق، أن تكون بركة أبيه وميراثه له بدلاً من أخيه الأكبر عيسو، احتال على أخيه وأغواه بالطعام والشراب حتى تنازل له عن البكورية وباعها له:

"وطبخ يعقوب طبيخاً فأتى عيسو من الحقل وهو قد أعيا، فقال عيسو ليعقوب أطعمني من هذا الأحمر لأني قد أعييت.. فقال يعقوب بعني اليوم بكوريتك، فقال عيسو أنا ماض إلى الموت فلماذا يكون لى بكورية، فقال يعقوب احلف لى اليوم فحلف له فباع بكوريته ليعقوب" (تكوين ٣٥: ٢٩-٣٣).

وفي ملحمة إيخنباخ أن البركة تحل على الأم التي تحمل طفلاً تدعوه الجريل لخدمتها، فهؤلاء الذين تجلبهم الجريل من شتى أنحاء الأرض لخدمتها يرتفع شأنهم في الدنيا ولا ينالهم فيها خزي ولا إثم، فإذا ماتوا كافأهم الإله على خدمتهم للجريل بالنعيم.

وحراس الجريل وحماتها وأهلها مثلها، من يخدمهم ويتودد إليهم فهو في بركة الإله

وحمايته.

ولا شعب ولا قوم ولا فئة في العالم جزءٌ من عقائدهم وتكوينهم أن أمم الأرض كلها جعلت لخدمتهم وأن الملوك في شتى الأعصار والأمصار من غيرهم لا يكونون ملوكاً إلا بهم سوى بني إسرائيل في التوراة:

"أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يُرى، فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك... وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك... ويقف الأجانب ويرعون غنمكم ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم. أما أنتم فتُدعَون كهنة الرب تُسمَون خدام إلهنا تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدها تتأمّرون" (إشعياء ٦١:٥،١٠،٣:٦٠-٦).

وفي ملحمته يصف إيخنباخ أسرة الجريل وحماتها بأنهم:

"مجئ النجوم العالية يجلب لهم الحزن الكبير، للصغير والكبير سواءًا بسواء. غضب الله عليهم دام طويلاً جداً. متى سيقولون للبهجة نعم".

ووصف إيخنباخ لحماة الجريل بالحزن لغضب الإله عليهم، وطول هذا الغضب، وتضرعهم أن يزول غضب الإله ويحل رضاه عليهم يكاد يكون نصاً حرفياً منقولاً بكلماته من مراثي أنبياء السبي في التوراة على ما حاق بشعب إسرائيل من تشتت لغضب الإله، وتضرعهم من أجل رفع نقمته عنهم:

"ها أنت سخطت إذ أخطأنا. هي إلى الأبد فنخلص، وقد صرنا كلنا كنجس، وكثوب عدة كل أعمال برنا، وقد ذبلنا كورقة وآثامنا كريح تحملنا... لأنك حجبت وجهك عنا وأذبتنا بسبب آثامنا. والآن يارب أنت أبونا نحن الطين وأنت جابلنا وكلنا عمل يديك. لا تسخط كل السخط يارب ولا تذكر الإثم إلى الأبد" (إشعياء ٦٤: ٥-٨).

وأما البهجة التي نص عليها إيخنباخ فهي وعد إله التوراة الذي ينتظرون يوم تحققه:

"بهجة أبدية تكون لكم" (إشعياء ٦١: ٧)

بقي في ملحمة إيخنباخ فرسان الهيكل.

نص إيخنباخ في ملحمته على أن فرسان الهيكل في زمنه هم حماة الجريل وحراسها، ويقول لنكولن ورفاقه إن فرسان الهيكل في ملحمة إيخنباخ هم ممن دعتهم الجريل وحماتها لخدمتها، ورفعتهم بخدمتهم لها إلى مقام الملوك.

ففرسان الهيكل طبقاً لتحليل لنكولن ورفاقه لملحمة إيخنباخ:

"يهودية أو واجهة صنعها ويختفي خلفها ويحركها اليهود"

ملاحم الجريل، كما يقول لنكولن ورفاقه، ليست مجرد خيالات رومانسية، بل هي مستودع للأسرار والرموز.

وما وصل إليه لنكولن ورفاقه من تحليل رموز ملاحم الجريل وتتبع أسماء أبطالها وأنسابهم هو نفسه ما أخبر به ميشيل في كتاب: الملك الإلهي هوبكنز ورفاقه، وما وصل إليه لوماس ونايت من تنقيبهم عن أصول الماسونية، وهو هو ما كشفه القرآن من وجود بني إسرائيل عبر التاريخ وتدفقهم في الزمان وصناعتهم لأحداثه وتحريكهم لحوادثه وتوجيههم لمساره دون أن تراهم عين أو تسمع بما يفعلونه أذن.

الجريل الملفقة:

لا خلاف بين من كتبوا عن ملاحم الجريل ممن اطلعوا من خلال الثقوب في الجدار المصمت لعالم سر السر على صلة هذه الملاحم بالقبالاه أو التراث الشفوي اليهودي وما يحويه من أسرار ورموز وشفرات لا يعرف معناها والمقصود بها سوى من عرف صلتها به وأطلعة من اطلع عليها على خفاياها.

اليهود عند كل من حلقوا في ظلام عالم سر السر هم من خرجت منهم هذه الملاحم، بعضها خرج من بلاط أسرهم الحاكمة المتخفية، وبعضها خرج من مراكز القبالاه في أوروبا، كما أنه لاخلاف على أنهم باطن هذه الملاحم ومن تدور حولها، يستوي في ذلك ما اتسم منها بسمات الوثنية وخلا من الرموز الدينية كملحمة دي تروي وإيخنباخ، وما صبغ منها بصبغة المسيحية وصُب في قالبها كملحمة دي بورون، لأن يوسف الذي من الرامة الذي تدور حوله ملاحم الجريل في ثوبها المسيحي ليس سوى يهودي.

ودي بورون ينص في ملحمته على أن جلعاد Galaad فارس الجريل فيها من نسل يوسف الذي من الرامة وأنه تسري فى عروقه الدماء الملكية، لأن يوسف من نسل داوود، ومن سبط الملوك في بني إسرائيل.

والغاية التي تحملها ملحمة دي بورون يهودية، فليست إلا الطعن في الكاثوليكية وزعرعة البابوية، وإحلال اليهود بدلاً من الكنيسة وارثاً للمسيح وسلطته، ووصل المسيح بنسب يهودي يصل إلى داوود لكي يكون من ينحدر من داوود هو الوريث الشرعي للعالم المسيحي وليس الكنيسة.

في كتابهم: الدم المقدس والكأس المقدسة وصل لنكولن ورفاقه إلى أن حماة الجريل أو الكأس المقدسة في ملاحمها أسرة واحدة ذات نسب واحد وتنحدر من سلالة واحدة عن طريق تحليل نص الملاحم لغوياً وتتبع ماورد فيه من إشارات إلى هذه الأسرة ووحدة نسبها واتحاد سلالتها، ثم وصلوا إلى أن هذه الأسرة أو االأسر ذات السلالة الواحدة يهودية عبر تتبع الأسماء وتعقب الأنساب، ثم قفزوا من أن حماة الجريل أسرة واحدة وأنها يهودية، وهو ما يوحي به نص الملاحم فعلاً، إلى أن الجريل هي مريم المجدلية، الوعاء الذي حمل بذرة المسيح، وأن المسيح يوجد في سلسلة نسب الأسر الحارسة للجريل، أو أن دماءه تختلط بدمائها دون بينة ولا برهان واحد، لا من الملاحم ولا من خارجها.

تحت عنوان: فرضيتنا Our Hypothsis يفترض المؤلفون الماسون لكتاب الدم المقدس أن الأسرة اليهودية ذات النسب الواحد، حماة الجريل، ربما كانت تنحدر من سلالة المسيح:

"ربما كانت الكأس المقدسة هي سلالة السيد المسيح وأحفاده، سلالة الدم الملكي التي أسست دير صهيون وفرسان الهيكل لتكون حماية لها".

ثم يفترض المؤلفون الماسون بناءًا على الفرضية الأولى أن الكأس المقدسة ربما كانت مريم المجدلية:

"ربما كانت الكأس المقدسة هي الوعاء الذي حمل دم المسيح وحفظه، ربما كانت الكأس المقدسة هي رحم مريم المجدلية".

ثم كان دليلهم الوحيد على هذه الفرضيات إقامة نظرية عن زواج المسيح وعن نسله عمادها الأوحد متوالية من الفرضيات وسلسلة من "الربمات" يفضي كل منها للآخر دون أي سند لغوي ولا برهان تاريخي ولا منطق عقلي لأي منها:

"ربما كانت مريم المجدلية في الحقيقة زوجاً للمسيح... وربما أثمر زواجهما نسلاً... وربما هربت بعد الصلب إلى بلاد الغال ومعها طفل منه... ربما وجدت لها مأوى بين الجماعات اليهودية المستقرة هناك... ربما كانت هناك سلالة انحدرت من المسيح.. ربما هذه السلالة، الدم المقدس، أخفت نفسها لتحافظ على وجودها... وربما تزاوجت مع الروم والقوط الغربيين، وبذلك نشأت السلالة الميروفنجية... ربما كان هذا هو السبب في خفاء أصول جودفروا دي بويون الملك الذي وصل إلى عرش أورشليم، وما يدور حول نسبه

من أساطير... ربما كان الشئ الذي أرسل فرسان الهيكل إلى أورشليم من أجل العثور عليه والعودة به هو وثائق تثبت زواج المسيح أو تحوي سلالته ونسب أولاده".

لادليل ولا برهان سوى:

"ربما... ربما... ربما Perhaps... perhaps ... perhaps"

والتُكأة التي اتكأ عليها لنكولن ورفاقه لدق مسمار الفرضيات التي افترضوها في رؤوس قرائهم ولغسلها بشلال ربما الذي أطلقوه عليها هي اهتزاز نصوص الأناجيل الرسمية المكونة للمسيحية وما تثيره من اضطراب، فقد أفاضوا في بيان أن الأناجيل التي قامت عليها المسيحية على ما هى عليه وعرفها العالم به ليست نصوصاً مقدسة، بل نصوص تاريخية تقدم رواية أو وجهة نظر عن شخص المسيح والأحداث التي عاشها وشهدها، وأن اختيار هذه الأناجيل لتكون الرواية الرسمية للكنيسة وإشاعة أنها كتب مقدسة كان أثراً من آثار إندماج الكنيسة الكاثوليكية في الإمبراطورية الرومانية.

ومن أجل إثبات ذلك قدم المؤلفون الماسون نصوصاً من الأناجيل الرسمية الأربعة يناقض بعضها بعضاً، وأتوا بروايات مختلفة لبعض الجوانب من حياة المسيح وما عاشه من أحداث، بعضها من الأناجيل غير المعتمدة، كإنجيل فيليب وإنجيل المجدلية، وبعضها الآخر من مخطوطات قُمران ومخطوطات نجع حمادي.

حتى إذا نسفوا قداسة نصوص المسيحية ومرجعيتها في أذهان أهلها وصيروها رواية تاريخية، وأوقفوا من يقرأ في العراء، وصار ذهنه ونفسه فراغاً من عقائده وخِلْوا من تاريخه، تصفر فيهما الرياح حركوه بالفرضيات يميناً ويساراً وأماماً وخلفاً، وأداروه حول نفسه، حتى إذا غاب وعيه غياباً تاماً صار كل شئ جائزاً ومقبولاً.

فلأن الأناجيل رواية تاريخية عن المسيح، فكل شئ حدث يحتمل أنه لم يحدث، وكل شئ لم يحدث يمكن افتراض أنه حدث، وكل شئ حدث على وجه ربما يكون قد حدث على نقيضه.

المؤلفون الماسون وظفوا عوار نصوص الأناجيل وتضارب رواياتها وغموض مصدرها وخفاء سندها من أجل نسف ما تحمله من عقيدة وتاريخ في أذهان أتباع المسيحية ونفوسهم وحرثها، تمهيداً للبذور التي يريدون إلقاءها فيها، وقد صارت أرضاً خصبة مهيأة لاستقبالها.

الفحوى الحقيقية للفرضيات التي أطلقها الماسون في ذهن الغرب هي وجود نزاع في حياة المسيح وبعدها بين السلالة الملكية المقدسة التي انحدر منها وتنحدر منه وبين أتباع الرسالة التي اختلقتها الكنيسة والإمبراطورية وحولت حياة المسيح إليها.

وهو ما نص عليه لنكولن ورفاقه صراحة:

"المسيحية كما نشأت عبر قرونها الأولى، وكما وصلت إلينا اليوم من إنتاج أتباع الرسالة، وأتباع الرسالة هم الذين انتصروا في النهاية ليشكلوا هم الحضارة الغربية... أصبح وجود السلالة يشكل تهديدا خطيراً للأسطورة ولمن أقاموها، وتتوقف سلطتهم وعالمهم عليها. وجود السلالة يمكن أن ينسف الأسطورة... وهكذا في الأيام المسيحية الأولى تَوجَّب محو كل ذكر لعائلة نبيلة أو عائلة مالكة أو علم أنساب أو سلالة".

وما يريده ماسون كتاب الدم المقدس والكأس المقدسة، وما فرعوا فرضيات زواج المسيح ونسله من الجريل وملاحمها ومن الأسر اليهودية التي تدور حولها من أجله، هو إزاحة الرسالة وإعادة السلالة.

غاية المؤلفين الماسون الحقيقية هي تحويل المسيحية من عقيدة وديانة إلى رابطة دم وسلالة، لأن هذا التحويل يطيح بالكنيسة الكاثوليكية مصدراً للمسيحية وفهم رسالة المسيح ليحل محلها اليهود رافداً وعمقاً ومصدراً للأفكار، إذ الكنيسة هي الرسالة واليهود هم السلالة.

فكما يقول لنكولن ورفاقه: المسيح، كما ينص إنجيل متى، من نسل داوود:

" كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داوود بن إبراهيم " (متى ١ : ١).

ومريم المجدلية من سبط بنيامين، فالنسل من هذا الزواج تمتزج فيه دماء بني إسرائيل المقدسة.

والنسل المنحدر من بني إسرائيل حقيقة، أما أسطورة انحداره من المسيح فغايتها تمهيد الذهن المسيحي لاستقبال ملك ينحدر من هذا النسل يحكم الغرب ثم العالم كله حكماً مقدساً عبر وضع المسيح في نسبه وأنساب السلالة التي ينحدر منها.

الغاية الحقيقية والهدف من وراء الأسطورة وكتاب لنكولن ورفاقه وشفرة دافنشي هي تلك التي أفصح عنها المؤلفون الماسون في خاتمة كتابهم التي جعلوا عنوانها: استشراف المستقبل:

"لا نستطيع الإشارة إلى رجل ما ونصرح بأنه سليل مباشر من المسيح... هناك عشرات العائلات في بريطانيا وأوروبا اليوم لها فروع جانبية عديدة من نسب الأسرة الميروفنجية... هذه العائلات تتضمن آل هابسبورج، وآل بلانتار، وآل لوكسمبورج، وآل سنكلير، وآل مونتبيزات، وآل لورين، وآل مونتسكيو، كل هذه العائلات بإمكانها أن تدعي انتسابها للمسيح. وإن كان رجل ما سيأتي في وقت ما من المستقبل ليكون الملك الكاهن الجديد فإننا لا نعرف من سيكون".

غاية الأسطورة وكل ما تم تلفيقه حولها هو إفساح الطريق أمام ملك يهودي يحكم العالم من نسل داوود!

الجريل اليهودية:

إذا كانت ملاحم الجريل يهودية خرجت من القبالاه كما ذكر كل من تناولها بالفحص في عالم سر السر، وكما ذكر لنكولن ورفاقه أنفسهم، وإذا كانت الأسر الحارسة لها ليست سوى سلالة يهودية، وإذا لم تكن رحم مريم المجدلية سوى تلفيق لفقه الماسون، فماذا تكون؟

الذي أتم استخدام منهج لنكولن ورفاقه في تحديد ماهية الجريل عن طريق تحليل ملاحمها ومقارنة نصوصها، وبما يتناسق مع الروح اليهودية للملاحم وما حفلت به من تراث القبالاه هو كتاب: معجزة المن والكأس المقدسة وفرسان الهيكل ولغز جزيرة أواك الذى قام فيه مؤلفاه يوهانس وبيتر فيباج بتحليل النص الأصلي للملحمة فون إيخنباخ ومقارنته بالتراث اليهودي.

يقول الأخوان فيباج إن الجريل في ملحمة إيخنباخ اسمها:

Lapsit Exillis

وهي عبارة تُرجمت في أغلب ترجمات الملحمة وشروحها إلى:

حجر من السماء

وذلك بافتراض أن Lapsit هي تحريف لكلمة Lapis، أي: حجر، وExilles هي كتابة محرفة لكلمة Caelis التي تعني السماء.

ويقول الأخوان فيباج إن الاسم الذي أطلقه إيخنباخ على الجريل ونقله من دونوا الملحمة يحتمل أن يكون تحريفاً لعبارة أخرى لها نفس النطق وهى عبارة:

Lopsit Excaelis

والتي تعني حرفياً سقط من السماء، أو أتى من السماء فقط، دون تحديد لماهية هذا الذي أتى من السماء، وهذا المعنى هو الأقرب للصواب في تفسير الاسم الذي أطلقه إيخنباخ على الجريل، ويؤكده ما ذكره إيخنباخ نفسه على لسان فليجتانس الوثني في ملحمته من أنه طالع الجريل في النجوم، وأنه رأى جمعاً من الملائكة يحرسونه ويهبطون به من السماء إلى الأرض، ليسلموه إلى رجال أشراف لتكون حمايته وحراسته مهمتهم.

ويتفق الأخوان فيباج مع لنكولن ورفاقه من الماسون في أن هؤلاء الرجال المقدسين، السلالة التي نيط بها استقبال الجريل من السماء وحمايته في الأرض، هم اليهود، ولكنهم يفترضون فرضية غير فرضية ربيا، برهانها مقارنة ما أورده إيخنباخ في ملحمته من صفات الجريل وأصلها ووظيفتها وآثارها مع نصوص التلمود والقبالاه.

يقول الأخوان فيباج إن الأوصاف التي وصف بها إيخنباخ الجريل ينطبق بعضها انطباقاً تاماً على أوصاف وسيلة تكوين المن الموصوفة في سفر زوهار Zohar في التلمود، واسمها فيه: Othig Yomin، والتي تعني المستودع القابل للنقل The transportable one of tanks.

ووسيلة تكوين المن هي التي أنزلها الإله من السماء على بني إسرائيل في تيه سيناء لإطعامهم وإنقاذهم من الهلاك جوعاً وعطشاً.

يصف سفر زوهار في التلمود وسيلة تكوين المن النازلة من السماء بأنها:

"من أجل أشراف العالم أتت لتطعمهم... وإن الإله قال لهم: انظروا، سوف أصنع لكم خبزاً من السماء وأمطره عليكم... الإله يطعمكم من طل السماء".

وهذه هي نفسها أوصاف الجريل في ملحمة إيخنباخ، ففيها أن:

"مئات الصناديد Squires تناولوا الخبز بكل توقير ووقار من الجريل بمناديل بيضاء، وقد أخبروني، وها أنذا أخبركم أنه ما إن يضع أحدهم يده على الجريل حتى تمنحه طعاماً دافئاً، لأن الجريل أنزلت من أجل الأشخاص المباركين لكي تهبهم طعاماً شهياً يجمع كل ما في الأرض من حلاوة، ككل ما يأتي من مملكة السماء".

ويوجز الأخوان فيباج وجوه الشبه بين مصدر المن في سفر زوهار وبين الجريل في ملحمة إيخنباخ في أن كلاً منهما أنزل من السماء، وأن الملائكة هي التي أنزلته، وكلاً منهما

أنزل إلى فئة محددة تحمل صفة واحدة، وأوكلت إليهم مهمة حفظه والقيام عليه وحمايته، فالمن أنزل في سفر زوهار من أجل الرجال المستقيمين في العالم والجريل فى الملحمة أنزلت من أجل الرجال المباركين، وكل من وسيلة تكوين المن والجريل هي وسيلة للإطعام، والطعام الذي تنتجه كل منهما واحد، وهو الخبز الحلو أو الفطائر الشهية.

ومن مقارنتهما بين أوصاف وسيلة تكوين المن في سفر زوهار وبين أوصاف الجريل عند إيخنباخ يصل الأخوان فيباج إلى أن المن والجريل ليسا سوى اسمين لشئ واحد.

ويقول الأخوان فيباج إن الشئ الثاني الذى تنطبق عليه بعض أوصاف الجريل هو الشخيناه Shekhinah الموصوفة في التلمود، والشخيناه تعني حرفياً، كما يقولان، مثوى الطمأنينة ومحل تنزل السكينة.

والشخيناه في التلمود والتراث اليهودي، كما يقول إيه. هاوك A.Hauck، هي كناية عن وجود الإله بين البشر، ووعيهم به، وما يجلبه هذا الوجود والوعي من قرار وطمأنينة.

وفي التلمود أن الشخيناه شئ مادي Material object، وأن لها وجهاً، وأن من يتلقاه أو يضع يده عليه تطهر نفسه، وتتنزل عليه السكينة، ويلازمه فى الأرض الرضا والسعادة.

ويقول عالم الأديان اليهودى شوليم Scholem إن الشخيناه مذكورة في عدة أماكن من سفر بحير Bahir في التوراة العبرية، وتوصف فيه بأنها حجر نفيس Precious stone، أو لؤلؤة Pearl، وهذه هي نفسها أوصاف الجريل في ملحمة إيخنباخ، فهي حجر أو لؤلؤة، وهي تجلب لمن يصل إليها الكمال، ومن يقومون على حمايتها يتطهرون من الآثام وتتنزل عليهم الطمأنينة والسعادة في الأرض، وينالون النعيم عندما تنتهي آجالهم وينتقلون منها إلى السماء.

مرة أخرى، كما يقول إتش كولب H. Kolb، يبدو أن الجريل ليس سوى اسم رمزي للشخيناه.

وأما ما يجمع بين المن والشخيناه وتجتمع فيه أوصاف الجريل كلها فهو تابوت العهد!

فوسيلة تكوين المن كانت محفوظة في تابوت العهد، والشخيناه هي الأخرى، كما يقول هاوك، مرتبطة بتابوت العهد، فهي لا تحل إلا به وفيه.

وتابوت العهد كان يحفظ في خيمة العهد أو الاجتماع Tabernacle إلى أن بنى داوود وسليمان الهيكل، فأصبح مستقره في قدس الأقداس من الهيكل لا يصل إليه ولا يراه إلا

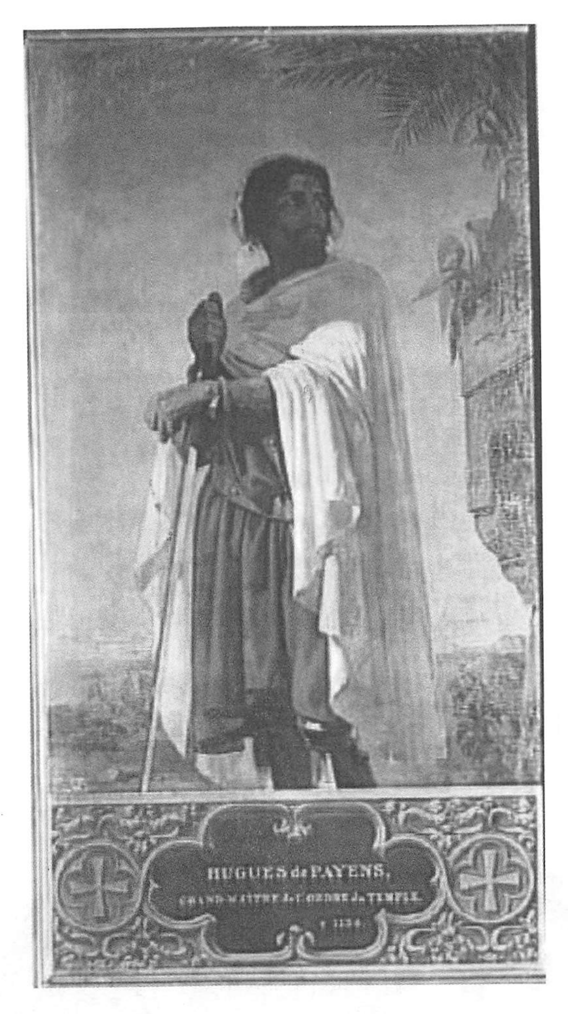
كبار الأحبار من رؤساء كهنة الهيكل.

وآخر ذكر لتابوت العهد في التوراة العبرية في سفر المكابيين Maccabees، وفيه أن النبي إرميا أخفى التابوت قبل أن تسقط أورشليم في يد البابليين في جبل نيبو Nebo، وكان ذلك سنة ٥٧٨ قبل الميلاد تقريباً.

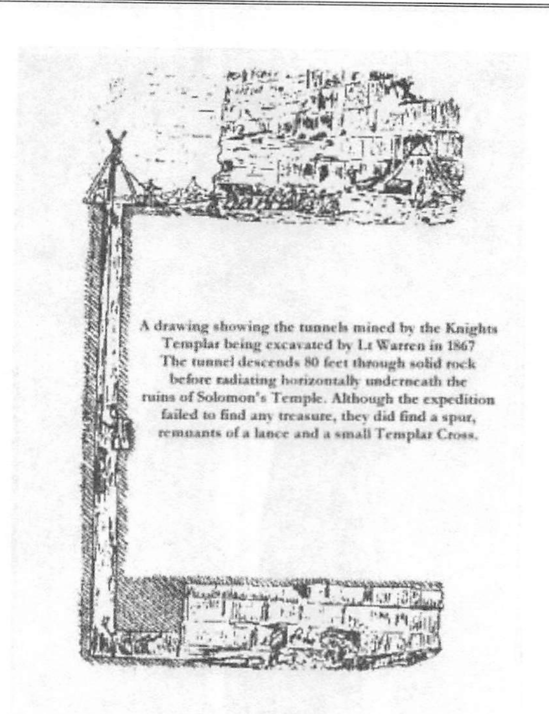
وبعد ذلك لا ذكر لتابوت العهد في التوراة، ولا لمصيره أو أين ذهب.

فالجريل التي تتغنى بها ملاحمها ويسعى بطلها لاستعادتها ليست سوى تابوت عهد الإله مع بني إسرائيل الذي فقدوه مع السبي البابلي.

ملحق الصور



١- هوج دي بايان مؤسس منظمة فرسان الهيكل، لوحة للرسام الفرنسي هنري ليمان Henry Lehmann



٢- مخطط لأحد الأنفاق التي حفرها فرسان الهيكل واكتشفها الكابتن وارين



٣- شعار منظمة فرسان الهيكل: فارسان على فرس واحد رمز الفقر والصليب الأحمر



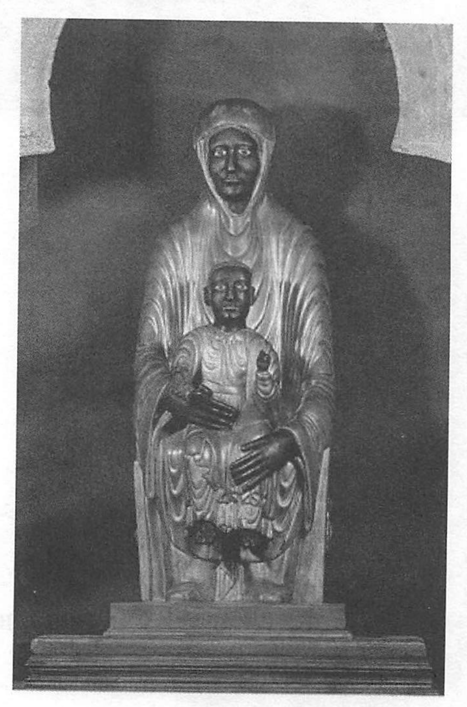
٤- كنيسة الهيكل في لندن



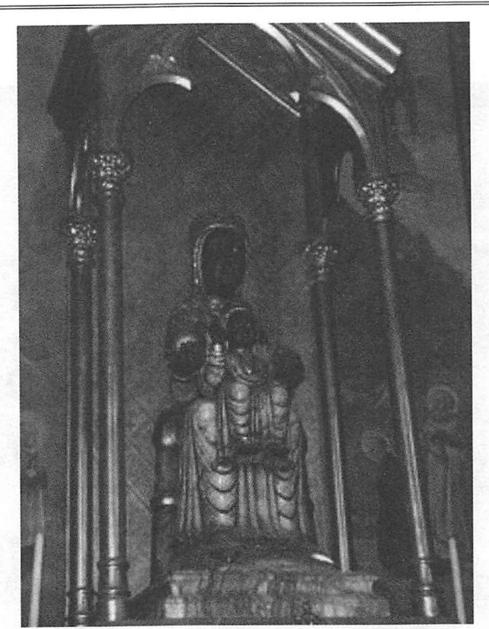
٥- جاك دي مولاي آخر أستاذ أعظم لمنظمة فرسان الهيكل، لوحة للرسام الفرنسي كيفوشيه Chevauchet



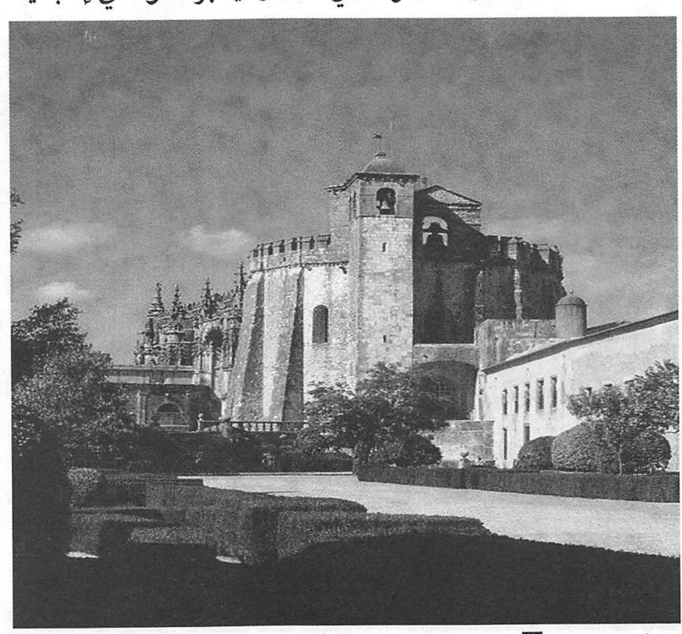
٦- العذراء ووليدها، وإيزيس وحورس



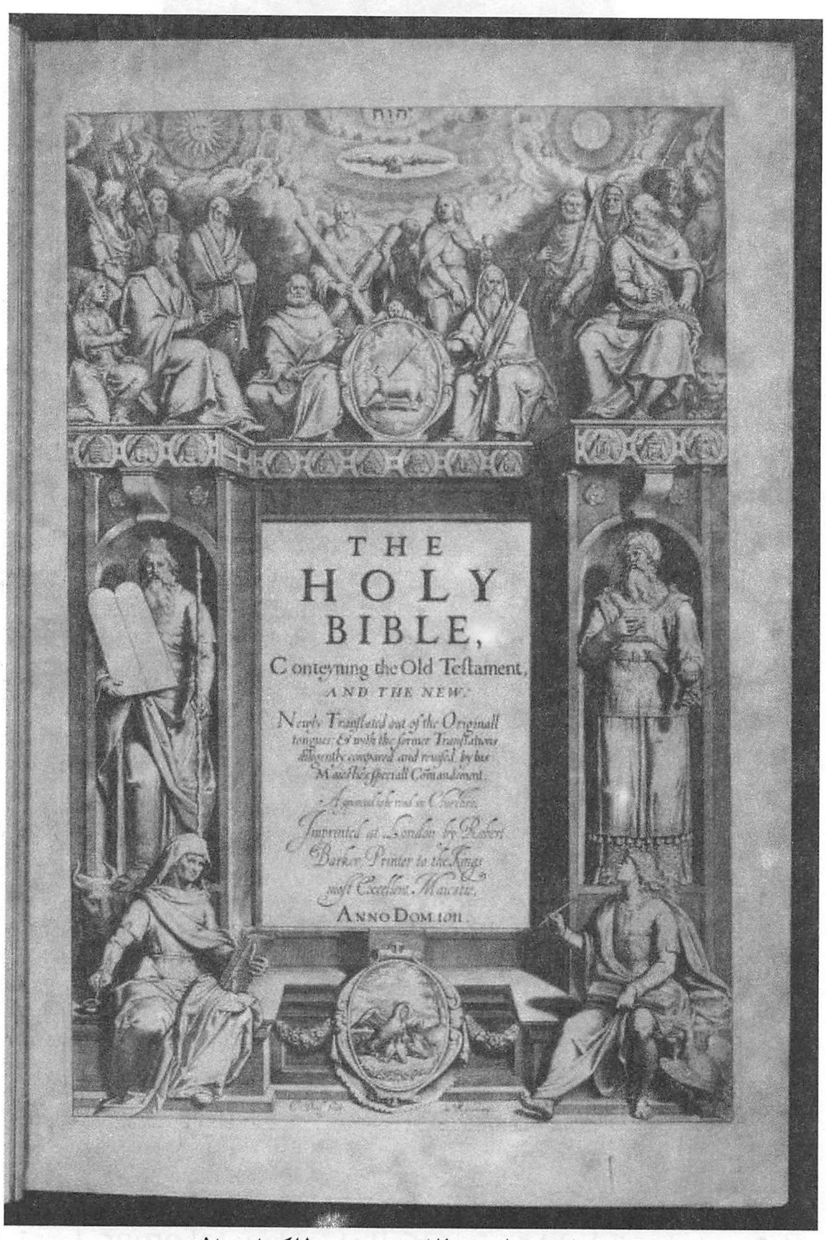
٧- تمثال العذراء السوداء في كاتدرائية كليرمون جنوب فرنسا



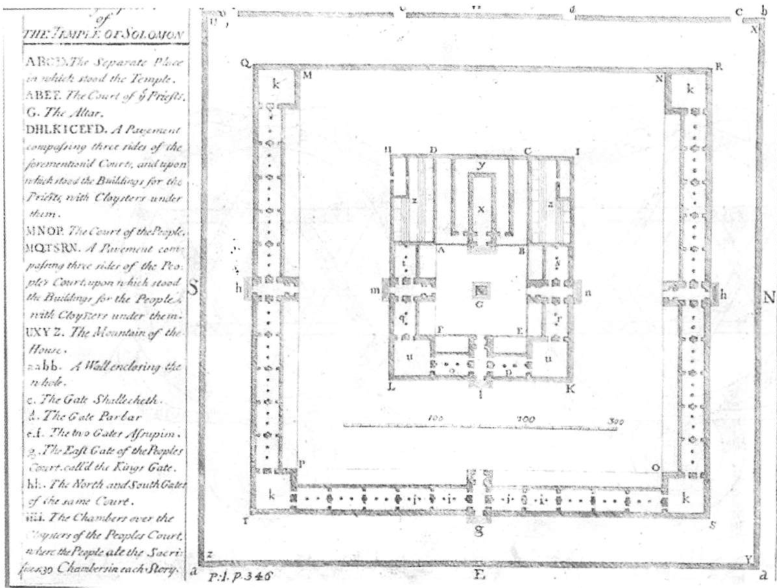
٨- تمثال العذراء السوداء في كاتدرائية برشلونه في إسبانيا



٩- قلعة تومار Tomar شيدها فرسان الهيكل سنة ١١٦٠م لتكون إحدى مقراتهم في البرتغال، ثم صارت مقر قيادة المنظمة بعد تغيير اسمها إلى منظمة فرسان المسيح



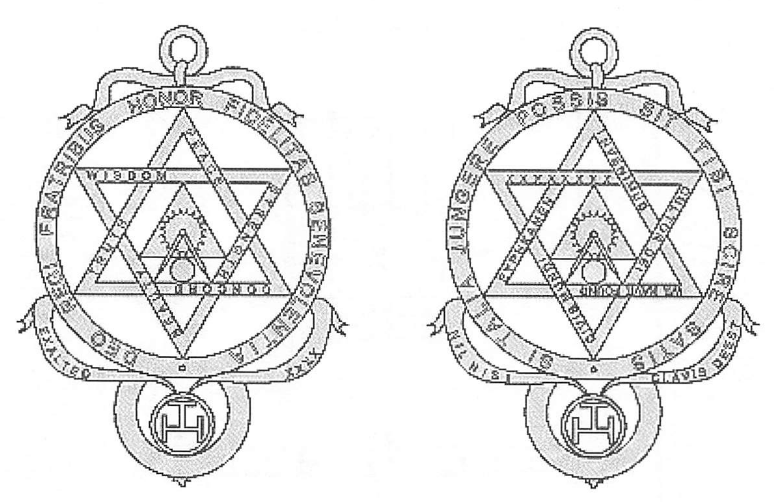
١٠- غلاف طبعة الملك جيمس للكتاب المقدس



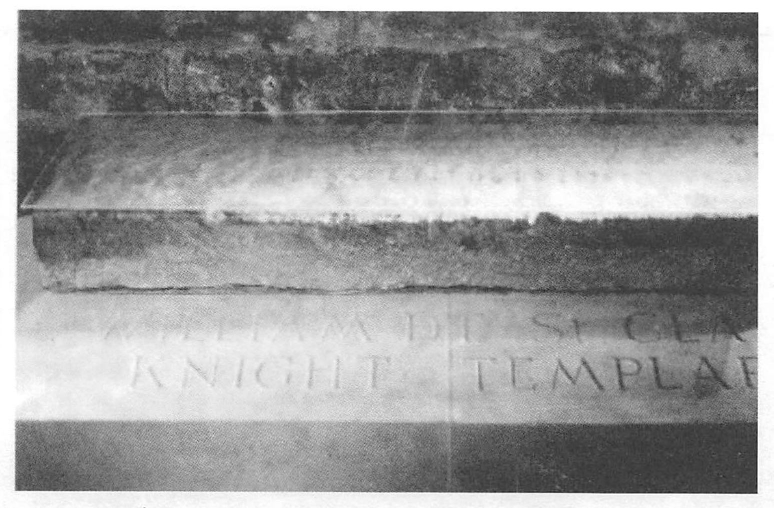
١١ - صفحة ٣٤٦ من الطبعة الأولى من كتاب تواريخ الممالك القديمة الصادرة سنة ١٧٢٨م، وفيها اللوحة الأولى من ثلاث لوحات رسمها إسحق نيوتن بيده لمخطط هيكل سليمان طبقاً لوصفه في سفر حزقيال



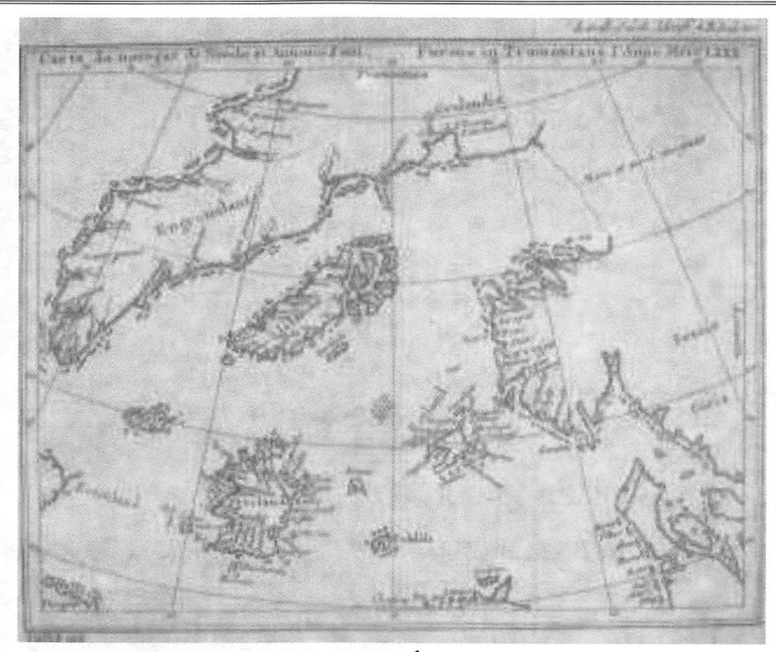
١٢ - كنيسة روزلين في إدنبرَه في اسكتلندا



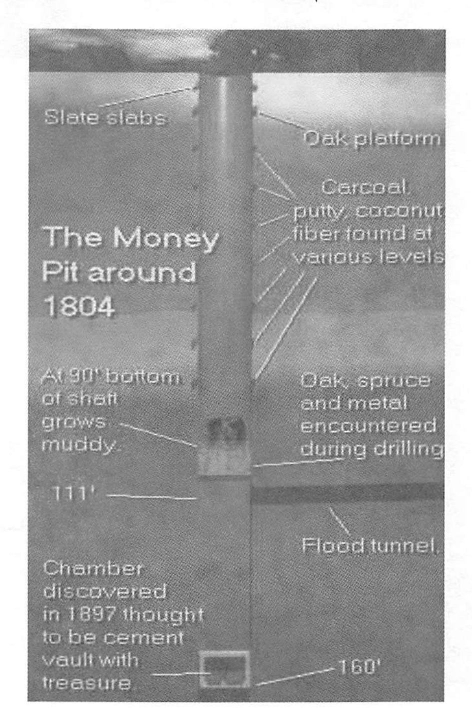
١٣- القلادة التي يرتديها الماسون من درجة عقد سليمان الملكي عند الاجتماع



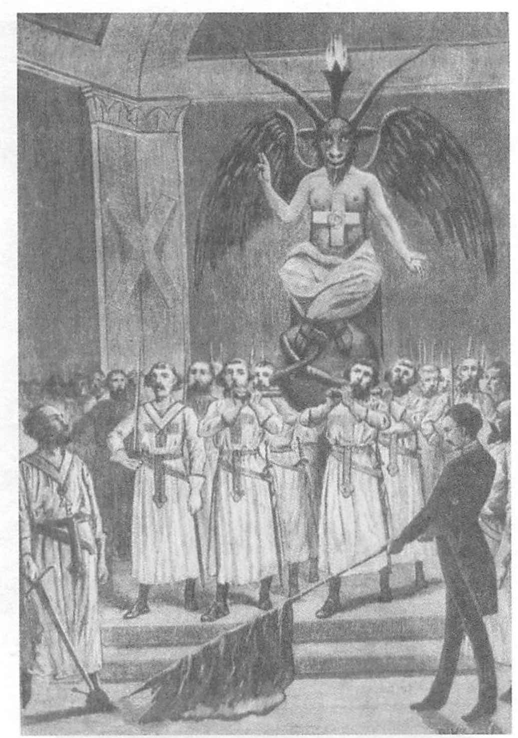
١٤- شاهد قبر وليم سنكلير في كنيسة روزلين منقوش عليه أنه فارس الهيكل



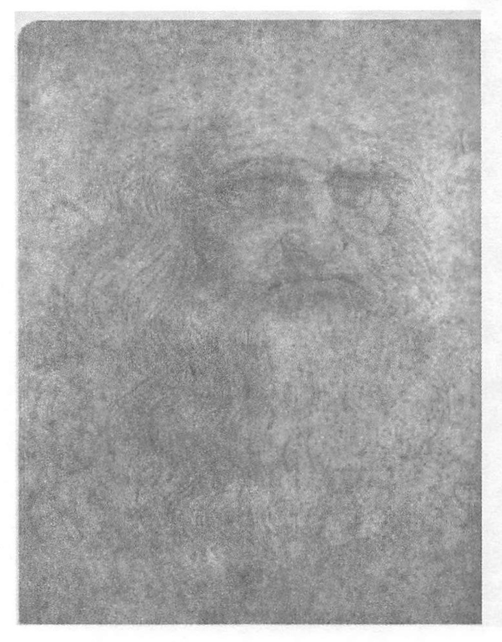
١٥- خريطة الأخوين زينو للعالم الجديد



١٦- حفرة المال في اسكتلندا الجديدة



١٧- الماسون يؤدون طقوس العبادة لبافوميت، لوحة رسمها الماسوني والساحر إليفاس ليفي في كتابه: عقائد السحر الأعلى وطقوسه



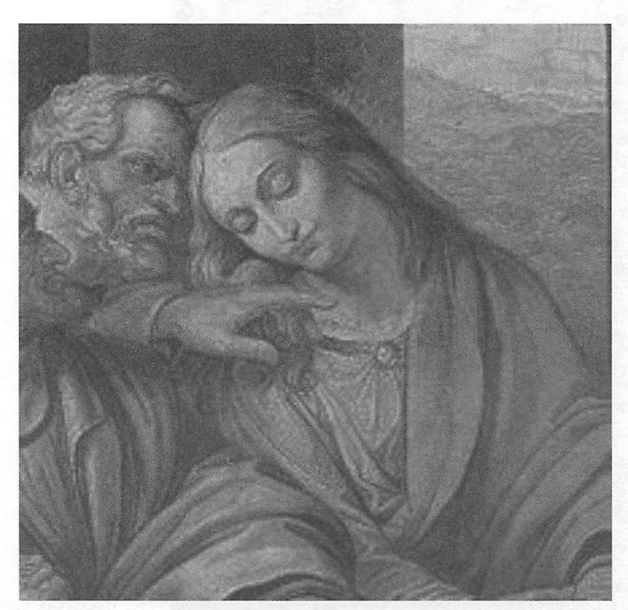
١٨- ليوناردو دافنشي، بورتريه رسمه لنفسه سنة ١٥١٣م



١٩- لوحة يوحنا المعمدان لدافنشي



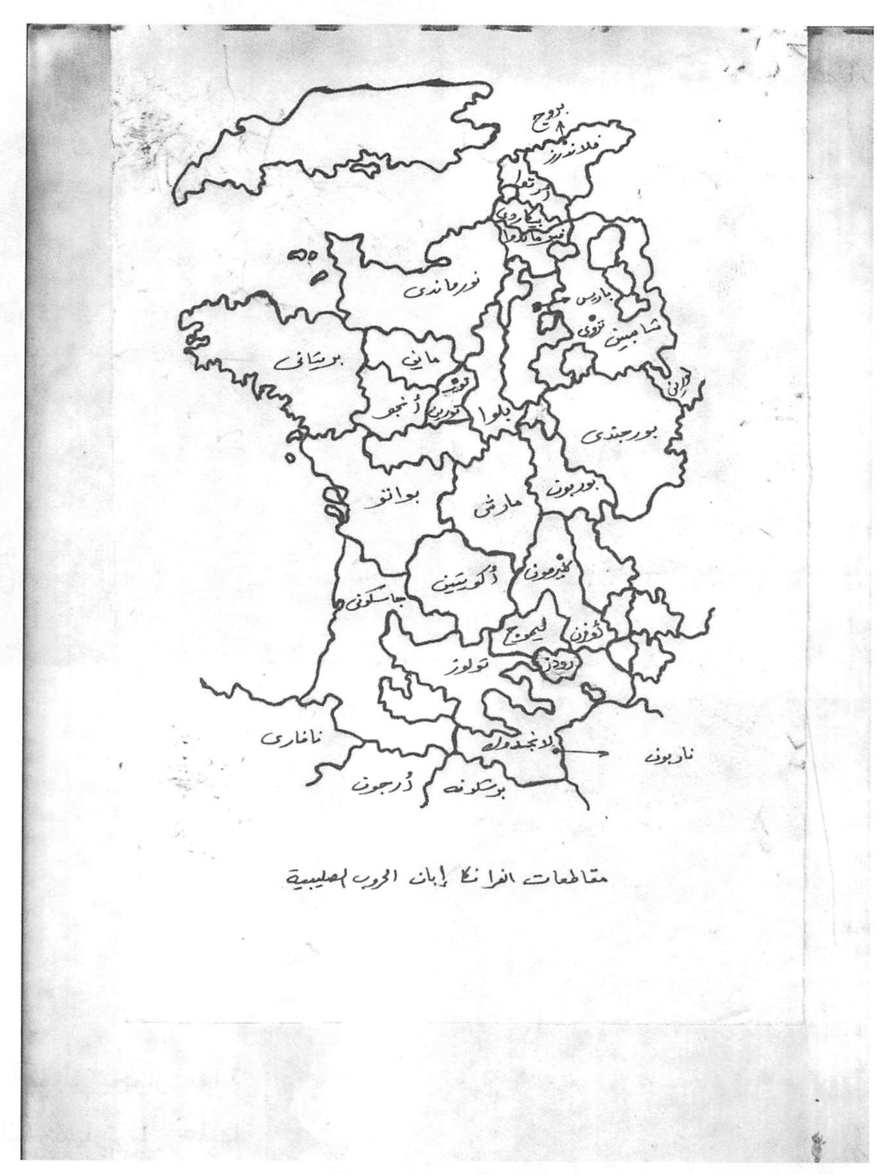
٢٠- لوحة العشاء الأخير لدافنشي



٢١- يد تذبح



٢٢- الخنجر



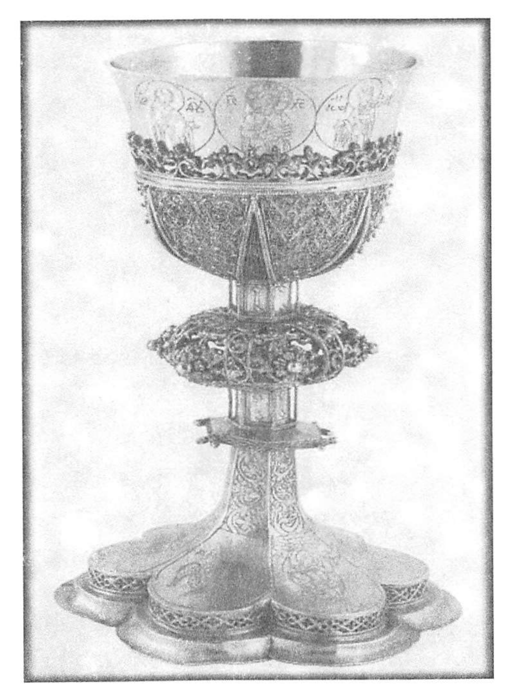
٢٣- مقاطعات الفرانكا إبَّان الحروب الصليبية



٢٤- البابا أُربان الثاني في كليرمون يعلن شن الحملة الصليبية بإرادة الرب



٢٥- أعمدة بجوار بوابة كاتدرائية تشارترس عليها نقش يصور فرسان الهيكل ينقلون تابوت العهد إلى أوروبا



٢٦- الكأس المحفوظة في كاتدرائية فالنسيا في إسبانيا، والتي يشيع في بعض الروايات الكاثوليكية أنها الكأس التي شرب بها المسيح في العشاء الأخير

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم:

الوحي المعصوم وبيان الإله الخاتم إلى خلقه.

ثانياً: المصادر العربية:

١- أحمد دراج، دكتور: وثائق دير صهيون بالقدس الشريف، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٨م.

٢- بهاء الأمير، دكتور: الوحي ونقيضه، مكتبة مدبولى ٢٠٠٦م.

٣- بهاء الدين بن شداد، القاضي: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق دكتور جمال الدين الشيال، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤م.

٤- تيودور هرتزل: الدولة اليهودية، ترجمة محمد يوسف عدس، دار الزهراء للنشر ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٥- جمال الدين محمد بن واصل، المؤرخ: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، حققه وعلق حواشيه وقدم له دكتور جمال الدين الشيال، مطبوعات دار إحياء التراث القديم، وزارة التربية والتعليم المصرية،المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥٧م.

٦- دار الكتب المقدس في الشرق الأوسط، الكتاب المقدس ١٩٩٥م.

٧- دان براون: شفرة دافنشي، ترجمة سيما عبد ربه، الدار العربية للعلوم ٢٠٠٤م.

٨- سيرج سونرون وجان يويون وأ. س إدواردز وف. ل. ليونيه: معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة أمين سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م.

٩- محمد حرب عبد الحميد، دكتور: العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية وأبحاث العالم التركي، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

١٠-محمد عبد الله عنان، المؤرخ: تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، دار الهلال ١٩٢٥م.

١١-محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١م.

١٢- مصطفى طوران، المؤرخ: يهود الدونمه، ترجمة: كمال خوجة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة ١٩٨٩م.

١٣- ميشيل بيجنت وريتشارد لي وهنري لنكولن: الدم المقدس والكأس المقدسة، ترجمة وتعليق محمد الواكد، الأوائل للنشر والتوزيع، ط ١،دمشق ٢٠٠٦م.

١٤- هدى درويش، دكتورة: حقيقة يهود الدونمه في تركيا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

١٥-ول ديورانت، المؤرخ: قصة الحضارة، أجزاء مختلفة وسنوات مختلفة، طبعة الجامعة العربية.

ثالثاً: الموسوعات:

1- The Catholic Encyclopedia, An International work of reference on the constitution, doctrine, discipline and history of the Catholic Churche, Encycloedia Press, 1913.

2- The Encyclopedia of freemasonary and kindred sciences: Albert Mc Key 33, published by The Masonic History Company, Chicago, Toronto, New York, London, 1929.

3- The Jewish Encyclopedia, Funk and Wagnells, New York, 1906.

4- The New Encyclopedia Britannica, Britannica, Jnc., Printed in USA, 1988.

5- Wikipedia, The free encyclopedia. Wikipedia.org.

رابعاً: الكتب الأجنبية:

1- Abram Leon: The Jewish Question, Ediciones Pioneers, Mexico City, 1950.

2- Alban Butler: The Lives of the Saints, New York, Cincinnaty, Chicago, Ben Ziger brothers, Printed for the Holy Apostlic See, 1894.

3- Albert Mc Key: The Symbolism of Freemasonry, Supreme

Council of the thirty third degree, Charleston, 1882.

4- Albert Pike: Morals and dogma of the Ancient and Accepted Scottish Rite of Freemasonry, published by the authority of The Supreme Council of the thirty third degree, Charleston, 1871.

5- Arthur Edward Wait: The Real history of the Rossicrucian, George Redway, London, 1887.

6- Charles G. Addison:The history of the Knights Templar, Longman, Brown Green, London, 1842.

7- Charles William Hechethron: The secret societies of all ages and countries, George Redway, London,1897.

8- Dan Burnstein (Editor): The secrets of the Da Vinci code, US News and World Report Inc.,USA,Copyright, 2004.

9- David Icke: The secret history of America,The greatest conspiracy on the earth, E.book.

10- David Living stone: Terrorism and the Illuminati, E.book.

11- Edith Star Miller: Occult Theocracy, Munumental expose of secret societies, published posthumously for private circulation only, Reprinted by The Christian Book Club of America,1967.

12- Esther Ben Bassa: The Jews of France, A history from the antiquity to the present,Traslated from French by M.B. De Bevois, Princeton University Press, 1999.

13- Jim mars: Rule by secrecy, E.book.

14- Fritz Springemier: The blood lines of the illuminati, Ambassador House,1998.

15- John J. Robinson, Born in blood, The lost secres of

Freemosonry, M. Evans and Company, Inc., New York, copyright, 1989.

16- Juri lina: Archetects of deception, The concealed history of Freemasonry, Referent Publishing, 2004.

17- Isaac Newton: The chronology of ancient kingdoms, Amanded to which is prefix, A short chronicle from the first memory of things in Europ to the conqur of Persia by Alexander The Great, printed for T. Tomson, T. Osborn, and T. Longman, and sold by Alexander Symmer and William Monro, Booksellers in Edinburgh, MDCCXXVIII.

18- Lynn picknet and Clive prince: The Templar revelation, The secret guardians of the identity of he Christ, Touchstone Publishing, London, 1999.

19- Manly Palmar Hall: The lost keys of Freemasonry, Macoy Publishing and Masonic Supply Company Inc., Richmond, Virginia, 1976.

20- M.p. Hall: The secret teachings of all ages, H.S. Crocker Company, Inc., San Francisco, 1928.

21- Marylin Hopkins, Graham Simmans and Tim Wallace Murphy: Rex Deus, The true mysteries of Renne Le Chateau and the dynasty of Jesus, Element Books, 2000.

22- Maurice Pinnay: The plot against the churche, St. Anthony Press, Los Angeles, California, February, 1967.

23- Michael Beignet, Richard Leigh and Henry Lincolin: The holy blood and the holy Grail, Jonathan Cape, London, 1982.

24- Michael Bradly: The holy grail across the Atlantic, The secret history of the canadian discovery and exploration,

Houn Slow Press, London, 1988.
25- Nesta Webster: Secret societies and submersive movements, Boswell Publishing Co., Lltd, London, 1924.
26- Robert Lomas and Christopher Knight: The Hiram key, Pharaos, Freemasonry and discovery of the secret scrolls of Jesus, Century Books, London, 1996.
27- Robert Lomas and Christopher Knight: The second Messia, Templars, the Turin shroud and the great secret of Freemasonry, Element Books ltd., United Kingdom, 1998.
28-Steven Sora: Secret socities of America, Elite from Knights Templar to skull and Bones, Desting Books, USA, February, 2003.
29- The King James version of the Holy Bible.
30- Thomas Keightly: Secret socities of the middle ages, charles Knight and Co., London, 1837.
31- William Preston: Illustrations of Masonary, seventh edition, published by George Oliver, Nottingham, August, 1869.

خامساً: دراسات مطبوعة:

1- American Free Press: Bilderberg, its long and secret history, May19, 2004.
2- Board Preview: Unlocking Davinci's code, the full story, National Geogrophic, December17, 2009.
3- Will Hutton: Kinder capalists in Armani specs, The Observer Sunday, February1, 1998.
4- Jhon Maynard keynes: Newton the man, Lecture in The Royal Society, 1946.

سادساً: دراسات منشورة على الإنترنت وغير مطبوعة:

1- Allen Heart: Bohemian Grove: Hell fire in fores.
2- Alex Jones: The dark secrets of the Bohemian Grove.
3- Barbara Aho: The cult of the Black Virgin
4- Barbara Aho: The Myrovingian Dynasty.
5- Barry Albin: Judaism and Freemasonry.
6- Carl E. Olson: The Davinci code's sources.
7- G. C.H. Nullens: Mysteries of the Templars.
8- H. S. Pete Cummings: Guide to Sinclair landmark.
9- Jhon Torell: How the world govermment contral the mations.
10- John Presco: The Habsburg code and the Frisian crusade.
11- Johannes Fiebag & Peter Fiebag: The holy grail, what is it? translated from German by George Sassoon.
12- Massimo Introvigne: Beyond the Davinci code, history and myth of the Priory of Sion.
13- Myron Fagan: The Illuminati and the Council On Foreign Relations, or the Illuminati Agenda.
14- Ordo Supremus Militaris Templi Heirosolymitani (OSMTH) official website: Prieure de Sion and the treasures of Renne le Chateau.
15- OSMTH: A brief history of the Knights Templar.
16- OSMTH: Grand masters of the Knights Templar Order from 1118 to the present day.
17- Paul M. Bessel: Freemasonary and Judaism.
18- Paul Smith: Pierre Plantar and the Priory of Sion chronology.
19- Paul Smith: Priory of Sion fake parchments, history of

hoax.

20- Robert A. Wilson: The Priory of Sion.

21- Robert O' Neill: Economics and society at the Tarot's origin.

22- Robert Richardson: The Priory of Sion hoax.

23- Steve Mizrahi: Prieure de Sion, the mystery deepens.

24- Unknown Author: The Merovingian infeltration of the Christian world through Monasticism.

25- Vincinzo Chiodo: Prieure de Sion.

26- Wes Penre: Bilderberg, the secret world government.

الفهـرس

في عالم سر السر وأخفى الخفاء

فتش عن اليهود:

اليهود وفرسان الهيكل في ملاحم الجريل

دكتور / بهاء الأمير

● المؤلفات:

١- كوسوفا، المذابح والسياسة، دار النشر للجامعات.

٢- النور المبين، رسالة في بيان إعجاز القرآن الكريم، مكتبة وهبة.

٣- المسجد الأقصى القرآني، دار الحرم للتراث.

٤- الوحي ونقيضه، بروتوكولات حكماء صهيون في القرآن، مكتبة مدبولي.

٥- اليهود والماسون في الثورات والدساتير، مكتبة مدبولي.

٦- اليهود والماسون في ثورات العرب، استقبلته خمس من دور النشر بترحاب كبير وحماس شديد ثم رفضت جميعها نشره! متاح على شبكة المعلومات الدولية الإنترنت.

٧- في عالم السر والخفاء، تحت الطبع، مكتبة مدبولي الصغير.

٨- الحضارة القرآنية، ماذا غير القرآن في العالم وماذا أحضر للإنسانية، مخطوط.

● المرثيات(*):

أولاً: مع الكاتب والمفكر الإسلامي جمال سلطان في برنامج حوارات بقناة المجد:

١- بروتوكولات حكماء صهيون، في مواجهة دكتور عبد الوهاب المسيري ودكتور أحمد ثابت.

٢- اليهود في الغرب، في مواجهة دكتور عمرو حمزاوي.

ثانياً: مع الشاعر المبدع والإعلامي اللامع أحمد هواس في برنامج قناديل وبرنامج كتاب الأسبوع بقناة الرافدين:

١- الوحي ونقيضه.

٢- المسجد الأقصى القرآني.

٣- خفايا شفرة دافنشي.

(*) مرثيات دكتور بهاء الأمير موجودة على شبكة المعلومات الدولية، الإنترنت، في موقع يوتيوب وفي العديد من المواقع الأخرى.

٤- ملائكة وشياطين.

٥- دور الحركات السرية في إنشاء الولايات المتحدة الأمريكية والرموز اليهودية والماسونية في الدولار الأمريكي.

٦- القبالاه، التراث السري اليهودي، وآثارها في العالم.

٧- التنجيم والأبراج، أصلها وحقيقتها.

٨- البلدربرج حكومة العالم الخفية.

٩- الرمز المفقود.

١٠- لماذا العراق؟ خفايا الغزو الأمريكي للعراق.

ثالثاً: مع الإعلامي والداعية الإسلامي خالد عبد الله في برنامج مصر الجديدة بقناة الناس:

١- خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الأول.

٢- خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الثاني.

٣- خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الثالث.

٤- الاحتفال الماسوني عند الهرم الأكبر، حقيقته والهدف منه.

٥- دكتور محمد البرادعي، مواقفه وأفكاره.

رابعاً : مع الإعلامي والشاعر والداعية الإسلامي دكتور محمود خليل في برنامج الدين والنهضة بقناة مصر ٢٥ :

١- الفوضى في مصر، أسبابها ومن المستفيد منها.

٢- مصر بعد الثورة، الأخطار الداخلية والخارجية.

٣- رمضان شهر القرآن.

٤- الثورة والدولة.

خامساً : مع الإعلامي ياسر عبد الستار في قناة الخليجية:

١- حوار حول الماسونية والثورات.

● السمعيات :

١- برنامج في مكتبة عالم بإذاعة القرآن الكريم، ثلاث حلقات.

٢- برنامج مقاصد الشريعة بإذاعة القرآن الكريم، سبع حلقات.